ديوان السليمانيات

(مجموعة شعرية مكتوبة على جميع بحور الشعر)

قصائدي القصيرة المَشوقة 1

نحو شعر عربي أصيل وهادف وبناء وجاد ومحترم

شعر

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

نحو شعر عربي أصيل هادف محترم جاد

ديـــوان السّـليمـانيـّات

(مجموعة شعرية)

قصائدي الصغيرة المَشوقة1

شِعرُ

الفقير إلى عفو ربه تعالى أبي عبد الله

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

الشاعر المصري السلفي الصعيدي

هذه مجموعة من القصائد الخفيفة ذات الصفحة الواحدة!

الطبعة الأولى

أردتُ بها التخفيف على القراء الأعزاء ليس إلا!

فيها عبرة لبيان أن من ترك شيئاً لله عوّضه الله!

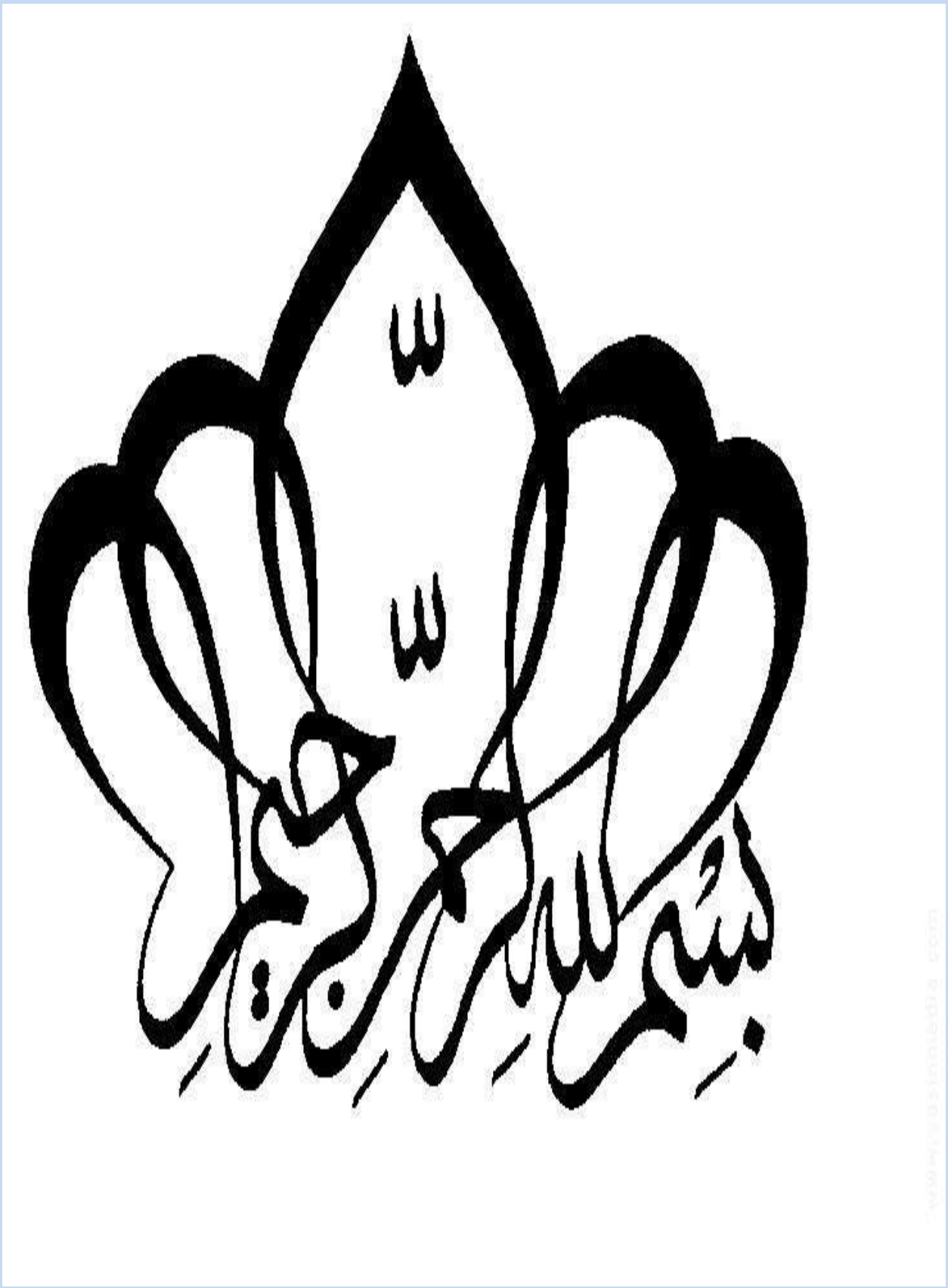
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

الحمد لله العظيم الجليل القدر ، المنفرد سبحانه بالبقاء والقهر ، الإله الواحد الأحد ذي العزة والستر ، لا ندّ له في السماوات ولا في الأرض فيُبارى ، ولا شريك له في السماوات والأرض فيُدارى ، كتب الفناء والزوال على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا ، وعقبى الكافرين النار ، قدّر مقادير الخلائق وأقسامها ، وبعث أمراضها وأسقامها ، وخلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ، جعل للمحسنين الدرجات ، وللمسيئين الدركات. فحمداً لك اللهم مفرّج الهموم ومنفس الكروب ومبدّد الأشجان والأحزان والغموم ، جعل بعد الشدّة فرجاً ، وبعد الضر والضيق سعة ومخرجاً ، لم يُخلِ محنة من منحة ، ولا نقمة من نعمة ولا نكبة ورزيّة من هبة وعطية ، نحمده على حُلو القضاء ومُرّه ، ونعوذ به من سطواته ومَكره ، ونشكره على ما أنفذ من أمره ، وعلى كل حال نحمده سبحانه. هذه السماء أيها الناس رفعت هكذا بغير عمدٍ ترونها ، أسألكم: من رفعها؟ وبالكواكب من زيَّنها؟ والجبال من نصبها؟ وهذه الأرض من سطحها وذلَّلها وقال في شأنها: (فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا)! وهذا الطبيب الذي يصف الدواء لمرضاه ، من أسقمه وأمرضه وأرداه ، وقد كان يرجى بإذن ربه شفاه؟ وهذا المريض وقد يُئِس من علاجه ، من عافاه؟ وهذا الصحيح من بالمنايا رماه؟ وهذا البصير في الحفرة من أهواه؟ وهذا الأعمى في الزِّحام من يقود خُطَاه؟ وذلكمُ الجنين في ظلماتٍ ثلاثٍ من يرعاه؟ وهذا الوليد من أبكاه؟ وهذا الثعبان من أحياه ، والسُّم يملأ فاه؟! وهذا الشَّهد من حلاَّه؟ وهذا اللبن من بين فرث ودم من صفَّاه؟ وهذا الهواء تحسُّه الأيدي ولا تراه من أخفاه؟ وهذا النَّبت في الصحراء من أرْبَاه؟ وذلكمُ البدر من أتمَّه وأسراه؟ وهذا النخل من شقَّ نواه؟ وهذا الجبل من أرساه؟ وهذا الصخر من فجَّر منه المياه؟ وهذا النهر من أجراه؟ وهذا البحر من أطغاه؟ وهذا الليل من حاك دُجَاه؟ وهذا الصُّبح من أسفره وصاغ ضحاه؟ وهذا النوم من جعله وفاة؟ ومن جعل تلك اليقظة منه بعثًا وحياة؟! وهذا العقل من منحه وأعطاه؟ وهذا النحل من هداه؟ وهذا الطير في جو السماء من أمسكه ورعاه؟ ومن في أوكاره غذَّاه ونمَّاه؟ إنه الله الرب القدير والخالق الكبير! أستحلفكم بالله تعالى سؤالاً دوماً يجول في خاطري: الطاغوت الجبار الظالم في دنيانا هذي من يقصمه؟ والمظلوم الذي ضاقت به السبل من ينصره؟ والمضطَّر الذي عدم من يعينه من البشر من يجيبه؟ والملهوف من يغيثه؟ والضال من يهديه؟ والحيران من يرشده؟ والعاري من يكسوه؟ والجائع من يشبعه؟ والكسير من يجبره؟ والفقير من يغنيه؟ أنت أيها الإنسان ، أنت مَنْ خلقك؟ من صوَّرك؟ من شق سمعك وبصرك؟ من سوَّاك فعَدَلَك؟ من رزقك؟ من أطعمك؟ من آواك ونصرك؟ من جعل ملايين الكائنات ترتادُ وأنت لا تشعر فَمَك؟ ولو اختفت لاختلفت وظائف فمك. من هداك؟ إنه الله الذي أحسن كل شيء خلقه. لا إله إلا هو. أنت من آياته ، والكون من آياته ، والآفاق من آياته ، تشهد بوحدانيته. إن تأملت ذلك عرفت حقًا كونه موحّدًا خالقًا؟ وكونك عبدًا مخلوقًا ، الكون كتاب مسطور ينطق تسبيحًا وتوحيدًا ، وذراته تهتف تمجيدًا: (هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ). ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عدة الصابرين وسلوان المصابين ، الكريم الشكور ، الرحيم الغفور ، المنزه عن أن يظلم أو يجور ، الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون. ونشهد أن محمداً عبده ورسوله وخِيرته من خلقه ، وأمينه على وحيه ، أعرَفُ الخلق به ، وأقومهم بخشيته ، وأنصحهم لأمته ، وأصبرهم لحكمه ، وأشكرهم على نعمه ، أعلاهم عند الله منزلة وأعظمهم عند الله جاهاً ، بعثه للإيمان منادياً

، وفي مرضاته ساعياً ، وبالمعروف آمراً وعن المنكر ناهياً ، بلغ رسالة ربه وصدع بأمره ، وتحمّل ما لك يتحمله بشر سواه ، وقام لله بالصبر حتى بلّغه رضاه ، دعانا إلى الجنة وأرشدنا إلى إتباع السنة ، وأخبر أن أعلانا منزلة أعظمنا صبراً ، من استرجع واحتسب مصيبته كانت له ذخراً ومنزلة عالية وقدراً ، وكان مقتفياً هدياً ومتبعاً أثراً. صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وأزواجه وذرياته الأخيار وسلم تسليماً كثيراً متصلاً مستمراً ما تعاقب الليل والنهار. وبعدُ فإن لنا الفخر ونحن نفتتح مع قرّائنا الأحِبّة مجموعتنا الشعرية الغالية: (قصائدي الصغيرة المَشوقة 1) تلك الباقة الوقورة المحترمة من الأشعار الهادفة البناءة! والتي كان من المتوقع أن تظهر متأخرة عن هذا التوقيت ، ولكنني عجلتُ بها لأخفف عن الأحباب القراء مؤنة القصائد الطويلة التي قد تصيب بعضهم بالملل!

الافتتاحية

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى وبعد. فإن فكرة: (القصائد المنتقاة) يعمد إليها الشعراء بعد باع طويل وأمد عميق من الكتابة والتأليف والنظم والتنقيح تلي المعاناة والتجربة أو مصاحبة لها ، ولقد يعمد إليها المخلصون للشاعر ، بعد رحيله أو دار النشر والطباعة التي يتعامل معها أو التي تبنتْ شعره من البداية ، أو يعمد إلى ذلك ورثة الشاعر من الأولاد الطيبين الصالحين البارين بأبيهم الشاعر ، والذى لم تجمع كل أعماله الشعرية أو النثرية أو العلمية أو الأدبية بصفة عامة في حياته ولم تتآلف آثاره وأعماله في عمل واحد يجمع شتاتها كما أن الأقدار ربما لم تمهله ليقوم بذلك بنفسه على خير وجه ، وكذا ربما عاجلته منيته وأتاه الكأس الذي لا بد من أن يشرب منه البشر كلهم ، فلم ير أعماله كلها أو بعضها ينتظمها عقد واحد بخيط واحد في مسبحة واحدة. من أجل ذلك وخوفاً على ضياع الأعمال الأدبية والشعرية التي قمتُ بكتابتها في مشوار حياتي في شتى المناسبات والأحوال والظروف ، قمت بذلك بنفسي فنقحتُ وزدتُ وحذفتُ وقررتُ وعدّلتُ وأضفتْ ، ولا أزال على نفس الوتيرة ونفس الأسلوبية من التنقيح والاستبدال والإضافة والحذف والتزويد والإقرار ، ريثما أرى أن هذه الأعمال قد وصلتْ إلى درجة من الإبداع والجمالية في مرحلة أرضى عنها – وما هي ببالغة هذه الدرجة - لأنها سُنة الله في كل كاتب: شاعرا كان أو ناثرا ، أديبا كان أو عالما أو كاتبا ، لا يزال يرى الواحد منهم من أن أعماله مفتقرة إلى مزيد من الإبداع ومزيد من الجمالية ومزيد من الإضافة ومزيد من الحذف ومزيد من الاستبدال. وصدق العماد الأصفهاني عندما قال: (إني رأيتُ أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه ، إلا وقال في غده: لو غيّر هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، ولو قدّم هذا على ذاك لكان يُستحسن ، ولو زيد هذا لكان أليق ، وهذا من أعظم العِبر). وفكرة: (الأعمال الكاملة) تجمع أعمال الأديب كلها جنباً إلى جنب ، حتى إذا كان فيها إمتاع وفائدة استطاع الباحث والأديب الانتفاع بها وإجراء الدراسة عليها والبحث في أسلوبيتها مجتمعة. ولقد تعرض غير واحد للذي كتبته بالنقد والتمحيص ، ولنا الظاهر والله يتولى السرائر والنوايا ، فكانت لهم بعض المآخذ على شعرنا ، ومنها مآخذ فنية وأخرى أسلوبية وثمة بعض المآخذ الواقعية المعرفية ، وأخرى تعبيرية. واحترتُ بين هذا السيل من المآخذ وهذه القلوب ماذا تنوى ، أهي همٌ جادة واعية ونفوس صافية؟ أم أنها أقوام وشراذم كان الدافع من نقد الواحد منهم لشعري هو الحقد والحسد؟ أم أنها نظرات كانت المرجعية لنقدها لشعري هي الأهواء والشهوات وما يكون بين خصم وخصم؟ قلت: ولا أزال أقول سوف أظل أقول ما حييت: إن لنا من الناس ظاهر أمرهم ، والله يتولى سرائرهم وخفاياهم ، نعم رب الناس تعبدنا بظاهر الناس وما كلفنا قط بأن نفتش في عُيوبهم ونطعن نواياهم ونتهم مقاصدهم من كلامهم وأفعالهم ، بل وما كلف أنبياءه بشيء من ذلك. ومن هنا رحتُ أنظر إلى الانتقادات التي وجهتْ لشعري نظرة المتجرد المحايد الذي يريد الوصول إلى الحق بكل جدية ، والذي ينشد الكمال والموضوعية في البحث والقول والفعل ، وشكرتُ كل من تصدق علي وأهدى إليّ عيوب شعري ورحتُ أعدّل من أخطائي وعيوبي وأقوّم من زللي واعوجاجي ، ذلك أنني ابتداء لا أنظر إلى شعري نظرة الكمالية والجمالية والإبداعية المطلقة ، بل أراه لازال يفتقر إلى الكثير منها. ولقد قام بنقد معظم دواويني الأستاذ الشاعر / سالم محمد سالم النوبي – (مصر – الدقهلية – أجا) - موجه اللغة العربية بمكتب عجمان التعليمي ، وكم انتفعتُ بكل الذي وجهه لي من النقد ، وكم كان الناصح الأمين والمربي الفاضل ، فقلد وجهني وأرشدني ، ونصحني ، وكنت منه بمنزلة الابن من الوالد. وكان قد اعتاد على عقد الندوات في

بيته بعجمان داعياً إليها الأدباء والشعراء والكتاب ، أصحاب الفن والتجربة من النحارير أصحاب الباع في لغة الضاد نثرها وشعرها وأدبها! فجزاه الله عني وعن شعري خيراً! كما نقد ديواني الأول الشاعر الكبير / الدكتور السيد سلامة السقا ، وأرسل إلي عبر رسول يعرفه ويعرفني وانتصحت بالذي قال! فجزاه الله عني خيرا. أما الرسول بيني وبين الشاعر الدكتور السقا فكان الدكتور صلاح الدين الأجاوي! وجزى الله شاعرنا الكبير / السيد سلامة السقا خيراً كثيراً على الذي بذله لي من النصح والتوجيه والإرشادات والتوعية! وأذكر جيداً أنه كان من بين المآخذ المتكررة من أكثر من واحد ما بين شاعر ودارس للغة العربية ومحب عاشق للغة الضاد وباحث للعربية أنني في معظم شعري أعمد إلى التسكين: أي أعمد إلى ما يعرف بـ: (القافية الساكنة) ، مما يدل على ضعف الملكة الشعرية واضمحلال الصياغة التركيبية ، ومما يشي بالضعف والقصور عن الأداء الصياغي والإعرابي. أقول: إنما غالى الأقوام وبالغوا ، إذ إنهم نظروا جميعاً فقط إلى ديوان (نهاية الطريق) وحده ، ولم ينظروا إلى غيره من الدواوين الأخرى مثل (عزيز النفس) والذي احتوى بين طياته عددا من القصائد المُشكلة على اختلاف تراكيبها وبحورها وأوزانها وقوافيها وإيقاعاتها وأسلوبيتها وصياغة أبياتها ، ولقد كتب الشاعر الموحد / عمر بن الوردي وصيته الشعرية لولده (اللامية) ساكنة اللام وما عاب أحد عليه ذلك ولا نزال نطالع القصائد الساكنة القوافي لمختلف الشعراء عبر كل عصر ومصر ، بل نراها تملأ حتى دواوين شعر الفحول من شعراء الجاهلية والإسلام والعصر الحديث ، ولم ينكر عليهم أحد وهم الأقوام الجهابذة العباقرة: في الشعر والقوافي. أإذا كان الشيء ذاته من شويعر مثلي لا يزال يخطو أولى خطواته في الشعر ، فليس يقبل منه ، ويتهم بالضعف والركاكة والتكرار للمعاني والقوافي؟ كما أنه قد أخذ ـ فيما أخذ ـ عليّ تفكك الأبيات وافتقار شعري إلى ما يعرف في الشعر بالوحدة العضوية في القصيدة ، والحقيقة أن العيب في هذه ليس عيبي بل هو عيب القارئ الذي يجهل قواعد كتابة الشعر العربي ولم يُحط علماً بطريقة الصياغة لهذا الشعر ، ولم يكلف نفسه عنت شراء كتاب يعرفه الشعر والشعراء ، أقول: إن شعراء المدرسة الكلاسيكية (التقليدية) يعتبرون البيت الواحد قائماً مقام القصيدة ، فهو يؤدي فكرة قائمة بذاتها ، ومن هنا فإن وحدة البيت من وحدة القصيدة ، وأنا من شعراء هذه المدرسة في جُل شعري ، إن لم يكن كله. كما أخذتْ عليّ تلك النبرة الحزينة المكروبة واستعمال ألفاظ مثل: (الجوى – الحزن – الكرب – الوجد – الأسف – الحسرة – الآهة – العذاب ـ الألم ـ المرار – الهم – الغم – الضنك – التوجع) في كثير من القصائد! أقول: سبقني إلى ذلك شعراءُ كثيرون لم ينكر عليهم أحد ، والملاحظ أنني بعدما عدت للذي كتبت فما وجدت نبرة الاسترسال في العذاب ولا الاستمرار في البلاء والكرب ، كلا إنما وجدت المقدمة الحزينة الطلية الباكية على الأطلال ، بل على الإيمان وما يتصل به من قضايا ومن رجال ومن معتقدات ، فهو البكاء على هم الحنيفة السمحة ، وليس على فراق المحبوبة. ولا أكثر الحديث لأنه لا خير في حشو حديث ليس يفيد وإنما العِبرة بالإشارة. وعموما تناولت عدداً من هذه القضايا! وقمتُ بالرد عليها في مقدمات القصائد وفي مقدمة (من وحي الذكريات) فيما يزيد على مائة صفحة! أما مجموعتي الشعرية هذي: (قصائدي الصغيرة المَشوقة 1) فهي مجموعة من القصائد التي توضح للقراء الأعزاء أن الوفاء والإخلاص لا يضيع أجرهما عند الله تعالى!

المقدمة

الحمد لله تسبحه البحار الطوافح ، والسحب السوافح ، والأبصار اللوامح ، والأفكار والقرائح ، العزيز القوي في سلطانه ، الكريم في امتنانه ، ساتر المذنب في عصيانه ، رازق الصالح والطالح! تقدس عن مثل ونديد وشبيه ، وتنزه عن نقص يعتريه ، يعلم خافية الصدر وما فيه ، من سر أضمرته الجوانح ، لا يشغله شاغل ، ولا يبرمه سائل ، ولا ينقصه نائل ، تعالى عن الند المماثل ، والضد المكادح ، يسمع تغريد الورقاء على الغصن ، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، ويتكلم فكلامه مكتوب في اللوح مسموع بالأذن ، بغير آلات ولا أدوات ولا جوارح ، أنزل القطر سبحانه بقدرته ، وصبغ لون النبات بحكمته ، وخالف بين الطعوم بمشيئته ، وأرسل الرياح لواقح ، موصوف بالسمع والبصر ، يرى في الجنة كما يرى القمر ، من شبهه أو كيفه فقد تزندق وكفر ، هذا مذهب أهل السنة والأثر ، ودليلهم جلي واضح ، ينجي من شاء كما شاء ، ويهلك فهو المسلم للمسلم والمسلم للمهلك ، لم ينتفع يام أو كنعان بالنسب يوم الغرق لأنه مشرك ، قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح ، أحمده على تسهيل المصالح ، وأشكره على ستر القبائح ، وأصلى على رسوله محمد أفضل غاد وخير رائح ، وعلى صاحبه أبي بكر ذي الفضل الراجح ، وعلى عمر العادل فلم يراقب ولم يسامح ، وعلى عثمان الذي بايع عنه الرسول فيا لها صفقة رابح ، وعلى على البحر الخضم الطافح ، وعلى عمه العباس الذي أخذ البيعة له ليلة العقبة وكل الأهل نازح ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، وهب طالحنا لصالحنا وسامحنا ، فأنت الحليم المسامح ، واغفر لنا ذنوبنا قبل أن تشهد علينا الجوارح ، ونبهنا من رقدات الغفلات قبل أن يصيح الصائح ، وانفعني بما أقول والقارئين لشعري هذا بمنك ، فمنك الفضل والمنائح! سبحان من أظهر العجائب في مصنوعاته ، ودل على عظمته بمبتدعاته ، وحث على تصفيح عِبره وآياته ، وأظهر قدرته في البناء والنقض ، والهشيم والغض (قل انظروا ماذا في السموات والأرض) ، وهلك كل الهلاك وأدبر ، من نسي سعد من تدبر ، وسلم من تفكر ، وفاز من نظر واستعبر ، ونجا من بحر الهوى من تصبّر ، الموت مع الشعر المبيض (قل انظروا ماذا في السموات والأرض) ، يا أرباب الغفلة اذكروا ، يا أهل الإعراض احضروا ، يا غافلين عن المنعم اشكروا ، يا أهل الهوى خلوا الهوى واصبروا ، فالدنيا قنطرة لكم فجوزوا واعبروا ، وتأملوا هلال الهدى فإن غم عليكم فاقدروا ، فقد نادى منادي الصلاح حي على الفلاح فأسمع أهل الطول والعرض! (قل انظروا ماذا في السماوات والأرض)! (قل انظروا ماذا في السموات والأرض) إنه ليس المراد بالنظر إلى ما في السموات والأرض ملاحظته بالبصر. يا من يرجو الثواب بغير عمل ، ويرجئ التوبة بطول الأمل ، أتقول في الدنيا قول الزاهدين ، وتعمل فيها عمل الراغبين ، لا بقليل منها تقنع ، ولا بكثير منها تشبع! تكره الموت لأجل ذنوبك ، وتقيم على ما تكره الموت له تغلبك نفسك ، على ما تظن ولا تغلبها على ما تستيقن ، لا تثق من الرزق بما ضمن لك ، ولا تعمل من العمل ما فرض عليك ، تستكثر من معصية غيرك ما تحقره من نفسك ، أما تعلم أن الدنيا كالحية ، لين لمسها والسم الناقع في جوفها ، يهوى إليها الصبي الجاهل ، ويحذرها ذو اللب العاقل ، كيف تقر بالدنيا عين من عرفها؟ وما أبعد أن يفطم عنها من ألفها! يا مبارزا بالذنوب خذ حذرك وتوق عقابه بالتقى! فقد أنذرك وخل الهوى ، فإنه كما ترى صيرك قبل أن يغضب الإله ويضيق حبسه (ويحذركم الله نفسه) اجتهد في تقوية يقينك ، قبل خسر موازينك ، وقم بتضرعك وخيفتك ، قبل نشر دواوينك وابذل قواك في ضعفك ولينك ، قبل أن يدنو العذاب فتجد مسه (ويحذركم الله نفسه)! لما سمع المتيقظون هذا التحذير ، فتحوا أبواب القلوب لنزول الخوف ،

فأحزن الأبدان ، وقلقل الأرواح فعاشت اليقظة بموت الهوى ، وارتفعت الغفلة بحلول الهيبة ، وانهزم الكسل بجيش الحذر فتهذبت الجوارح من الزلل ، والعزائم من الخلل ، فلا سكون للخائف ، ولا قرار للعارف ، كلما ذكر العارف تقصيره ندم على مصابه ، وإذا تصور مصيره حذر مما في كتابه ، وإذا خطر العتاب بفنائه فالموت من عتابه ، فهو رهين القلق بمجموع أسبابه. أسفا لمن ضيع الأوقات وقد عرفها ، وسلك بنفسه طريق الهوى فأتلفها ، أنس بالدنيا فكأنه خلق لها وأمله لا ينتهي. وأجله قد انتهى ، سلمت إليه بضائع العمر فلعب بها ، لقد ركن إلى ركن ما لبث أن ، وهي عجبي لعين أمست بالليل هاجعة ، ونسيت أهوال يوم الواقعة ، ولأذن تقر عنها المواعظ فتضحي لها سامعة ، ثم تعود الزواجر عندها ضائعة. ولنفوس أضحت في كرم الكريم طامعة وليست له في حال من الأحوال طائعة ، ولأقدام سعت بالهوى في طرق شاسعة. بعد أن وضحت لها سبل فسيحة واسعة ، ولهمم أسرعت في شوارع اللهو شارعة ، لم تكن مواعظ العقول لها نافعة ، ولقلوب تضمر التوبة عند الزواجر الرائعة ، ثم يختل العزم بفعل ما لا يحل مرارًا متتابعة ثالثة بعد ثانية وخامسة بعد رابعة ، كم يوم غابت شمسه ، وقلبك غائب ، وكم ظلام أسبل ستره ، وأنت في عجائب ، وكم أسبغت عليك نعمه وأنت للمعاصي توائب ، وكم صحيفة قد ملأها بالذنوب الكاتب ، وكم ينذرك سلب رفيقك وأنت لاعب ، يا من يأمن الإقامة قد زمت الركائب ، أفق من سكرتك ، قبل حسرتك على المعايب ، وتذكر نزول حفرتك وهجران الأقارب ، وانهض على بساط الرقاد ، وقل أنا تائب وبادر تحصيل الفضائل ، قبل فوت المطالب ، فالسائق حثيث والحادي مجد والموت طالب. أسفا لغافل لا يفيق بالتعريض ، حتى يرى التصريح ولا تبين له جلية الحال إلا في الضريح ، كأنه وقد ذكره الموت فأفاق فانتبه لنفسه وهو في السباق! واشتد به الكرب والتفت الساق بالساق ، وتحير في أمره وضاق الخناق ، وصار أكبر شهواته توبة من شقاق ، هيهات مضى بأوزاره الثقيلة ، وخلا بأعماله واستودع مقيله ، وغيب في الثرى وقيل لا حيلة ، وبات الندم يلزمه وبئس اللاحي له ، فتفكروا أيها الناس في ذلك الغريب وتصوروا أسف النادم وقلق المريب ، فلمثل حاله فليحذر اللبيب ، وهذا أمر تبعده الآمال وهو والله قريب. يا من صبح شيبه بعد ليل شبابه قد تبلج ، ونذيره قد حام حول حماه وعرج ، كأنك بالموت قد أتى سريعًا وأزعج ، ونقلك عن دار أمنت مَكرها وأخرج وحملك على خشونة النعش بعد لين الهودج ، وأفصح بهلاكك وقد طال ما مجمج ، وأفقرك إلى قليل من الزاد وأحوج ، يا لاهيًا في دار البلاء ما أقبح فعلك وما أسمج، ويا عالمًا نظر الناقد وبضاعته كلها بهرج ، ويا غافلاً عن رحيله سلب الأقران أنموذج. متى تترك ما يفنى رغبة فيما لا ينفد متى تهب بك ريح الخوف كأنك غصن يتأود ، البدار البدار إلى الفضائل والحذار الحذار من الرذائل فإنما هي أيام قلائل! أما بعد ، فها نحن أولاء بفضل الله وتوفيقه ومعونته قد فرغنا من صف وإخراج وإعداد مجموعتي الشعرية هذي: (قصائدي الصغيرة المَشوقة 1) ونحمد الله تعالى أن أعاننا على إخراجها وصفها وتدقيقها وتحقيقها وتصحيحها لغوياً وفنياً! وإنها لمجموعة شعرية توقفتُ عند مروءة صاحبها طويلاً! ولقد أكبرتُه على ما كان منه من الإخلاص! ولولا أنني أمقتُ العُجب والزهو ومدح النفس لقلتُ بأن هذه المجموعة بعض عمري أضعها بين أيدي القراء على طبق المودة!

قَصائدِي القصِيرة المَشوقة!

(ربما تكون القصائدُ القصيرة أكثرَ مُتعة وتشويقاً للقراء الأعزاء!)

ديوان: (السليمانيات)

شعر / أحمد علي سليمان عبد الرحيم

(شاعر أهل الصعيد)

جميع الحقوق محفوظة

أبتاه

(تغيب عن أبيه زماناً ، وسعى الواشون فأفسدوا ذات بينهما ، والأصل أن الناس يصلحون ذات البين بدلاً من إفسادها! فإذا لم يصلحوا فكان عليهم أن يحايدوا الأب وابنه! فتخيلتُ ذلك الابن يعتذر لأبيه ويرسل دموع الاعتذار شفيعاً له على تقصيره وتفريطه في حق والده عليه ويطلب منه المسامحة والعفو والصفح. وكأني به يستثمر مناسبة العيد ويستغلها قبل رحيلها ، وكأني به يقول لأبيه: تجاوز عني واجعله يوم جائزة لي عند ربي في الأرض والسماء! فقال يخاطبه في العيد.)

أبتـــاهُ ـ فـــي الأضـــحى ـ أزف بيـــاني ... دُرراً يُعطرهـــا بهـــيُّ معـــانِ

تختـــالُ فـــي أرج القصـــيد موائســـاً ... كالغِيـــد سِـــرن بســـاحر الألـــوان

فعســـى القصـــيدة أن تحـــوز رضـــا الـــذي ... لمّـــا يحُـــزْ شـــيئاً مـــن العِرفـــان

العيـــدُ يـــا أبتـــاه بوتقـــةَ الصـــفا ... وهديـــة الـــرحمن للإنســـان

فـــي الأرض يـــوم جـــوائزٍ ، وكـــذا الســـما ... أعلمـــتَ مـــا فـــى العيـــد مـــن إحســـان؟

أبتـــاهُ بـــاركَ فيـــك خـــلاقُ الـــورى ... ورزقـــتَ عنـــد الله خيـــرَ جنـــان

مـــا غيرتْنـــي غَربتـــي ، كـــلا ، ولا ... ألـــمُ النـــوى ، وقصـــيدتي بُرهـــاني

فليغفـــر الـــرحمن مـــا قارفتُـــهُ ... فـــي حـــق مـــن أعطـــى بـــدون تـــوان

أبتـــاهُ فـــي العيـــد الســـعيد تحيتـــي ... بـــالفرح أزجيهـــا وبـــالأحزان

بـــالفرح علّـــك تغفـــرنّ مســـاءتي ... فأنـــالَ فـــي الأخـــرى رضـــا الـــرحمن

أوْ لا ، فـــأرجع والضـــياعُ بضـــاعتي ... وأبـــوءُ عنـــد الله بالخســـران

قصّـــرتُ ، هـــذا العيـــد فرصـــتُنا معـــاً ... وانـــس الـــذي قـــد كـــان مـــن هجـــران

واللهُ يشـــهدُ يـــا أبـــي ببراءتـــي ... تعـــس الوشـــاةُ وجوقـــةَ الشـــيطان!

مـــازال كـــلٌّ بالوشـــاية ســـاعياً ... حتـــى نمَـــتْ مرثيـــةَ العُـــدوان

والعيـــدُ أكبـــرُ مـــن إراقـــة دَمعنـــا ... هـــذا يُخـــالف شِـــرعةَ الـــدَّيان

يا ناس احترموا التخصص

(لقد أصبح الدِين اليوم كلأ مباحاً لكل من هبّ ودبّ. ودعوى الناس أن الإسلام ليس حِكراً على أحدٍ وليس به كهنوت ولا يعرف طبقة رجال الدين ، أقول: إن هذا القول صحيح ، ولكنه في غير موضعه. وبمعنى آخر هو كلمة حق أريد بها باطل! نعم الإسلام لا يعرف الكهنوت ولا رجال الدين ولكن يعرف علماء الدين المتخصصين! ومن هنا فإنه لا يكون حِكراً على أحدٍ بشرط العلم والتخصص. * إن لكل عِلم أهله ، ولكل فن رجاله. فكما أنه لا يجوز للطبيب أن يدرّس ولا يجوز للمدرس أن يُطبّب ، بل يلتزم كل إنسان تخصصه! بل ليس لكائن مَن كان من أهل الطب مثلاً أن يتجاوز تخصصه في فرع من فروع الطب إلى آخر! فطبيبُ العيون لا يعالجُ القلب! كما أن معلم اللغة الإنجليزية لا يعلم الكيمياء أو الفيزياء! وهذا شئٌ دَرَجنا عليه وألِفناه! وإذن فالمسألة مسألة تخصص. فلماذا إذن عندما جاءت للدين اختلفت؟! وأصبح الدينُ هو الذي لا يتخصص فيه أحد؟ يقول الله تعالى: (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) ، ويقول: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) ، ويقول: (ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولى العلم منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) ، ويقول: (فاسأل به خبيرا). ويقول: (ولا ينبئك مثلُ خبير). ونبينا قال في صاحب الشجّة الذي أفتاه بعض الناس بوجوب الغسل رغم جرح في رأسه بالغ ، فأطاعهم ، فاغتسل فمات. قال النبي: (قتلوه قتلهم الله ، هلا سألوا إذا لم يعلموا؟ فإن شفاء العي السؤال!) * والحقيقة أن للناس اليوم جُرأة رهيبة على الفتيا على عكس السلف. قال ابن أبي ليلى: أدركتُ مائه وعشرين من الأنصار من أصحاب رسول الله يُسأل أحدهم عن المسألة فيردها إلى هذا ، وهذا إلى هذا ، حتى ترجع إلى الأول. وما منهم من أحد يُحَدّث بحديثٍ أو يسأل عن شيء إلا ود أخاه لو كفاه. وقال عطاء بن السائب: أدركتُ أقواماً إنْ كان أحدهم ليسأل عن شيء فيتكلم فيه ويرعد. * وسئل الإمام مالك أربعين مسألة فقال في ثمان وثلاثين منها وقيل تسع وثلاثين: لا أعلم. ومن هنا أنشدتُ من شِعري هذه القصيدة لكل إنسان لا يحترم التخصص في العلم ويتجرأ على الفتيا بغير دليل ولا هدى من الله ولا كتاب منير. وكان الباعث على القصيدة رؤيتي لمجموعة من الحدّادين كلٌ منهم يُفتي بغير علم! يقول الدكتور المحترم أحمد بن عبد العزيز الحداد وتحت عنوان: (احترام التخصص) ما نصه: (إن مما اتفق عليه عقلاء البشر أن التخصصات العلمية محترمة ، فلا يقبلون من غير المتخصص في فن أن يتصدّر لتقرير أو إفتاء أو تأليف أو توجيه في غير فنه ؛ لما في ذلك من الجناية على العلم ، وفتنة الناس وتضليلهم ، ثم ليكون هو نفسه مصوناً عند غيره فلا يُستهدف بالنقد أو الرد. وقد جاء الإسلام فأرسى هذا المبدأ المعرفي الإنساني يوم أن دعا الناس إلى التوجه بالسؤال لأهل الاختصاص دون غيرهم ، فقال في محكم التنزيل: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ، أي أهل التخصص في المجال المسؤول عنه لا غيرهم ، يأمر بذلك مرتين في الكتاب العزيز ، وهو أمر إيجاب في مسائل الدين ، وندب في غيرها! ذلك أن من لا يعرف يكون فاقداً للإفادة ، وفاقد الشيء لا يعطيه كما تقوله القاعدة المسَلمة بين الناس فإن سأل من لا يعرف فإنه يكون مقصراً ولا يعفيه ذلك من المسؤولية ، ولترسيخ هذا المعنى التخصصي كان النبي صلى الله عليه وسلم يُنوّه بتخصصات أصحابه الكرام إشادة بهم فيقول: «أرأف أمتي أبوبكر ، وأقواها في أمر دين الله عمر ، وأصدقها حياءً عثمان ، وأقضاها عليّ ، وأقرأها أُبَيٌّ ، وأفرضها زيد ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»! ليكون الناس على بيِّنة من هذه التخصصات حتى يلجأوا إليها عند الحاجة ، أو لترجيح قول صاحب التخصص عند التعارض. وهكذا سار عمل الناس وعرفهم تالداً وتالياً ، فالمهندس لا يحسن أن يتكلم في غير فنه ، والطبيب كذلك ،

والأديب والمؤرخ واللغوي والفقيه والمحدّث ، كلهم لا يُقبل منهم قول إلا في ما عانوه وتخصصوا فيه ، حتى إنه عيب على المحدثين عيباً شديداً وقاسياً إذا تحدّثوا في الفقه ـ بما لا يحسن ذكره هنا ـ مع أن الحديث هو مصدر الفقه الثاني ، ولكن المحدّث الراوي قد لا يُحسن الاستنباط الفقهي ، فلم يعتد بفقههم ، فكيف إذا أتى غيره من ذوي التخصصات البعيدة ليتحدث في غير فنه؟! إن حديثه يكون سَمِجاً عند أهل الفن ، ويُضربُ به عُرض الحائط ، مع شدة النكير ، وقد يكون الأمر سهلاً ، ولكن العلم أمانة ، حتى لا يضيع بين تقريرات أو تأليفات غير المتخصصين. وقد سُنَّت قوانينُ رادعة لمن يتطبب وهو غير طبيب لأن الطب يحفظ الأبدان ، وغير الطبيب يؤذي الناس ويضر بأبدانهم بوصفاته غير الصحيحة ، وقد ورد في الحديث: «من تطبب ولم يعرف منه طب فهو ضامن». وليس ضرر هذا المتعالم في الطب بأكثر من المتعالم في الدين ، فإن الإضرار بالدين أشد خطراً وأكبر أثراً ، فما أصاب الناس من ويلات ونكبات في أبدانهم وأوطانهم وأرزاقهم إلا بسبب أولئك الذين تكلموا في الدين وهم ليسوا من أهله ، فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل ، والشعوب تعرف ذلكم الخطر لذلك تهب عندما يقتحم حمى المعارف من غير المتخصصين ، فترفع القضايا ويقضى على المتعالمين ، ويحملون التبعات الكثيرة ، كل ذلك في قضايا المعارف العلمية من طب أو هندسة أو نحوها مما يمس الحياة الإنسانية ، إلا أننا نجد تهاوناً كبيراً في القضايا الدينية الخطيرة التي تمسّ المعتقدات أو الثوابت النصية أو الفقهية. وقد دخل رجلٌ على ربيعة ـ شيخ الإمام مالك ـ فوجده يبكي ، فقال: ما يُبكيك؟ أمصيبة دخلت عليك؟ فقال: لا ، ولكن استُفتي من لا علم عنده ، وظهر في الإسلام أمر عظيم. ثم قال ربيعة: ولَبعض من يُفتي ها هنا أحقُّ بالحبس من السُّرَّاق. أي: أحق بأن يحبس ويسجن من اللصوص. وقال الحافظ ابن حزم رحمه الله تعالى: لا آفة على العلوم وأهلها أضر من الدخلاء وهم من غير أهلها ، فإنهم يجهلون ويظنون أنهم يعلمون ، ويفسدون ويقدرون أنهم يصلحون. والمقصود هنا هو التنبه لمن يتصدى لمسائل الدين تفسيراً أو حديثاً أو فقهاً أو فكراً وهو من غير أهله ، فيقال له ما قيل في المثل السائر: مكانك تحمدي أو تستريحي).هـ. ولقد سُئل الأستاذ الدكتور الشريف حاتم بن عارف العوني عن مثل ذلك فأجاب وأوجز فأعجز ، ويحسن بنا أن نورد السؤال والجواب! (أما السؤال فهو: ما الفرق بين المطالبة باحترام التخصص في العلوم الشرعية والكهنوت؟ أليست مطالبة غير المتخصص في الشريعة بالرجوع إلى المتخصصين كهنوتاً واضحاً؟! وأما الجوابُ فهو: * أولاً: نحتاج أن نثبت للمسلمين أن علوم الشريعة علومٌ تخصصية كبقية العلوم ؛ حيث إني أعترف أن أدعياء حملة الشريعة من المتصدرين للإفتاء والوعظ في العصر الحديث هم أول من أساء إلى علوم الشريعة ، وهم أول من بثّ في الناس القناعة بعدم عمقها وبسطحيتها! وذلك بسطحيتهم وعدم عقلانيتهم وبسوء أخلاق بعضهم حتى ظن الناس أن العلوم التي يحملونها هي معارف الأغبياء الحمقى ومباحث الدراويش ودروس الجامدين فكرياً! وعزّزنا هذا الانطباع السيء عن علوم الشريعة في كلياتنا وأقسامنا الشرعية! عندما أصبحت تقبل من الطلاب من ترفضه الأقسام العلمية الأخرى لانخفاض مستواه التحصيلي ، ومن يعجز عن السير فيها لعدم استعداده للتعلّم الجادّ! فمع الانطباع الأول الذي يُخلّفُه هذا التصرف من أن العلوم الشرعية سهلة سهولة السطحية وقريبة قُرب العبث ، فهذا التصرّفُ أيضا سيكون خطةً مستقبلية لتخريج الحمقى والمغفلين من الأقسام الشرعية ، وبشهاداتٍ عُليا فيها ، وهم بهذا المستوى المنخفض من الذكاء ، فضلا عن العلم! فكيف نريد من بعض الناس بعد هذه التصرفات أن يقتنعوا بعمق العلوم الشرعية وبدقتها وبأنها تخصص لا يصح أن يلجه أحد إلا بحقه من العلم به ، كأي علم آخر يحترمه الناس؟! إذن فأول حلول هذا الإشكال: أن علينا معشر الشرعيين أن نعيد للعلوم الشرعية هيبتها ، بالتزامنا نحن بالتعمق فيها ، وأن نحترمها قبل أن نطالب غيرنا باحترامها ، وأن يكون خطابنا عنها وبها خطابا يحترم العقل ويحسن الإقناع ويثبت جدارتنا بحملها دون المتسورين عليها. * ثانيا: لا شك أن بعض الرفض من الخوض في العلوم

الشرعية كهنوت ، ولكن بعضه ليس كهنوتا أيضًا ، وهو كرفضنا من أن يتكلم الجاهل بأي علم بجهله فيه ، ولذلك: لن يُقبلُ ادِّعاءُ مدَّعٍ (من علماء الشريعة) عدمَ أهليَّةِ مخالفِهِ لنقدِهِ أو الاعتراضِ عليهِ في مسألَةٍ ما ، بغيرِ أحدِ أمرينِ: * الأوَّلُ: أن يُثْبِتَ المدَّعِي بالدليلِ أنَّ مخالفَهُ لا يَستَطِيعُ معالجَةَ المسألَةِ العلميَّةِ هذِهِ ولا يعرفُ طريقَةَ التعاملُ معها بأدواتِهَا. كأنْ يعترضَ معترضٌ جاهلٌ على متخصصٍ في التفسيرِ حيالَ تفسيرِ آيةٍ ما ، فيثبت لهُ المفسِّرُ أنَّهُ عاجزٌ عن فهمِ لُغةِ النصِّ القرآنيِّ ، من خلالِ اختبارِهِ إيَّاهُ في القاعدَةِ اللغويَّة التي يتوقفُ على فهمِهَا واستيعابِهَا فهمُ الآيةِ. * الثَّاني: أن يكون دليل المتخصِّص على المسألة الجزئية مما يمكن أن يفهمه غير المتخصص ، وحينئذ على المتخصص أن يُظهر لغير المتخصص الحجة وأن يبين له البرهان وأن يقتنعه بهما ، من خلال تفهيمه وتيسيير الفهم عليه ، لكي يبين له أنه لعدم تخصصه غاب عنه الدليل وأخطأ طريق الفهم والاستدلال. فإنْ كانَ منعُ مدعي العلمَ اعتراضَ المعترضِ غيرَ قائمٍ على إحدى هاتينِ الدِّعَامتينِ فهُو مجرَّدُ وصايَةٍ وكهنُوتٍ لا أكثَر).هـ. وأخيرا تقول الدكتورة نبيلة شهاب عن احترام التخصص ما نصه: (التخصص مفهوم واضح ومهم جداً في المجتمعات المتقدمة ، واحترامُه والتمسكُ به أمرٌ مفروغ منه ، وكل فردٍ يتفانى في اكتساب الخبرة في مجال تخصصه ، ويحاول أن يواكب التطور في ذلك. لا يشعر أي فرد بالحرج أو الخجل أو الخرف مهما علا مركزه من أن يقول: "لا أعرف" أو "لا يوجد لديّ معلومات ومعرفة كافية في هذا المجال" ، وقد يرشح بعض الأسماء في المجال الذي استفسرت عنه أو يدلك عليها. هناك تخصصات معينة وهي المتصلة اتصال مباشر بالفرد وحياته الشخصية والنفسية والاجتماعية وصحته تخضع لمراقبة الدولة مراقبة مستمرة وصارمة وقد تم وضع قوانين حازمة دقيقة لها لا يتعداها أحد كائناً من كان ، على سبيل المثال لا الحصر الطبيب والمعالج النفسي والمعلم وغيره. الالتزام بالتخصص ليس شيئاً لا هدف من ورائه ، بل هو أساس العمل وأساس إتقانه والإبداع فيه ، فحين ينصب اهتمام أي فرد على عمل معين يبدع فيه ، ينحصر التركيز عليه ومن ثم تتقلص الزوايا وتصغر مساحات التعلم ليزداد التركيز على هذا المجال فقط ويتفوق الفرد في هذا التعلم ليبدع بعدها في مجال عمله وتخصصه ، لأنه اكتسب وتعلم كل تفاصيله بكثافة وبعمق ، على خلاف لو أن الفرد شتت انتباهه واهتمامه على أكثر من تخصص أو عمل مما يزيد من مساحة التعلم وينعكس ذلك سلباً على التبحّر في هذا العلم وكشف جميع أسراره ودقّ تفاصيله. في مجتمعاتنا للأسف بعضنا علماء في كل شيء ، فلو صادفنا مريضاً أو زرناه نصبح أطباء نشخص ونعالج ، وهذه أهم نقطة ، في الأكل ـ الشرب ـ الملابس ، ولو صادف صديق مشكلة زوجية أو اجتماعية نصبح المرشد النفسي ونغرقه بالنصائح "العلمية"، متخصصون في كل شيء وننقل خبراتنا للكل ، والبعض يغضب إن لم يؤْخَذ برأيه! وللأسف عند البعض كلمة "لا أعلم" مرادفة لـ "أنا غبي" على الرغم من أن لفظ "لا أعلم" هي دلالة على العِلم وعمقه!).هـ. فنقول: احترموا التخصص يا قوم! ولا تفتوا بغير علم ، ولا تنصبوا من أنفسكم علماء وأنتم أجهل من الجهل ذاته! وأعود لمجموعة الحدادين الذين هم سبب كتابتي لهذه القصيدة فأقول لهم: لماذا تركتم ساحة الحدادة إلى ساحة الفتيا في شرع الله تعالى؟ هل نافسكم علماء الشريعة ، واقتحموا عليكم ساحة حدادتكم؟ اتقوا الله واحترموا التخصص ، والزموا حدودكم قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله! واعلموا جيداً أن احترام التخصص ينم عن حضارة روحية عميقة فضلاً عن كونه التزامٌ بأمر الله – تعالى – وأمر رسوله – صلى الله عليه وسلم ـ.)

عبـــــاقرة أراكـــــم فـــــي الحِـــــدادة! وجُـــــل النـــــاس يَمـــــنحُكم شـــــهادة!

ففـــــي صَـــــهر الحديـــــد لكـــــم فنـــــونٌ وفـــــي نفـــــخ الكُيـــــور لكـــــم ريـــــادة!

وفـــي طـــرْق المعـــادن قـــد نبغـــتم ... وفـــي صُـــنع الشـــكيمة والقـــلادة

لمـــاذا - فـــي شـــريعتنا - اســـتطلتم ... وأفتيـــتم بجهـــل فـــي العِبـــادة؟

ولـــم تتورّعـــوا عمـــا اجتـــرحتم ... مـــن الفتـــوى المُكـــررة المُعـــادة

وقـــد تســـتهجنون مقـــال فـــردٍ ... يقـــول بغيـــر علـــم فـــي الحِـــدادة

ألا احترمـــوا التخصـــصَ واســـتقيموا ... وكفـــوا عـــن ممارســـة الـــبلادة

لقـــد ألفِيـــتُمُ جُـــرآء جـــداً ... علـــى الفتيـــا ، وبـــئسَ الجهـــلُ عـــادة!

فتـــاوى لـــو (أبـــو بكـــر) رآهـــا ... لمـــا أفتـــى ، ولا أفتـــى (عَبـــادة)!

وأنـــتم تقطعـــون الـــرأي فيهـــا ... كـــأنّ لكـــم - علـــى العِلـــم - الســـيادة

ولـــو كنـــتم لـــدى (الفـــاروقِ) جنـــداً ... لقطعـــتم يـــداً عـــامَ الرمـــادة

ومـــا أنـــتم بـــأكثر منـــه عِلمـــاً ... ولـــيس لكـــم - بشِـــرعتنا - إجـــادة

فـــدرءُ الحـــدّ بالشـــبهات نـــصٌ ... (وأحمـــدُ) علّـــمَ العُلمـــا مُـــراده

ألا يـــا قـــوم فـــانتبهوا لقـــولي ... ففـــي قـــولي لمـــن علمـــوا الســـعادة

أنيبـــوا للمليـــك ، ولا تغـــالوا ... لكـــي تحيَـــوا جهابـــذة وَســـادة

علـــيكم بـــالتعلم إن أردتـــم ... فيـــا نعـــم الـــتعلم والإرادة!

ســـيُكْبركم جميـــعُ النـــاس قطعـــاً ... وأهـــلُ العلـــم يبغـــون الزيـــادة

ووفقكـــم - لنيـــل العلـــم - ربـــي ... وعِشـــتم بـــين أهـــل العلـــم قـــادة

أخونا أغلى من الإرث

(إخوة وأخوات لأب واحد وأم واحدة. نشأوا في بيتٍ واحدٍ ، وبيئةٍ واحدةٍ ، وشربوا من معين واحد. وأثمرت القيم والمُثل فيهم ، فعاشوا عليها ، وتنوعت مصادر دخولهم وأرزاقهم لتنوع ثقافاتهم. فمن مهندس إلى طبيب إلى معلمة إلى رجل أعمال إلى مديرة. وتفاوتت الدخول والأوضاع! ولكن أكبر هؤلاء الإخوة ويدعى حُساماً ابتلي بكثرة الأولاد ومحدودية الدخل مما جعله يعيش على الكفاف أو دونه بقليل. وعاش عزيزاً عفيفاً لا يقبل أبداً صدقة أحدٍ أو مِنته أو عطاءه. واعتاد إخوته وأخواته الأشقاء والشقيقات أن يُغدقوا عليه ويُوسعوا ، ولكنْ في صورة هدايا لأبنائه وبناته بحيث لا يشعر. فجعلوا من أخيهم وأولاده قِبلة للصدقات والهبات والأعطيات العينية والنقدية. وذات يوم مات الأب عن تركةٍ هي بيت مؤلف من خمسة طوابق في حي عامر آهل بالسكان. وكان الأب قد سمح لابنه الأكبر هذا بأن يسكن إحدى شقق هذا البيت بإيجار زهيد حتى لا يشعره بمِنته عليه أو تفضله لذات السبب الذي هو حساسية الابن المفرطة ، فلما مات الأب وجاء الأبناء والبنات وقد اتفقوا فيما بينهم ودون عِلم أخيهم الأكبر على أن يتنازلوا عن أنصبتهم في الإرث في هذا البيت لأخيهم الأكبر مقابل دراهم معدودة لا تساوي ربع شقة من شقق هذا البيت. وإنما كان البيع لأخيهم حتى لا يُحرجوه ولا يشعروه بأنه هبة أو عطاء. بل بيع وشراء كالغريب وتم ذلك بـ (1400 ألف جنيه مصري) في عمارة تستحق (مليوني جنيه مصري). وتعلل الأخ بأنه لا يستطيع الوفاء لهم بالمبلغ دفعة واحدة ، فتم تقسيطه على سنوات ، ومن الأشقاء والشقيقات من لم يتحصل على ربع ما اتفق عليه ، ومنهم من نسي أو تناسى وتمنى على الله أن ينساه أخوه الأكبر من نصيبه هذا وقد كان. وتم ذلك بالتراضي والتسامح. وأثبت هؤلاء الأشقاء الكِرام أنه لا البيت ولا المال ولا الدنيا بأسرها أغلى عندهم من أخيهم ، إن مثل هذه المواقف تستحق القصائد والمعلقات. وإذا لم يكن الشعر لمثل هذه المواقف ، ففي أي شيء يكون الشعر؟ قال الأستاذ فريد الأنصاري عن الأخوة الحقيقية ما نصه: (أحبابي ، إذا تأملتم واقعنا وأمعنتم فيه النظر قلتم: إن هذا الزمان زمن غربة المسلم الحق والمسلمة الحقة ، إذ في زمن الغربة يمضي المسلم يبحث عن حبيب ، يبحث عن نصير ، يبحث عن مُعين يبحث عن صديق صادق ، وهو في الأصل يكتفي بالله عز وجل أنيساً ومعيناً ونصيراً ، ولكن مع كثرة الأعداء وكثرة الشبهات والشهوات وقلة الأتباع والأنصار ، يجد المرء نفسه يناجي ربه يشكو إليه ما صار إليه الحال الآن ، ونتمثل قول رسول الله وهو في الطائف: اللهم إنا نشكو إليك ضعف قوتنا وقلة حيلتنا وهواننا على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربنا ، إلى مَن تكلنا ، إلى قريب يتجهمنا ، أو إلى عدو ملكته أمرنا ، إن لم يكن بك غضب علينا فلا نبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لنا ، نعوذ بنور وجهك من أن ينزل بنا غضبك ، أو يحل علينا سخطك ، لك العُتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك. أيها الأحباب ، نريد أن تصفو قلوبنا بعد هذا الكدر الذي أفرزه واقعنا المرير ، فإنَّ أساس قضية الأخوة هو صفاء القلب لله ، هذا الصفاء الذي يثمر طمأنينة الفؤاد وراحة البال ، وهدوءَ الضمير ، فلا نرتقب خوف الغدر وحسدَ الأعين وأذى الأيدي وكيدَ القلوب وحقدَ النفوس ، إنها ظلال الحب في الله ، لا أخوة المصالح وصداقة المنافع التي شاعت في هذا العصر ، نحتاج إلى أخٍ كالمرآة الصافية المؤمن مرآة أخيه ، يقيل كل منا عثرات الآخر ، يدافع عني وأدافع عنه من ورائه ، يقيمني وأقيمه يعينني وأعينه فأين هذه الأخوة؟! تعالوا بنا – أيها المؤمنون – نعيد بناء صرح الأخوة الشامخ ، تعالوا نداوي تلك الآفات ؛ فإن نسيجنا الأخوي يحتاج إلى إصلاح وتجديد وصيانة ، فتلك الروابط التي كانت تجمع قلوب

الأخوة قد بَليت ، والحاجة مُلحّة إلى إعادة إقامتها من جديد).هـ. وكلما ذكرتْ قصة هؤلاء الأخوات مع أخيهمُ الأكبر المُعيل ظن من تذكَرُ له القصة أننا نحكي عن ألف ليلة وليلة! وهو معذور لأن مثل هذا الخلق افتقد منذ زمن بعيد بعد طغيان المادة على الإيمان بالله! ولقد ابتلينا بعادة غريبة هذه الأيام ملخصها استحواذ بعض الأبناء على الإرث وتعمد حرمان إخوتهم وأخواتهم منه! كأن المتوفي لم ينجب إلا ذلك البعض! وأحيانا يأخذ أحدهم الإرث كله حارماً الكل!)

نهـــــدي إليـــــك تحيـــــة وســـــلاما ... ومحبـــــــة ومـــــــودّة ووئامـــــــا

ونســـــوق أشـــــواقاً تحـــــبُ لـــــك العـــــلا ... وشـــــعورُنا - بودادنـــــا - يتســـــامى

ونـــــزفّ - مـــــن أرَج الإخـــــاء - عطيـــــره ... ونريـــــدُ - للخيـــــرات - أن تتنـــــامى

ونتـــــوّج الأخ - بـــــالتعفف - حِســـــبة ... ليعـــــيش - فـــــي دنيـــــا الأنـــــام - هُمامـــــا

ونـــــراه ســـــيدنا وأغنـــــى قومِنـــــا! ... ورجالنـــــا أمســـــوا لـــــه خـــــداما

هـــــو - بعـــــد مـــــوت أبيـــــه - ســـــيدُ أهلـــــه ... مهمـــــا تحـــــذلق حاقـــــدٌ ، وتعـــــامى

هـــــو مرجعيـــــة قومِـــــه فـــــي ديـــــنهم ... هـــــو عـــــالِمٌ يســـــتظهرُ الأحكامـــــا

وهـــــو الأميـــــر إذا الحـــــروبُ تســـــعّرَت ... نـــــاراً – تحـــــرّق مَـــــن طغـــــى - وضِـــــراما

وهـــــو الـــــذي يقضـــــي ، فيعـــــدلُ بيننـــــا ... إذ قـــــد ألـــــمّ بشـــــرعِنا إلمامـــــا

وجميعنـــــا نرضـــــى بفصـــــل قضـــــائه ... لا نقـــــضَ ســـــاعتها ، ولا إبرامـــــا

لمّـــــا نجـــــدْه مضـــــيّعاً لحقوقنـــــا ... مـــــذ كـــــان فـــــي هـــــذي الحيـــــاة غلامـــــا

بـــــل كـــــان ينصـــــحُ كـــــي يرانـــــا فـــــي الـــــذرى ... إن النصـــــيحة تصـــــقلُ الأفهامـــــا

كـــــم صـــــدّ عنـــــا الإفـــــك زخرفـــــه الـــــورى ... وتعقـــــب الأفـــــاك والظّلامـــــا!

كـــــم جـــــاد بـــــالأموال رغـــــم خصاصـــــةٍ! ... وعشـــــيرُنا يستشـــــهدُ الأيامـــــا

كـــــم خصـــــنا بحنانـــــه ودعائـــــه ... حتـــــى نحكّـــــم - بيننـــــا – الإســـــلاما!

ولـــــذا فـــــنحن نحبـــــه ، ونبـــــرّه ... ومـــــن التـــــي هـــــي لا تحـــــب (حُســـــاما)؟

ونـــــراه أغلـــــى مـــــن جميـــــع نفوسِـــــنا ... هـــــذا بأعبـــــاء الأخـــــوة قامـــــا

إن الأخـــــوة نجـــــدة ومـــــروءة ... وتفضـــــلٌ يبنـــــي عُـــــرىً ودِعامـــــا

وتكـــــرمٌ يـــــدع النفـــــوس رضـــــية ... مـــــن بعـــــد أنْ مُلئـــــت تُقـــــىً وســـــلاما

وســـــل التكـــــاليف التـــــي نيطـــــتْ بهـــــا ... تجـــــد الجـــــواب يُفـــــتحُ الأحلامـــــا

هـــــذي الأخـــــوة صـــــفوَة أصـــــحابُها ... وبهـــــا غـــــدوْا - بـــــين الأنـــــام - كِرامـــــا

وســـــمَوْا بهـــــا - فـــــوق الخلائـــــق - رتبـــــة ... وهـــــمُ الأجـــــلُ مهابـــــة وكلامـــــا

أفعـــــالهم طفقـــــتْ تُطـــــابق قـــــولهم ... إذ أكرمـــــوا إخـــــوانهم إكرامـــــا

بـــــذلوا فقيـــــل: هـــــمُ الســـــخاء جميعُـــــه ... ومحَـــــوْا بمـــــا بـــــذلوا دجـــــىً وظلامـــــا

وتحملـــــوا ضـــــنك الحيـــــاة ونحســـــها ... وتكبـــــدوا الـــــويلاتِ والإيلامـــــا

وتجـــــردوا هـــــم مـــــن حظـــــوظ نفوســـــهم ... وكـــــذاك يفعـــــل صـــــالحون نشـــــامى

وتســـــربلوا بـــــالجود يُعلـــــي شـــــأنهم ... إذ ألجمـــــوا أهـــــواءهم إلجامـــــا

تـــــا الله مـــــا لفـــــظ الإخـــــوة هـــــينٌ ... لـــــيُلاك بـــــين أراذل ونـــــدامى

إنـــــا عزمنـــــا أن نتـــــرجم لفظهـــــا ... ونقـــــوم - صـــــدقاً – بالإخـــــاء قِيامـــــا

للهـــــم فاشـــــهد أننـــــا لا نبتغـــــي ... إلا رضـــــاك ، ونعـــــمَ ذاك مُرامـــــا!

إنـــــا وزنـــــا الإرث فيمـــــا بيننـــــا ... ورأى الجميـــــعُ الـــــوزن والأرقامـــــا

وكـــــذا وزّنـــــا بالجُنيـــــهِ شـــــقيقنا ... فـــــإذا (حســـــامٌ) يـــــرجحُ الـــــدرهاما

وإذا بمليـــــوني جنيـــــه كـــــالهوا ... لا شـــــيء فـــــي الميـــــزان فـــــاق (حســـــاما)!

والإرث يغنـــــي ، والخلائـــــق والـــــدُّنا ... أرأيـــــت شـــــيئاً - فـــــي البســـــيطة - دامـــــا؟

يبقـــــى مليـــــك الخلـــــق بعـــــد فنـــــائهم ... يـــــا عبـــــدُ وحّـــــدْ ربـــــك العلامـــــا

استر على نفسك يا هذا

(ص(68) من كتاب (حدث في المحكمة للعمري) جاء أحد الناس إلى المحكمة ، وقد أصاب حداً ، فطلب من القاضي إقامة الحد عليه. فنصحه القاضي بالتستر فلربما غفر الله له. دخل القاضي وقال له: أبك جنون؟! قال: لا. فقال: هل أنت عازم على أمرك؟! قال: نعم ، ولكنْ أريد أن لا يعلم أحد ، أريد أن تطهرني وتقيم عليّ الحد. دعاه القاضي إلى أن يتبع هُدى النبي - ﷺ - فيما رواه عُبادة بن الصامت قال ، قال النبي - ﷺ -: (بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، فمن وفّى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فهو كفارته ، ومن استتر بستر الله عليه فهو إلى الله ، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه). [رواه البخاري]. وجاء عن عمر - رضي الله عنه - أنه قال: (من أصاب من هذه القاذورات شيئاً فليستتر بستر الله عليه ، فإنه مَن يبدِ لنا صفحته نعاقبْه). جاء عن النبي - ﷺ -: (إذا بلغت الحدود السلطان فلعن الله الشافع والمشفع). ودعاه إلى الستر. ولهذا كان من هدي النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، أنه إذا جاءه مَن يُقر على نفسه بذنب ، أعرض عنه حتى يكرر السؤال ، ثم يلقنه الحُجة في رفع الحد عنه ، فقال لمن جاءه وهو يُقر على نفسه بالزنى: (لعلك قبّلت ، لعلك غمزت) ، ويقول لمن شهد على نفسه بالسرقة: (لا إخالك سارقاً) ونحوها ، علَّه أن يذهب فيتوب ويستر على نفسه فيتوب الله عليه. قال أبو بكر: لو أخذتُ سارقاً لأحببت أن يستره الله ، ولو أخذت شارباً لأحببت أن يستره الله. وروى وكيع في الزهد (774/3) عن أبي الشعثاء قال كان شرحبيل بن السمط على جيش فقال: إنكم نزلتم أرضاً فيها نساء وشراب! فمن أصاب منكم حداً فليأتنا حتى نطهِّره ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فكتب له: لا أمّ لك! تأمر قوماً ستر الله عليهم أن يهتكوا ستر الله عليهم. يقولُ صلى الله عليه وسلم: (يُدْنَى الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ فَيُقَرِّرَهُ بِذُنُوبِهِ ، فَيَقُولُ هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: رَبِّ أَعْرِفُ ، قَالَ: فَيَقُولُ: إِنِّي سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا ، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ). وروي أن عمر - رضي الله عنه - كان يعس بالمدينة ذات ليلة ، فرأى رجلاً وامرأة على فاحشة ، فلما أصبح قال للناس: "أرأيتم لو أن إماماً رأى رجلاً وامرأة على فاحشةٍ فأقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين؟" قالوا: إنما أنت إمام ، فقال علي - رضي الله عنه -: "ليس ذلك لك ، إذن يُقام عليك الحد ، إن الله لم يأمن على هذا الأمر أقل من أربعة شهود". ثم تركهم ما شاء الله أن يتركهم ثم سألهم فقال القوم مقالتهمُ الأولى ، فقال علي - رضي الله عنه - مثل مقالته الأولى. ولهذا مَن وقع في ذنب واعترف على نفسه عند الحاكم ليُطهرَه ، فله الرجوع قبل إقامة الحدّ عليه ، ولو هرب أثناء إقامة الحد فلا يتبّع كما حصل في قصة ماعز الأسلمي رضي الله عنه ، كما أخرج أبو داود في سُننه من حديث نعيم بن هذال أن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم لمّا بلغه أن ماعزاً هرب منهم وهم يرجمونه من شدة الرمي ، فلحقوه حتى قتلوه! قال: (هلا تركتموه لعله أن يتوب فيتوب الله عليه). وإذن فعلى المسلم أن يستر نفسه! أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة قال صلى الله عليه وآله وسلم: "كل أمتي معافىً إلا المجاهرين وإن من الجهار أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يُصبح وقد ستره الله تعالى فيقول: عملتُ البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه". ولما قالت امرأة لعائشة يا أم المؤمنين ، إن كريّاً أخذ بساقي وأنا مُحْرِمة! فقالت عائشة: حِجراً حِجراً حِجراً ، وأعرضتْ بوجهها وقالت: يا نساء المؤمنين إذا أذنبتْ إحداكن ذنباً ، فلا تخبر به الناس ،

ولتستغفر الله ولتتب إليه ، فإن العِباد يُعيّرون ولا يُغيّرون وإن الله يُغيّر ولا يُعير". فلما أدركتُ تعظيم شريعتنا لثقافة الستر على النفس وعلى الغير أنشدت في ذلك من شعري على البحر الخفيف:)

ليت شعري! ماذا يقول قصيدي؟ إن هذا أمرٌ يفوقُ حدودي

كيف يرضى عبدٌ بكشفِ الخفايا هاتكاً سترَ الواحد المعبود؟

إن هذا واللهِ شيء عُجابٌ فهْمُه استعصى بعد جهدٍ جهيد

هل يُضحِي بالروح عبدٌ ضعيفٌ مؤثراً مرضاة العزيز الحميد؟

كيف هانتْ نفسٌ ، وطاوع قلبٌ واستكانت روحٌ لهذا الصمود؟

واستبدّ بالرأي عقلٌ تقيٌ لم يخفه إرجافُ بعض العبيد؟

كي يعيد ذكرى تناءت بعيداً ذكرُها يُثري كل فكر رشيد

إنها ذكرى (الأسلميّ) قديماً إذ رأى الرجمَ سُلماً للخلود

(ماعز) الخير أنت رمز التسامي عن جميع - ما في الدنا - من قيود

ليت شِعري (والغامديّة) جاءت تنشد الطهرَ وفق شرع المجيد

والنبيّ بالرجم أفتى ، ووفى بين صحب ، وفوق أسمى صعيد

لكنِ السترُ إن يغبْ شرعُ ربي ملجأ إذ يزري الغثا بالحدود

إن نص القانون أصبح ديناً حُكمه ساد باللظى والحديد

ونصوصُ القرآن في الناس تتلى دون تطبيق معلن مشهود

وحرام الإسلام أضحى حلالاً والشعوبُ بيعتْ ببعض النقود

أي معنى يُزْكي اعترافك هذا؟ ما استوى هذا بالقرار السديد!

إنما السترُ كان أولى وأحلى والمتابُ كم فيه ، كم من مزيد!

يا أسفى على الحياء!

(هناك على شاطئ البحر تأتي العجماوات من النساء ، ويخففن من ملابسهن إلى الحد المعلوم. وتحتال إحداهن في ستر أي جزء تكشف من جسمها على اليابسة بين الناس ، بينما هي على البحر شبه عاريةٍ أو عاريةٍ في بعض البقاع! إنني أسائل هذه العجماوات والسوائم الضالة: من أين لكم هذا التعري السافر الفجّ؟ هل جاء به موسى في توراته إن كنتن يهوديات تزعمن اتباع موسى؟ هل جاء به المسيح عيسى بن مريم في إنجيله إن كنتن نصرانيات تزعمن اتباع عيسى؟ هل جاء به محمد في قرآنه وسنته إن كنتن مسلمات تزعمن اتباع محمد؟ بالطبع كلا وألف كلا. لا موسى ولا عيسى ولا محمد – صلى الله عليهم وسلم – جاؤوا بهذا وحاشاهم. بل جاؤوا بالستر والتحشم والحجاب. وهذا ثابت بالنصوص. ومن أراده بحثه في مظانه. إني لأعجب من كشف إحداهن لجسمها أمام الناس على الشاطئ بكل تبجح ووقاحة وبهيمية ، وبلا أدنى حياء أو حرج ، بينما لا تفعل الشيء ذاته في الشوارع والأسواق على سبيل المثال. بل ترى أنه عيب ولا يصح! فما كان عيبا كشْفه على اليابسة أصبح مباحاً على الساحل. وأسأل: بأمر من؟ بأمر الله؟ إن الله لا يأمر بالفحشاء. فبأمر البحر؟ لا يعقل. وهل البحر - الذي هو مخلوق لله ، قد خلق طائعاً لله لا اختيار له – يجرؤ على أن يأمر بمخالفة الله؟! فبأمر العادات والتقاليد والأعراف العربية الأصيلة؟ بالطبع وبدون أدنى تفكير كلا. فما ورثناه من تقاليد عريقة وعادات طيبة وأعراف راقية وسلوم أصيلة عن الأعراب الأقحاح الأوائل والأواخر هو ستر النساء وحجابهن وصيانتهن عن الرجال ، والأدلة على ذلك أكثر بكثير من أن تحصى ، سواء في أشعار العرب أو في خطبهم أو في سيرهم. وإذن فهو بأمر الشيطان. (ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما). ومن هنا يأتي التأسف على الحياء. عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنهُما أن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء. فقال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: (دعه فإن الحياء من الإيمان). متفق عَلَيهِ. وعن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنهُما قال ، قال رَسُول اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم -: (الحياء لا يأتي إلا بخير). متفق عَلَيهِ. وفي رواية لمسلم: (الحياء خير كله ، أو قال: الحياء كله خير). وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قال: (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة. فأفضلها قول لا إله إلا اللَّه ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق. والحياء شعبة من الإيمان). متفقٌ عَلَيهِ. قال النووي: والبضع بكسر الباء ، ويجوز فتحها وهو: من الثلاثة إلى العشرة. والشعبة: القطعة والخصلة. والإماطة: الإزالة. والأذى: ما يؤذي كحجر وشوك وطين ورماد وقذر ونحو ذلك. وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: كان رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم أشد حياء من العذراء في خدرها ، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ. قال العلماء: حقيقة الحياء: خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق. قال النووي: وروينا عن أبي القاسم الجنيد رحمه اللَّه قال: الحياء رؤية الآلاء: أي النعم ، ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تسمى حياء ، والله أعلم. والمرأة التي تتبرج اليوم عليها أن تعود بالذاكرة إلى الوراء أيام كانت توأد حية! لتدرك أن الإسلام وهبها الحياة مرتين: الأولى بالإبقاء على حياتها من الوأد ، والثانية بصيانتها من التبرج بالحجاب! وتحت عنوان: (المرأة العربية في العصر الجاهلي) يقول الأستاذ عبد الرحمن الطوخي ما نصه: (لقدْ تكلم القرآن والسنَّة عن حالِ المرأة قبل بزوغ شمس الإسلام ؛ تذكيرًا للنساء بمِنَّة التحرير من قيود الذُّلّ والإهانة ، وما أضْفَى إليهنَّ من مكارمَ ومكانة ، وإليك بعض الجوانب التي تبيِّن لك وضْعَ المرأة وواقعها في ذلك العصر من خلال النص. لقد أبغض العربُ البنات ، وكان أحدُهم إذا بُشِّر بمولود أنثى علاَ وجهَه الكآبةُ والحزن ، ثم يفكِّر في مصير تلك الأنثى أيُمسِكها على هون أم يدسها في التُّراب؟ أما أسباب الوأد: فيكون لكراهيتهم جِنسَ الإناث ، أو خوفًا عليهن مِن السبي والعار ، فيقتلهنَّ حمية أو غَيْرة ، ويقال: إنَّ أول مَن فعَل ذلك قيس بن عاصم التميمي ، حين أغار عليه النعمان بن المنذر بعدَ أن منعتْه تميم الإتاوة فحاربَهم ، وسبَى نساءَهم ، وأسر بنتَه فاتَّخذها لنفسه ، ثم حصَل بينهم صُلْح ، فخَيَّر ابنته فاختارتْ زوجها ، فآلَى على نفسه ألاَّ تُولَد له بنت إلا دفنَها حية ، فتَبِعه العربُ في ذلك ، وروي أنَّ قيساً وأدَ بِضعَ عشرة بنتًا. وكان مِن العرب فريقٌ ثالث يقتلون أولادهم

مطلقًا ، إمَّا نفاسةً منه على ما ينقصه من مال ، وإمَّا مِن عدم ما ينفقه عليه ، وقد ذكَر الله ذلك في قوله: (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ). ونحن إذ نتكلَّم عنْ وأدِ البنات الذي كان أمرًا طبيعيًّا عن العرَب في الجاهلية ، لكنَّه لمنتكسي الفِطرة قساة القلوب والأفئدة. نجد في المقابل أعلامًا استنقذوا البناتِ من الوأد ؛ لأنَّه لم يخلُ مجتمع مِن أصحاب القلوب الرَّحيمة ، والنفوس الزكيَّة الأبيَّة التي تأبَى الظلم والضَّيْم ، وترفضه. وهؤلاءِ الذين فعَلوا ذلك ، يُحمد لهم فِعْلهم ، ويُعاونون على صَنيعهم ، بخلافِ هؤلاء الذين مات الإحساسُ فيهم. ومِن بيْن هؤلاء الأعلام مَن بذَل ماله لصونِ البنات عنِ الوأد ، وسعَى سعيًا حثيثًا لذلك: صَعْصعة بن ناجية التَّميمي ، فقدْ كان يتلمَّس مَن مسَّها المخاض ، فيغدو إليها ، ويستوهِب الرجلَ حياةَ مولودة إنْ كانت بنتًا ، على أن يبذلَ له في سبيلِ ذلك بعيرًا وناقتَين عشراويَيْن ، فجاء الإسلامُ وقد افتدَى أربعمائة وليدة. وأيضاً زَيْد بن عمرو بن نُفَيل القرشي ، كان يَضرِب بيْن مضارب القوم فإذا بصُر برجل يَهُمُّ بوأدِ ابنته ، قال له: لا تقتلْها ، أنا أكفيك مؤونتها ، فيأخذها ، ويلي أمرَها حتى تشبَّ عن الطوق ، فيقول لأبيها: إن شئتَ دفعتُها إليك ، وإن شئتَ كفيتُك مؤونتها).هـ. فواأسفى على الحياء والاحتشام اليوم! وأسأل البهائم الآدمية المنفلتة من عقال الدين ورباط العقيدة: بأمر من هذا العُرْي على البحر ، ثم الاحتشام على الشط؟!)

تعسَ السفولُ فكم به هدمتْ قيمْ! ... وبه استهان العِيرُ - عمداً - بالحُرُمْ

وإذا الحياءُ تخلفتْ أسبابُه ... ألفيتَ كل فضيلةٍ لا تُحترم

ووجدتَ جُل الناس يحكمه الهوى ... ويحارب المُثل الكريمة والقيم

والدين يَعصم أهله من غيهم ... وفسوقهم كيلا تزل بهم قدم

ولقد عجبتُ من النسا في عالم ... لفظ المروءة والكرامة والشيم

يخلعن جلباب الحياء تعمداً ... وعلى الشواطئ يُخلع الثوبُ الحَشِم

فبأمر مَن يصنعن ذلك يا ترى ... وبإذن مَن يأتين هاتيك الجُرُم؟

لا يأمر الله العظيم بمنكر ... وبرئٌ الشرعُ الكريم مِن الته

والبحر ليس بذا التحلل راضياً ... ولكم بهذا البحر قد غرقتْ أمم!

ما كان بين الناس يُستر غيْرة ... وعليه فستانٌ يُرفرف كالعلم!

أضحى على الشطآن منزوع الردا ... وكأنه مُلكٌ مُشاعٌ مُقتسم

والبحر لا يألو الدواعِر منذراً ... فإذا غرقن به فبئس المُختتم!

شرعَ المليكُ الثوبَ يسترُ ، والتقى ... والعُرْيُ من شأن البهائم والغنم

أسماء

(كان اسمها سانجو ، وكانت نصرانية. ثم منّ الله عز وجل عليها بالإسلام. وكانت لا تحسن غير لغة قومها ، فمنّ الله عليها بتعلم العربية وفقهها. فأبلتْ في الإسلام بلاءً حسناً. ودعتْ إلى الله بلغتها القومية. وجاءتْ ديار العرب وعلمتِ العربيات. ويُسأل الأستاذ إبراهيم الفارس سؤالاً هو: (هل المرأة كالرجل في وجوب الدعوة إلى الله تعالى؟ فيجيب: (لا بد أن يعلم الإنسان أن كل مخلوق قد يُسر له أمر ويُسر له منهج ، والإنسان مطالب بهذا المنهج ، فالرجل له مجالاته الدعوية التي لا يمكن للمرأة أن تقوم بها ، فالجهاد في سبيل الله مجال دعوي قوي ، لكن المرأة لا تطالب بالجهاد ، كذلك للرجل أن يخطب على المنابر أمام الناس! والمرأة لا تستطيع أن تفعل ذلك ، لكنها تستطيع أن تكمل هذا العمل بما تستطيعه أمام النساء ، والمرأة في هذا الجانب مساوية للرجل تماماً).هـ.)

أطريـــكِ بـــالنثر؟ أم أطريـــكِ بالشـــعرِ؟ ... يـــا ربّـــة الضـــاد والتوحيـــد والخيـــرِ!

أعِـــز قـــدْركِ - بـــين الغِيـــد - محتفيـــاً ... بمَـــن غـــدا نورُهـــا - فـــي دارنـــا - يســـري

عليـــكِ مَـــنّ مليـــكُ النـــاس خـــالقهم ... بـــأنْ هـــداك إلـــى الإســـلام والطّهـــر

فودّعـــتْ نفسُـــك التثليـــثَ عازمـــة ... أنْ لا تعـــودَ إلـــى الضـــلال والكُفـــر

وتُبْـــتِ لمّـــا رأيـــتِ الحـــق مُنبجســـاً ... وتاقـــتِ الـــروحُ للثـــواب والأجـــر

وبعـــدُ أصـــبحتِ - للإســـلام - داعيـــة ... فـــي عُقـــر دارِكِ بالإقنـــاع لا الجبـــر

وأثمـــرتْ دعـــوة أشـــعلتِ جـــذوتها ... ولا يُـــداوي عَـــوارَ الفكـــر كـــالفكر!

ثـــم انطلقـــتِ - لضـــاد العُـــرب - راغبـــة ... شـــأنَ التـــي شـــغفتْ بالعائـــد المُغـــري

فلانـــتِ الضـــادُ للمُحبّـــة احتملـــتْ ... صـــعوبة النحـــو والتركيـــب والشـــعر

حتـــى افتخـــرتِ بهـــا فـــيمن بهـــا نطقـــوا ... والضـــادُ أهـــلٌ لكـــل المَـــدح والفخـــر

أعـــزكِ الله يـــا (أســـماءُ) ، أنـــتِ لنـــا ... أختٌ ، دمُ الحـــق فـــي شُـــريانها يجـــري

تـــذودُ عـــن دينهـــا ، تريـــدُ عِزتـــه ... وذات يـــوم يجيـــئُ الســـعيُ بالنصـــر

(أســـماءُ) أنـــتِ علـــى ثَغـــر ، فـــلا تهنـــي ... كـــيلا يُنـــال الهُـــدى مِـــن ذلـــك الثغـــر

حيـــاكِ ربـــك مـــا ناصـــرْتِ شِـــرعته ... ومـــا اجتهـــدتِ لنشـــر الـــوحي والـــذكر

إشاراتٌ غالية الثمن

(إلى كل متزوجة تعشق على زوجها وتخون أمانتها وتتبع خطوات الشيطان حتى تسقط في الإباحية والرذيلة ، هاتكة بذلك الستر الذي بينها وبين الله تعالى ، تقول الدكتورة إلهام شاهين أستاذة العقيدة والفلسفة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر: (لقد وردت الآيات التي تحذر من الخيانة بعدة سياقات ، فمنها قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ) ، وأيضاً يقول تعالى ذكره: (وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء) ، والمعنى: (وإما تخافنَّ يا محمد من عدوٍّ لك بينك وبينه عهد وعقد أن ينكث عهده وينقض عقده ويغدر بك ، وذلك هو الخيانة والغدر. فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء. يقول: فناجزهم بالحرب ، وأعلمهم قبل حربك إياهم أنَّك قد فسخت العهد بينك وبينهم ؛ بما كان منهم من ظهور آثار الغدر والخيانة منهم ، حتى تصير أنت وهم على سواء في العلم بأنك لهم محارب ، فيأخذوا للحرب آلتها ، وتبرأ من الغدر. كما أن الخيانة تذهب البركة وتعجل عقوبتها في الدنيا قبل الآخرة للخائن وعن أنس بن مالك قال: (إذا كانت في البيت خيانة ذهبت منه البركة). وعن خالد الربعي قال: كان يقال: (إنَّ من أجدر الأعمال أن لا تؤخِّر عقوبته ، أو يعجل عقوبته ، الأمانة تُخان ، والرحم تُقطع ، والإحسان يُكفر).هـ. وإنه لأحرى بكل خائنة ألا تستمر في خيانتها ، بل تطلب الطلاق من زوجها ، وتتزوج من الصعلوك زير النساء هذا الذي عشق امرأة في عصمة رجل! أوَلم يجد إلا هذه الهازلة؟ إنها كما عشقت على زوجها يا صعلوك ، يا تافه ، يا سفيه سوف تعشق عليك ، وهكذا دواليك! ذلك أن العشق مرض يصيب النفس المنفلتة من عقال القيم والأخلاق والمبادئ! أعني العشق المحرم! ولست أعني العشق المباح الذي يكون بين الزوجين المتحابين! العشق مرض عضال ذكره الإمام ابن القيم – رحمه الله – واستفاض في الحديث عنه تشخيصاً وعلاجاً! وذلك في كتابه القيم: (الطب النبوي) ، فاذهب يا هذا وطالع تشخيص مرضك وعلاجه قبل أن يدركك الموت ، وأن تمارس العشق المحرم! وأنت أيتها الخائنة ضعي حداً لعشقك المحرم لأنك في عصمة زوج ، وأراى خيانتك لزوجك من أعتى أنواع الخيانات ، لأنها تمهد الطريق إلى الزنا أو الجنون كما قال ابن القيم! فهل تسرك نفسك مجنونة أو زانية؟! وتقول الدكتورة ملكة زرار ، الداعية الإسلامية وأستاذة الشريعة الإسلامية: (الخيانة هي عدم نصح صاحب الأمانة بتضييعها والغدر بصاحبها الذي يعتقد أن من ائتمنه سيحفظ أمانته. ففي لسان العرب لابن منظور: الخون أن يؤتمن الإنسان فلا ينصح ، خانه يخونه خوناً وخيانة وخانة ومخانة. والخيانة: الغدر وإخفاء الشيء ، ومنه: يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ. وكان عليه الصلاة والسلام يقول: اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع ، ومن الخيانة فإنها بئست البطانة. خرّجه النسائي عن أبي هريرة. وأضافت زرار ، من صدرت منه خيانة ، فالواجب عليه أن يتوب إلى الله توبة صادقة ، ومِن صدْق توبته رد الحق إلى صاحبه. قال تعالى: وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى... ونزلت هذه الآية في الخائنين الذين ذكرهم الله في قوله: (وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا) لما أبى التوبة مَن أبى منهم ، وهو طعمة بن الأبيرق ، ولحق بالمشركين من عبدة الأوثان بمكة مرتداً ، فالواجب على الزوجين كليهما أن يتقيا الله تعالى وأن يتحفظا مما حرمه الله وأن يستغنيا بالحلال الطيب عن الحرام الخبيث).هـ. لا شيء يصلح به الإنسان في حياته الدنيا إلا الحلال المشروع! ولقد كانت قصيدتي هذه ترجمة لقصة حقيقية أعرف أصحابها معرفة وثيقة ، وحاولت الإصلاح نسبياً ، ولكن العشق المحرم من جانب الحرم غير المصون وغير المحترم حالت بيني وبين الإصلاح التام بينها وبين زوجها! وعندما طرقتُ باب العشيق الوبش المرذول وجدته لا يبالي مطلقاً! ورحتُ أخوفه بالله تعالى ، ولكن سلطان العشق كان أقوى من وازع الدين! ذلك أن ضعف العقيدة والتوحيد لا يجعل القلب يستقيم على طريق الهداية! فاحترتُ

عمن أكتب قصيدي؟ هل أكتب عن العاشق المرذول السفيه الذي تعلق قلبه بامرأة متزوجة وهو يعلم؟ أم أكتب عن الزوج الغافل الذي لم يستطع أن يجعل زوجته عاشقة له وحده؟ أم أكتب عن الساقطة الفاشلة المنحلة المتهتكة التي عشقت على زوجها؟ وأخيراً – وبعد تفكير عميق – استقر الرأي على الكتابة عن هذه الزوجة مُحبباً لها طريق التوبة ومُرغباً في الإنابة وحمل النفس على ترك الخيانة! ومن هذا المنطلق أقول:)

لـــيس شـــيءٌ مثـــلُ الوَفَـــا للعشـــيرِ ... نـــورُ دربٍ يـــأتي بكـــلِّ ســـرورِ

كيـــف تَرضـــى قُـــبحَ الخيانـــة زوجٌ؟ ... كيـــف تحيـــا فـــي ظِـــلٍّ وكـــرٍ حقيـــرِ؟

تعـــس العشـــقُ ، كـــم لـــه مـــن قتيـــلٍ! ... وجَـــواه يجتـــاح نـــورَ الضـــميرِ

كـــم علـــى دربِ العشـــقِ كـــم مـــن ضـــحايا! ... زعمـــوا العشـــقَ كـــالفراشِ الـــوثيرِ

وهْـــو نـــارٌ تُـــودي بكـــل عزيـــزٍ ... وعـــذابٌ يُفضـــي لعـــيشٍ مريـــرِ

عشـــقتْ هـــذي ، ثـــم تلـــك تـــدنَّتْ ... ثـــم أخـــرى تعرقلـــتْ فـــي المســـيرِ

ولهـــذي فحـــيحُ أفعـــى تَلـــوتْ ... ولتلـــكَ اللهـــاث خلـــف الزفيـــرِ

بيئـــةٌ فـــي وحـــل الرذيلـــة غاصـــتْ ... والضـــياعُ والضـــنك أشـــقى مصـــيرِ

أهِ مـــن أوحـــالٍ تـــروحُ وتغـــدو ... وأيـــامى يُجـــدْنَ فَـــنَّ الفجـــورِ!

لا تخـــونـــي - بـــالله - زوجًـــا وبيتًـــا ... جنبينـــا أوارَ هـــذا الســـعيرِ

والعفـــاف - إليـــك يســـعى - حثيثًـــاً ... والتســـامي بالـــدين أقـــوى ظهيـــر

واصْـــحَبِي ربـــاتِ الهُـــدى والمَعـــالي ... وعلـــى أهـــل الفســـقِ والـــدُعْرِ ثـــوري

أنـــت – بـــالتقوى - خيـــرُ زوجٍ وأهـــلٍ ... والفـــؤادُ إذا اتقـــى فـــي حبـــورِ

فـــاهجري العشـــق ، وانـــدمي، واســـتقيمي ... واخلعـــي أثـــوابَ الخنـــا والســـفورِ

صـــدّقيني ، وجرّبـــي ، واسْـــتفيقي ... وابتغـــي مرضـــاة الحلـــيم الغفـــورِ

أعاجيبُ قلب قاس

(لخلافاتٍ قامت بينها وبين جارتها قاطعتْها لسنوات عديدة. وذات يوم تذهب جارتها إلى المستشفى في حالة طارئة ، لم تكن لتستعد لها أبداً. فتركت ابنها ذا السنوات الثلاث في الشارع مضطرة ، فقد أتاها ما شغلها. فأخذْته الجارة القاطعة الهاجرة ، ونظفته وأطعمتْه وقامت على شأنه. وأدخلت الفرحة على قلبه بإعطائه بعض اللعب من لعب أولادها الصغار الذين هم في مثل سن ذلك الطفل البائس. فعلت ذلك كله ابتغاء وجه الله على حد تعبيرها. فتعجبتُ من هذا القلب. وقررتُ أن أصف شعوري شعراً فضلاً عن كتابة رواية عن الموقف! والشاعرة رشا القاسم ترى جملة تشخيصات تعرض لها ببساطة حول رؤيتها لطابع الإشكال الشعري من خلال عوامله الداخلية أو بالمقارنة بالرواية وتسيّد الأخيرة المستمرّ على مساحات كانت تُحتسب للشعر فيما مضى. تصف رشا «ما حدث» بأن أحد أسبابه هو أن لغة المجتمع تغيّرت عن لغة الشاعر ، فصار جمهور الشعراء هم الشعراء من ذات جنسه ولونه ، بينما التفت المجتمع إلى أجناس أدبية أخرى ذات لغة وأسلوب سهلين ومفهومين. ما يحدث اليوم هو أن الشاعر الحقيقي يواجه أزمة قرّاء ، والقارئ المثقف يواجه أزمة في الشعر. وتضيف القاسم نعم ، أصبح الشعر أكثر يُتمًا ، ليس لأن الرواية تحاكي بشكل أدقّ معاناة الواقع العراقي أو العربي فحسب ، بل إن شروط كتابة الرواية سابقًا اختلفت عن شروط كتابتها اليوم بدءًا من الأسلوب وصولًا إلى عدد الصفحات. كما أنها لا تتداول الرموز التي يتناولها الشعراء في نصوصهم ، وقد يتوافر ذلك في بعض النصوص ، لكن ليس كما هو في الرواية).هـ. واستقر الرأي في النهاية على هذه القصيدة لوصف الحدث.)

عجبـــــتُ لقلبـــــكِ كـــــل العجـــــبْ ... ومـمـــــا فعلـــــتِ اليـــــراعُ اضـــــطربْ

فكيـــــف يصـــــوّر مـــــا قـــــد رأى؟ ... وإن الـــــذهول بـــــه يَلتهـــــب

تباركـــــتَ ربـــــي خلقـــــتَ الـــــورى ... فهـــــذا عبـــــوسٌ ، وهـــــذا طَـــــرِب

وتلـــــك تُبـــــاهي بجاراتهـــــا ... فتغفـــــر مـــــا قـــــد تـــــرى مِـــــن نُـــــوَب

وتلـــــك تُعـــــادي بـــــلا غايـــــةٍ ... وأيَّ التســـــامح ليســـــت تُحـــــب؟

وقـــــد تتحـــــول فـــــي لحظـــــةٍ ... وكـــــان الخيـــــالَ بـــــأن تنقلـــــب

فتبـــــذلُ خيـــــراً لمحتاجـــــهِ ... بكـــــل الرضـــــا ، وبـــــدون الطلـــــب

وتُصـــــبح أمّـــــاً لطفـــــل غـــــدا ... شـــــريداً بنـــــار الأســـــى يَختضـــــب

تحِـــــن عليـــــه ، وتُهـــــدي لـــــه ... شـــــهيَّ الطعـــــام وبعـــــضَ اللّعَـــــب

وتحمـــــل عنـــــه عـــــذابَ الجـــــوى ... وفـــــرط النـــــوى وســـــعيرَ الوصـــــب

إلـــــي أن تعـــــود لـــــه أمـــــه ... فتـــــأوي إلـــــي الـــــدار كـــــي تحتجـــــب

وتُحْيـــــي لهيـــــب الشـــــقاق الـــــذي ... تمـــــادى ، وتُهـــــدي لظـــــاه الحطـــــب

اعتراف قلب قاس

(يقول الله - عز وجل -: (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك ، فهي كالحجارة أو أشد قسوة ، وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون). وإذن فكثرة ذكر الله تعالى آناء الليل وأطراف النهار وكثرة قراءة القرآن وكثرة الخطا إلى القبور وكثرة مسح المؤمن على رأس يتيم وكثرة مدارسة العلم وكثرة المشي في حاجات المسلمين (قضيت أو لم تقض) وكثرة التأمل في آيات الله في الكتاب الكوني المفتوح وكتاب الله المتلو القرآن ، كل هذه الأعمال تساعد على رقة القلب ومحو قسوته وإبعاد غلظته وإزهاق جفائه ، كما تساعد على دحر المحن والبلايا التي تكاد تحيق بالإنسان لولا رحمة ربه! والحقيقة أن المحن والإحن والمصائب والرزايا جديرة في حد ذاتها بأن ترقق القلب إن جأر صاحبها إلى الله وتضرع له وبكى بين يديه وسأله صرفها عنه وتطهيره من ذنوبه! وعندما يخرج المؤمن الموحد القانت من محنة إلى محنة ، ومن ابتلاء إلى ابتلاء ، ومن امتحان إلى امتحان ، ومن فتنة إلى فتنة ، ويجأر إلى الله ويفر إليه ويلجأ إلى جنابه ويأوي إلى ركنه الشديد ، فإنه من الطبيعي أن يرق قلبه ويلين ويتذكر ويتبصر ويعتبر. ولكن عندما يستأثر به شيطانه فيصور له أنه فاشل فاسل ، وأنه لا فائدة من أخذ العبرة والدرس والعظة فإن القلب ساعتئذ يقسو ويضطرب. والقلب إن وصل إلى هذي المرحلة ولم تتداركه رحمة ربه البر الرحيم ضاع صاحب هذا القلب العطيب! وصدق النبي – صلى الله عليه وسلم – إذ يقول: (ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب). وإذن فالقلب أساس الصلاح والفساد ، نسأل الله القلب السليم (الخالي من الشرك) في الدنيا والآخرة ، (إلا من أتى الله بقلب سليم) ، إنه ولي ذلك والقادر عليه. وعموماً أمور القلوب كما وصفه النبي – صلى الله عليه وسلم – إذ وصفها بقوله: (قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء. إن الخراب إذا حصل والفِرار إذا نزل ، يكون مرْجع ذلك كله إلى هذه القلوب إذا كانت خاوية ، يقول الله عز وجل: (وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً). فينظر كيف تعملون! وهذه التحركات والتصرفات محسوبةٌ علينا ، وسنبعث ونرجع جميعاً إلى الله عز وجل: (ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ). ما مدة لبثنا في هذه الدنيا ؛ وما طول مقامنا فيها؟ لا شيء بالنسبة لما سيأتي بعد الموت من الحياة الدائمة الخالدة المستقرة في الدار الآخرة ، ولذلك لا بد أن نُري الله تعالى من أنفسنا خيراً ، ولا بد أن نأخذ للأمر أهبته ، وللميدان عدته حتى تتحد القلوب في مواجهة الشر والكفر ، وليكون المسلمون يداً واحدة أمام عدوهم. وإن تحركات المسلم ليست طائشة ، ولا هوجاء ؛ لأنها يجب أن تكون منضبطةً بنور هذه الشريعة ، وينبغي أن يكون نور الوحيين هو الذي يعمل عمله وفعله في قلوب الناس في أوقات الشدائد ، وإذا كان للجوارح أعمالٌ كالصلاة والحج والجهاد ، فإن للقلوب أعمالاً أعظم من ذلك بكثير ؛ لأن عمل القلب ينبني عليه صلاح عمل الجوارح أو فسادها. ولذلك فينبغي للمسلم أن يهتم بقلبه جداً في أوقات المحن - ونحن نمرُ ولا شك بمحنة - وإن الحوادث من حولنا تُوجب علينا أن نكون أكثر بصيرةً من ذي قبل ، وينبغي أن تكون قلوب المسلمين حية ؛ لأن القلب الميت لا خير في صاحبه. قال الله تعالى: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ). وإذا كان ذلك كذلك فإن كل مسلم قانت لا بد وأن يتعهد قلبه ويقفه على حدود طاعة ربه والالتزام بأوامره واجتناب نواهيه. ذلك أن القلب إما أن يرفعه في أعلى عليين إذا أخلص دينه لله ، كما يمكن أن يجعل صاحبه في أسفل السافلين إذا خبث وفسد!!

فليتفقد كل مسلم قلبه وليتعهده بالخير! وليحاول المسلم مراراً وتكراراً أن يأخذ بأسباب تزكية القلب ، ويبتعد عن أسباب تدسيته حتى لا يقسو!)

إيـــه يـــا قلبـــاً فـــي الســـراب تمـــادى ... كيـــف تلقِـــي – فـــوق اليقـــين – الرمـــادا؟

اتـــركِ الإفـــلاس المريـــر ، وجاهـــدْ ... يـــا عزيـــزي: دع عنـــك هـــذا الســـوادا

قـــد زللنـــا يـــا قلـــب بـــين البرايـــا ... لـــم تعظنـــي بـــل صـــرتَ فـــيّ جمـــادا

كـــم دهتنـــا – بـــين الأنـــام - خطـــوبٌ ... كنـــت لـــي فيهـــا واعظـــاً وعِمـــادا

فلمـــاذا القلـــب الســـليم صـــموتٌ؟ ... أتـــلُ - يـــا قلبـــي - النصـــحَ والإرشـــادا!

أيـــن يـــا قلبـــي البـــذلُ منـــك؟ أجبنـــي! ... كيـــف قلبـــي - فـــي الموبقـــات - تمـــادى؟

فأجـــاب القلـــب الكئيـــب: ترفـــقْ ... رغـــم أنفـــي أضـــنى اكتئـــابي المِـــدادا

فـــإذا بـــي فـــي الحـــزن والضـــنك وحـــدي ... أشـــربُ الحـــزن ، وأستســـيغ الحِـــدادا

آه مـــن قيـــد الـــوزر ، جـــافٍ وعـــاتِ ... ولقـــد عـــانى الصـــبرُ عنـــدي النفـــادا

قـــد وَنـــى فـــيّ العـــزمُ ، فاســـع وحيـــداً ... زال عطفـــي ، إذ لا أطيـــق العِبـــادا

عضـــلتْ بـــي - فـــي الجـــد - آلامُ حزنـــي ... فـــانزوى عزمـــي ، والتحفـــتُ الرقـــادا

ودخلـــتُ الحـــربَ الرهيبـــة ميْتـــاً ... وترانـــي فيهـــا خـــذلتُ الجيـــادا

مُضـــغة خـــارت - فـــي جواهـــا - قواهـــا ... ثـــم أمســـتْ لا تســـتبين السَـــدادا

قلـــتُ: يـــا قلبـــي خفـــف اللـــوم هـــذا ... أتظـــن مـــا فاتنـــا أن يُعـــادا؟

كيـــف ترضـــى عيشـــاً يُعـــاني قروحـــاً؟ ... كيـــف تهـــوى فـــي العائـــدات الحِيـــادا؟

إننـــي بالقلـــب الجـــريح سأمضـــي ... إنـــه أضـــحَى - فـــي نائبـــاتي - عَتـــادا

كيـــف أســـعى - بـــين الـــورى - دون قلـــب؟ ... إن مِـــن حســـن المـــرء هـــذا الفـــؤادا

اعترافات العذراء

(كانت تكيد لصويحباتها في الخفاء ، فتفرق بين زوجةٍ وزوجها ، وتخرب بيتا كان عامراً بأهله ، وتفسد ذات البين ، وتغتاب وتنم ، وتتقول وتتخرص بالباطل ، وتشهد الزور ، وتحيك الإفك والزيف ، وتكذب وتغش. وأحياناً يكون عدم الزواج لفتاةٍ هذا شأنها فتنة. فلما ابتلاها الله بعقاب من عنده ، اعترفت وندمت بعد أن بانت لها الحقيقة واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار. واستغفرت ربها وأنابت إليه ، وعلى الله القبول. غير أنني كنتُ قد انفعلتُ بمواقفها ، ورحت أحكى عنها شعراً وهي تصف حالها بعد التوبة والندم! لقد سنت سنة سيئة وهي إفساد ذات البين بدلاً من أن تسعى لإصلاحها! ويذكرنا هذا بالرجل الذي تصدق فتبعه الناس على صدقته! فكان هذا منه أفضل بكثير ممن سن سنة البخل والشح! ففي صحيح مسلم، عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي صَدْرِ النَّهَارِ ، قَالَ : فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ ، عُرَاةٌ ، مُجْتَابِي النِّمَارِ ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ . فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنْ الْفَاقَةِ فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} ، وَالْآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: {اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ} ، تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ ، مِنْ دِرْهَمِهِ ، مِنْ ثَوْبِهِ ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ). قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا ، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ ، ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً ، فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً ، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ».)

إني انقهرتُ من الفعال الجافي ... والقلبُ عانى من لظى الإجحافِ

أفسدتُ ذات البين دون جريرةٍ ... ومضيتُ أقطع تارة ، وأجافي

فرَّقتُ بين حليلةٍ وحليلها ... وحملتُ عبأهما على الأكتاف

واغتبتُ هذي ، ثم هذي عِبتُها ... ونفيتُ عن هاتيك كل عفاف

وطعنت هذي في خميلةِ طهرها ... ووصفتُ ذي برذائل الأوصاف

وخصصت جاراتي بأقبح سيرةٍ ... وقطعتُ عفتهن بالأسياف

وهتكتُ أعراضاً بدون مبرر ... وغرستُ كيدي في سنا الأشراف

هذي اعترافاتي ، وهذي فِتنتي ... ومصائبي في الناس بالآلاف

خالفتُ دين الله ، تلك بليتي ... وخرقتُ سمْت العقل والأعراف

حتى قلاني الكل ، صرتُ كليلة ... وانفضْ عني طيّبُ الأضياف

في حالةٍ هم أنصفوا إذ قاطعوا ... مثلي ، وكنتُ قليلة الإنصاف

رباه تُبتُ ، وقد علمتُ خطيئتي ... فاغفرْ ، وُردَّ ليَ الإخاءَ الصافي

اكتشاف الخليل

(كثير من الناس يظنون أن الخليل بن أحمد الفراهيدي قد اخترع بحور الشعر. وهذا محض خطأ. والصواب أنه اكتشفها في شعر العرب وقد قمت بتفصيل ذلك في مقدمة قصيدة (اللاشعر المتفلت). واليوم أبين الحقيقة ، وأهدي الخليل قصيدتي هذه التي تحمل عنوان: (اكتشاف الخليل). وربي المستعان. وأذكر هنا ما أورده صاحب (ميزان الذهب في صناعة شعر العرب) الأستاذ السيد أحمد الهاشمي ، نقلاً عن الخليل بن أحمد نظمه لبحور الشعر العربي شعراً (بالتفعيلة والشواهد القرآنية والشعر). ويكون ذلك مني بمثابة المفتاح لكل مبتدئ والتذكرة لكل متقن: نعم نوردها هنا للفائدة من جهة ، ومن جهة أخرى لنثبت أن القرآن قد حوى كل شيء! وصدق ابن مسعود: (لو ضاع مني عقال بعير لوجدته في كتاب الله!) نظم الشهاب أوزان البحور الستة عشر السابقة فقال:

(الطويل)

أطـــال عـــذولي فيـــك كفرانـــه الهـــوى وآمنـــت يـــا ذا الظبـــي فـــأنس ولا تنفـــرْ

فعـــولن مفـــاعيلن فعـــولن مفـــاعلن فمـــن شـــاء فليـــؤمن ومـــن شـــاء فليكفـــرْ

(المديد)

يـــا مديـــد الهجـــر هـــل مـــن كتـــاب فيـــه آيـــات الشـــفا للســـقيم

فـــاعلاتن فـــاعلن فـــاعلاتن تلـــك آيـــات الكتـــاب الحكـــيمِ

(المديد)

لـــو مـــددنا بابتهـــال يـــديْنا نـــرتجيكم هـــل يكـــون العطـــاءُ؟

فـــاعلاتن فـــاعلن فـــاعلاتن إن زعمـــتم أنكـــم أوليـــاءُ

(البسيط)

إذا بَســـطت يـــدي أدعـــو علـــى فئـــةٍ لامـــوا عليـــك عســـى تخلـــو أمـــاكنهم

مســـتفعلن فـــاعلن مســـتفعلن فعلـــن فأصـــبحوا لا تـــرى إلا مســـاكنهم

(الوافر)

غرامـــيَ فـــي الأحبـــة وفرتْـــهُ وُشـــاة ـ فـــي الأزفـــة ـ راكزونـــا

مفـــاعلتن مفـــاعلتن فعـــولن إذا مـــروا بهـــم يتغـــامزونَ

(الكامل)

كملتْ صفاتك يا رشا وأولو الهوى قد بايعوك ، وحظهم بك قد نما

متفاعلن متفاعلن متفاعلن إن الذين يبايعونك إنما

(الهزج)

لئن تهزجْ بعشاق فهم في عشقهم تاهوا

مفاعلين مفاعلين وقالوا حسبنا اللهُ

(الرجز)

ياراجزاً باللوم في موسى الذي أهوى وعشقي فيه كان المبتغى

مستفعلن مستفعلن اذهب إلى فرعون إنه طغى

(الرمل)

إن رملتم نحو ظبي نافر فاستميلوهُ بداعي أنسِهِ

فاعلاتن فاعلاتن فاعلن ولقد راودتُه عن نفسهِ

(السريع)

سارع إلى غزلان وادى الحمى وقل أيا غيدُ ارحموا صبكم

مستفعلن مستفعلن فاعلن يا أيها الناس اتقو ربكم

(المنسرح)

تنسرح العين في خديد رشا حيّي بكأس وقال خذه بفي

مستفعلن مفعولات مستفعلن هو الذي أنزل السكينة في

(الخفيف)

خف حملُ الهوى علينا ، ولكنْ ثقلته عواذل تترنمْ

فاعلاتن مستفعلن فاعلات ربنا اصرف عنا عذاب جهنمْ

(المضارع)

إلـــــــى كـــــــم تضـــــــارعونا فتـــــــىً وجهـــــــه نضـــــــيرُ

مفاعيـــــــــل فـــــــــاعلاتن ألـــــــم يـــــــأتكم نـــــــذيرُ

(المقتضب)

اقتضـــــب مـــــن وشـــــاةِ هـــــوىً مـــــن ســـــناك حـــــاولهم

مفعـــــــــولات مفـــــــــتعلن كلمـــــــا أضـــــــاء لهـــــــم

(المجتث)

اجتـــــث مـــــن عـــــاب ثغـــــرا فيـــــه الجمـــــانُ النظـــــيمُ

مســـــتفع لـــــن فـــــاعلاتن وهْـــــو العلـــــي العظـــــيم

(المتقارب)

تقـــاربْ وهـــات اســـقني كـــأس مـــاءِ وباعـــد وشـــاتك بعـــد الســـماءِ

فعـــولن فعـــولن فعـــولن فعـــولن وإن يســـتغيثوا يغـــاثوا بمـــاءٍ

(مخلع البسيط)

خلعـــتُ قلبـــي بنـــار عشـــق تصـــلى بهـــا مهجتـــي الحـــرارة

مســـتفعلن فـــاعلن فعـــولن وقودهـــا النـــاس والحجـــارة

(المتدارك – الذي تدارك به الأخفش على الخليل)

دارِكْ قلبـــي بلمـــى ثغـــر فـــي مبســـمه نظـــمُ الجـــوهرْ

فعلـــن فعلـــن فعلـــن فعلـــن إنـــا أعطينـــاك الكـــوثرْ

وإذن فالشعر العربي كلام موزون مقفي ذو معني ووحدة موضوعية وهدف. وإلا يكن ذلك كذلك ، فليس بشعر ما كان على خلاف ما ذكرنا ، ولا يعتبر صاحبه شاعراً! ولقد أورد عبد الوهاب الزنجاني ، في كتابه (القسطاس في علم العروض) ، ما يفيد ثناءه الحار الجيد على معلمه جار الله الزمخشري مبيناً أهمية عروض الشعر فقال ما نصه: (ولَعَهدي بهذه الأصناف لا يُسمَعُ لها صدًى ، ولا تُرى لها عينٌ ولا أثر ،

فيما بين أهل بلادنا ، وساكنه ديارنا. اللهمَّ إلاَّ متنَ اللغةِ ، هكذا غُفلاً لا يَسِمهُ التحقيق ، وعرياناً لا يُشمل بالإتقان ، إلى أن قيَّضَ اللهُ للعَمَى أن تنكشف ضبابته ، وللجهل أن تنقشع ربابته ، بيُمن نَقيبةِ سيّدنا وأميرنا ومولانا ، الإمام الأستاذ الرئيس الأجلّ ، فريدِ العصر ، فخرِ العرب والعجم ، جمالِ الزمان ، نجمِ الدّين ، أدام الله عزَّ الفضلِ وأهلهِ ، بإطالة بقائه ، وإدامة علائه. لا جرَمَ أنه فتح الأبواب إلى تلك الفضائل ورفع الحجب دون أولئك المناقب ، مُفهِمّاً ومُوقِفّاً ومُرشداً ومطرّفاً ، ومُرشّحاً ومُرغبّاً. حتى أنهجتِ المسالكُ ، واتلأبَّتِ الأساليب ، وهزَّ الأدبُ مَناكبَه وأرخى الفضل ذوائبه ، وغادر بذلك آثاراً أبقى من المسند لا ينمحي رقمُها ، ولا ينطمس رسمهُا. فمتى تفوَّهنا بحرف من الأصناف المعدودة ، فهو التقاط من ذلك المعدِن ، واستقاء من ذلك المَصبّ. وقد لاحت لي ، ببركات الانتماء إلى حَضْرته ، ومَيامن الانضواء إلى سُدَّتِه ، طريقةٌ في باب العروض عذراء ، ما أظنُّها وُطئت قبلي. فعمدتُ إلى تحرير هذه النسخة منها ، وأوفدتُها على مجلسه العالي ، لأفّخِمَ شأنها ، وأعلي مكانها ، بمدّ يده إليها ، واطّلاِع عينه عليها. فإنه شريعة للفضائل يُحام حواليها ، ومدينة للعلوم والآداب يهاجَرُ إليها. إنَّ بناء الشعر العربي على الوزن المُخترعِ ، الخارج عن بحور شعر العرب ، لا يَقدحُ في كونه شعراً عندَ بعضهم. وبعضُهم أبى ذلك ، وزعم أنه لا يكون شعراً حتى يُحامَى فيه وزن من أوزانهم. والذي ينصر المذهب الأول هو أن حَدَّ الشعر لفظٌ موزونٌ ، مقفي يدلّ على معنى. فهذه أربعة أشياء: اللفظ ، المعنى ، الوزن ، القافية. فاللفظ وحده هو الذي يقع فيه الاختلاف بين العرب والعجم. فإنَّ العربيّ يأتي به عربيّاً ، والعجميّ يأتي به عجميّاً. وأما الثلاثة الأُخر فالأمر فيها على التَّساوي بين الأمم قاطبة. ألا ترى أنا لو علمنا قصيدة على قافية ، لم يُقَفّ بِها أحدٌ من شعراء العرب ، ساغ ذلك مساغاً لا مجالَ فيه للإنكار. وكذلك لو اخترعنا معاني ، لم يسبقونا إليها ، لم يكن بنا بأس ، بل يُعدّ ذلك من جملة المزايا وذلك لأن الأمم عن آخرها متساوية بالنسبة إلى المعاني والقوافي والافتنان فيها ، لا اختصاص لها بأمة دون غيرها. فكذلك الوزنُ ، لتساوي الناس في معرفته ، والإحاطة بأن الشيئين إذا توازنا ، وليس لأحدهما رُجحان على الآخر ، فقد عادل هذا ذاك ككفَّتي الميزان. ثم إنَّ من تعاطى التصنيف في العروض ، من أهل هذا المذهب ، فليس غرضه الذي يؤمّه أن يحصر الأوزان التي إذا بُني الشعر على غيرها لم يكن شعراً عربيّاً ، وأنَّ ما يرجع إلى حديث الوزن مقصور على هذه البحور الستةَ عشرَ لا يتجاوزها. إنما الغرض حصر الأوزان التي قالت العرب عليها أشعارهَا. فليس تجاوز مقولاتها بمحظور في القياس ، على ما ذكرت. فالحاصل أنّ الشعر العربيّ ، من حيث هو عربيّ ، يفتقر قائله إلى أن يطأ أعقاب العرب فيه ، فيما يصير به عربياً. وهو اللفظ فقط ، لأنهم هم المختصّون به. فوجب تلقيه من قِبَلِهم. فأما أخواته البواقي فلا اختصاص لهم بها البتة ، لتشارك العرب والعجم فيها.)هـ. فذكرنا ذلك كله بكلمة ابن مسعود: (والله لو ضاع مني عقال بعيري لوجدته في كتاب الله). ولما كانت الشبكة تجري حوارا مع الدكتور عدنان النحوي قال حفظه الله: (باستعراض الساحة الأدبية نجد أن بعض الأدباء المسلمين تأثروا بنسب مختلفة بالنظريات العلمانية الغربية، وبرز التأثر في إنتاجهم وعطائهم، وأوضح مثال على ذلك ما يسمى بالشعر الحر بين النثر والتفعيلة، والذي أسميه الشعر المتفلت، ولقد انتشر هذا الشعر انتشاراً واسعاً في المجلات الإسلامية ولدى عدد غير قليل من الشعراء المسلمين. ولقد أصبح واضحا في الساحة الأدبية أني أرفض هذا الشعر المتفلت بجميع أشكاله، وأعتبره خطراً على اللغة العربية وأدبها، ولقد أوضحت رأيي بوضوح تام في معظم كتبي الأدبية وخاصة كتابي (الشعر المتفلت بين النثر والتفعيلة وخطره). ومن ناحية أخرى فقد تأثر بعض الأدباء المسلمين بالحداثة والبنيوية والأسلوبية وغيرها ، وقد يصرح بعضهم بذلك ، وقد يتردد آخرون ، ولكنني فندت هذه

الاتجاهات كلها وما يتبعها من اتجاهات فكرية على أسس علمية وإيمانية دون الهبوط إلى مهاترات ، وأساس ذلك كله عندي الكتاب والسنة، المصدر الذي وفر لدي كل الحجج التي أحتاجها في هذه الأبحاث والدراسات وغيرها، وما كنت أنا نفسي سابقاً أدر ك حقيقة هذا الكنز العظيم الكنز الرباني، ومع هذه الدراسات أصبح الإدراك إيمانياً عملياً مشاهداً في التطبيق).هـ. وهذا تحليل رائع للغاية! وأشكر للدكتور النحوي غيرته الشديدة على الإسلام ، والكتاب والسنة ، واللغة العربية والشعر العربي الأصيل!)

شـــاد الخليـــلُ - مـــن الأشـــعار - أوزانـــا ... وكـــان رائـــدُه - فـــي الصـــنع - قرآنـــا

لـــم يخترعْهـــا ، ولكـــنْ كـــان مُكتشـــفاً ... أمســـى الـــذكاء - لهـــذا الفـــذ - عنوانـــا

لمّـــا رأى الضـــاد مثـــل البحـــر زاخـــرة ... رمـــى الشـــباك ، وصـــاد الشـــهم مَرجانـــا

وفـــي تصـــوره مـــاد القـــريضُ هـــوىً ... ومـــدّ كفـــاً - ببـــذل الشـــكر - عِرفانـــا

حتـــى وجـــدنا بحـــور الشـــعر ضـــاحكة ... تزجـــي الحبـــور ، لمـــن يريـــد برهانـــا

أمـــا الخليـــل فقـــد أهـــدى مباحثـــه ... وخـــط – للشـــعر - أشـــراطاً وميزانـــا

ومهّـــد الـــدرب – للبـــاغين - تبصـــرة ... ومـــن يـــروْن - لنســـج الشـــعر - حُســـبانا

حتـــى إذا نقـــش الشُـــعرا قصـــائدهم ... حـــاز الخليـــلُ - مـــن الأجـــور - قربانـــا

كـــذا القـــريض مـــدينٌ للخليـــل ، ومـــا ... أدى ، وقـــد يُثقَـــل المـــدينُ أحيانـــا

تـــدارك (الأخفـــشُ) الخليـــلَ محـــتملاً ... لـــومُ النحـــاة ، وقـــد أتـــم نقصـــانا

لأنـــه اكتشـــف (الحـــديث) مختبئـــاً ... بـــذا أتـــم - لشـــعر العُـــرْب - بنيانـــا

إن العَـــروض مـــن القـــريض سُـــؤدَدهُ ... لعلمـــه أصـــبحا – والله - صِـــنوانا

ولـــيس شـــعر بـــلا وزن وقافيـــةٍ ... كـــيلا نخـــرّب أذواقـــاً وأذهانـــا

تفعيلـــة الشـــعر قـــد ضـــاق القـــريض بهـــا ... (وشـــعر تفعيلـــة) الأوبـــاش أخزانـــا

كفـــي هُـــراءً وتغريبـــاً وحَذلقـــة ... يـــا قومَنـــا أتقنـــوا القـــريضَ إتقانـــا

أكرموا ضيفكم (العيد)

(تخيلتُ العيد ضيفاً طرق الأبواب ، واستأذن بالدخول ، والقوم نيام عن صلاته ونسكه وفرحته ، فأخذ يلومهم ويذكرهم. وكأني به يستجدي كرم ضيافته منهم ، فرحتُ أطلب إكرامه! والعيد من خير الضيوف لأنه يأتي في مناسبة سعيدة وبعد عبادة عظيمة ، إما الصيام فعيد الفطر السعيد ، وإما الحج فعيد الأضحى المجيد. وإنه للعيب كل العيب أن يحل ضيف بدار قوم ثم لا يكرمونه ولا يرحبون به!)

ألا إنـــــي أتيـــــتُ ، فـــــأكرموني ... وفـــــوق رؤوســـــكم فلتحملـــــوني

أنـــا العيـــدُ الـــذي يهـــدي سَـــناهُ ... نفوســـاً تهتـــدي بهُـــدى الأمـــين

وأحمـــل بهجتـــي لمَـــن احتـــواني ... مُعطـــرة ببارقـــة الحنـــين

ترانيمـــي تُجمّـــل كـــل بيـــتٍ ... وفـــي الأنغـــام زهـــرُ الياســـمين

أهـــازيجي مزخرفـــة الســـجايا ... بباقـــاتٍ مـــن الشـــعر الرصـــين

يواقيـــتُ الســـعادة فـــيَّ فاضـــتْ ... علـــى الأصـــقاع بـــالنور المبـــين

أهنـــيء مســـلمي الـــدنيا بـــذكرى ... خليـــل الله فـــي البلـــد الأمـــين

لقـــد هَـــمَّ الخليـــلُ بـــذبح إبـــن ... وتـــل الإبـــن صـــدقاً للجبـــين

فنـــودي: قـــد صَـــدَقْت ، وذا فـــداءٌ ... ســـيُفدى الابـــنُ بالـــذبح السَّـــمين

ألا قومُـــوا ، فصـــلوا ، ثـــم ضـــحُوا ... وأحيـــوني بفـــرح مســـتبين

شُـــرِعْتُ لتفرحـــوا بـــين البرايـــا ... وكـــي تتفكـــروا لـــو بعـــد حـــين

ألا أرحـــامُكم أولـــى بوصـــل ... لمـــاذا الهجـــرُ؟ يـــا نـــاسُ افهمـــوني

ألا واســـتمتعوا بالعيـــد دومـــاً ... ولكـــنْ وفـــق مـــا يُمليـــه دينـــي

وإكـــرامُ الضـــيوف بمـــا أحبـــوا ... ومـــا الإكـــرام بـــالمرح المشـــين!

ألا بلّغْـــتُ ، والمـــولى شـــهيدٌ ... فصـــونوا النصـــحَ فـــي مُقَـــلِ العيـــون

الأب الحقيقي

(إن الأبوة ليست بمجرد الانتساب ، بل هي بذلٌ وجهدٌ وعطاءٌ ونصيحة وتضحية. أورد الخولي في قصصه الواقعية تحت عنوان (الأب الحقيقي) قصة ملخصها: (دخل الأب منزله كعادته في ساعةٍ متقدمةٍ من الليل ، وإذ به يسمع بكاء من غرفة ولده. فدخل عليه فزعاً متسائلاً عن سبب بكائه ، فردّ الابن بصعوبة: لقد مات جارنا فلان (جد صديقي أحمد) ، فقال الأب متعجباً: ماذا! مات فلان! فليمت عجوز عاش دهراً ، وهو ليس في سنك يا بني ، وتبكي عليه كل هذا البكاء ، يا لك من ولدٍ أحمق لقد أفزعتني ، ظننت أن كارثة قد حلت بالبيت ، ربما لو أني مُت لمَا بكيت عليّ هكذا! نظر الابن إلى أبيه بعيون دمّاعة كسيرة قائلاً: نعم لن أبكيك مثله! هو مَن أخذ بيدي إلى الجُمَع والجماعة في صلاة الفجر ، وهو من حذرني من رفاق السوء ، ودلني على رفقاء الصلاح والتقوى! هو من شجعني على حفظ القرآن وترديد الأذكار. أنت ماذا فعلت لي؟ كنت لي أباً بالاسم ، كنت أباً لجسمي ، أما هو فقد كان أباً لروحي ، اليوم أبكيه وسأظل أبكيه ، لأنه هو الأب الحقيقي ، ونشج بالبكاء. عندئذٍ تنبه الأب إلى غفلته ، وتأثر بكلامه واقشعر جلده ، وكادت دموعه أن تسقط ، فاحتضن ابنه وتاب إلى الله منذ ذلك اليوم ولم يترك أي صلاة في المسجد. وأحسن إلى ابنه).هـ. ومن هنا جاز القول عندنا بأن الأب الحقيقي هو الأب الذي يُربّي وينشئ ويضع التصورات الصحيحة عن القيم ومنظومة الأخلاق ، ويتابع تطبيقها في الحياة العملية. أما الأب الذي كل همّه البيت الوسيع المترف الراقي والأثاث الجميل والطعام اللذيذ الشهي والملابس الأنيقة الغالية الأثمان والمستوى المعيشي الذي يحلم به الأبناء ، أقول بأن هذا كله بدون القيم والأخلاق لا يعطي هذا النوع من الآباء وصف الأبوة الحقيقية الحانية ، التي ينبغي أن يكون عليها الآباء في الحياة. وأذكر أنني أيام كنت في عمر ذلك الصبي بطل قصيدتنا كنتُ أحرصُ الحرص كله على مصاحبة الكبار الذين منهم من يفوق سن أبي أو يقل قليلاً. وما ذاك إلا للاستفادة من خبراتهم الحياتية. وهذا أمرٌ قد عُرفتُ به ، يدركُه الكبير والصغير من أقربائي ومن الراسخين في معرفتي. وما ندمتُ يوماً على صحبة هؤلاء. وفي (منتديات الشروق) كان تعريفٌ للأبوة أقتبسه كما هو: (يعتقد الكثيرون أن دور الأبوين ينحصر في مجرد إطعام الأولاد وكسوتهم وصرف المال لعيشهم فقط. لكنهم لا يعلمون أن الأبوة الحقة تكمن في إظهار عاطفة الآباء تجاه أبنائهم ، في حبهم وحنانهم. إضافة إلى تكوينهم وتعليمهم نفسياً ليتحملوا متاعب الحياة. قليل فقط مكن الأولياء ، ومعظمهم من طبقة المثقفين ممن يعلمون بهذه الحقيقة. كما أن البعض الآخر يجد صعوبة في تربية ابنه مما يجعله ابناً عاقاً ، عندها يلقي كل اللوم عليه لأنه غير مؤدب ، وقد لا يدرك أنه السبب في حصول ذلك ، فشخصية الطفل تتكون من محيطه الذي يعيش فيه ، ألا وهو الأسرة. قد لا ينجح الكثيرون ممن ضاقت بهم الدنيا في الاعتناء مادياً بأبنائهم ، لكنهم يوجهون جُل حبهم وعواطفهم تجاههم وهذا بالضبط ما يحتاجه الأبناء: الحب والحنان. على عكس البعض ممن يسرفون في صرف الأموال الباهظة من أجل أن يلبس أبناؤهم أجمل الثياب ويسكنوا أفخم منزل ، وبذلك تشغلهم تلك الأموال عن إظهار عواطفهم وحنانهم).هـ. ومن هنا أعجبتني قصة الفتى ، فأنشدتُ تحت عنوان (الأب الحقيقي) الذي هو تعبير الابن عن صديقه الرجل الأشيب ، هذه الأبيات من البحر الكامل وقافية الراء!)

كـــم فـــي المقـــابر غَيّـــبٌ حُضـــارُ! ذهبـــوا ولمّـــا تـــذهبِ الآثـــارُ!

حـــازوا الكرامـــة والشـــرافة والإبـــا ونعـــاهُمُ الشـــعراءُ والأشـــعار

واســـــــتأثروا بمناقـــــــب وضـــــــاءةٍ ... وغـــدتْ لهـــم - بـــين الـــورى - أقـــدار

بلغـــوا الذؤابـــة فـــي التفضـــل والعطـــا ... وعلـــى الشـــهامة فـــي الخلائـــق غـــاروا

وتفـــرّدوا بالمجـــد والحُســـنى معـــاً ... وتـــواردتْ عـــن ذلـــك الأخبـــار

وتحمّلـــوا فـــي البـــذل كـــل كريهـــةٍ ... مـــا ردّهـــم عمّـــا ارتـــأوْه ضِـــرار

حتـــى غـــدَوْا بـــين الأنـــام منـــارة ... فالنـــاسُ أرضٌ ، والأبـــاة مَنـــار

هـــم أخلصـــوا لله دينـــاً ، فاســـتمَوْا ... ولهـــم بـــذلك هيبـــة ووقـــار

ولـــئن فنـــوْا ، فـــالله خلّـــد ذِكـــرهم ... هـــم غيّـــبٌ ، لكـــنهم حُضـــار

وعلـــى المهـــيمن لا أزكـــى عبـــده ... جَـــل المليـــكُ الواحـــدُ القهـــار

لكنـــه حـــق الأنـــام وفضـــلهم ... والله مـــا اســـتويا غثـــاً وكِبـــار!

وأخـــصّ بالـــذكر المُبجّـــل جارنـــا ... إذ قـــدوتي - بعـــد النبـــي - الجـــار

هـــذا الأشـــيمط دلنـــي ، وأعـــانني ... والشـــاهدُ الصـــلواتُ والأســـحار

والنـــاسُ والجُمَـــعُ الجلائـــلُ شُـــهَّدٌ ... وأولـــو النهـــى الرئبالـــة الأخيـــار

كـــم خصّـــني بالنصـــح ينشـــدُ رِفعتـــي! ... لا شـــيء مثـــلَ النصـــح حـــين يُعـــار

كـــم مـــن رفـــاق الســـوء حـــذر مُنـــذراً! ... وأنـــا اســـتجبتُ ، وأثمـــر الإنـــذار

فعليـــه رحمـــة ربنـــا مـــا أشـــرقتْ ... شـــمسٌ ، ومـــا كســـح الظـــلامَ نهـــار

وأنـــا - بـــدمع العـــين - قـــد أبنتـــه ... والـــدمعُ - فـــي تشـــييعه - مِـــدرار

أبتـــاهُ تـــبْ حتـــى أحبـــك مثلـــه ... واحقـــرْ ذنوبَـــك ، ربنـــا غفـــار!

الأب الغريب

(لكثرة خلافاتها مع زوجها ، كان زوجها في كل مرة يؤثر السلامة ويلوذ بالصمت ، ثم زادت الأمور بلاءً ، فاعتزل البيت أغلب الوقت. فكان الأولاد يشعرون بأن أباهم غريب عن هذا البيت وأهله. فأنشدت حكاية عنه هذه القصيدة لتكون نذيراً للزوجات اللاتي يرون سعادتهن في جعل البيت يشتعل ناراً لأتفه الأسباب. وإن العواقب وخيمة في النهاية ولا شك. والأصل أن تحل الخلافات بالسلمية والأخلاق والأدب والقيم. ولا أعتقد أن العنف كان قد حل مشكلة يوماً ما. إن العنف يقود إلى العنف. وكلما لزمت المرأة حدودها التي حددتها الشريعة ، كلما كان الأمر إلى السهولة أقرب. وكلما رفرفت على البيت رايات السلام كلما تفيأ الأبناء أرج الحب والعطف والاحترام المتبادل بين أفراد العائلة ودفء المشاعر وعذوبة الأحاسيس بينهم. وكلما كان ذلك كذلك كلما خرج من هذا البيت أبناء أسوياء يحملون مشعل القيم والأخلاق والمبادئ.)

تَغَـــــرَّب إذ لا يحـــــب الخـــــداعا ... وللبيـــــت لـــــيس يريـــــد الضَـــــياعا

وراح يُفـــــتش فـــــي كـــــل وادٍ ... ويَطـــــرق بـــــين الأنـــــام البقاعـــــا

وينشـــــد حـــــلاً لتلـــــك الـــــدواهي ... عســـــاه بـــــه أن يَفُـــــضَّ النزاعـــــا

ويســـــأل أهـــــل التقـــــى والمعـــــالي ... لأن لـــــديهم - مـــــن العلـــــم - باعـــــا

عســـــاه يلـــــوذ بفتـــــوى لـــــديهم ... ليقنـــــع مَـــــن تســـــتلذ الصـــــراعا

عســـــاها تُـــــودّع خُفـــــيْ حُنـــــين ... إذا آثـــــرتْ للخـــــلاف الوداعـــــا

وتُـــــدرك مِـــــن أمرهـــــا مـــــا تـــــردّى ... وتَقتلـــــع الموبقـــــاتِ اقتلاعـــــا

وتُصـــــلح مـــــا أفســـــدتْ دون حـــــق ... وتُطلـــــق - وســـــط الظـــــلام - الشـــــعاعا

وتَمحـــــو اغتـــــراب الحليـــــل احتســـــاباً ... وتَبـــــذل مجهودهـــــا المســـــتطاعا

وتـــــرحم أولادهـــــا مـــــن دمـــــار ... يَزيـــــد النفـــــوسَ جـــــويً والتياعـــــا

وتُخمـــــد فتنـــــة مَـــــن لـــــم يكونـــــوا ... ســـــوى جوقـــــةٍ تســـــتلذ الخـــــداعا

وتُطفـــــئ نـــــاراً لظاهـــــا جحـــــيمٌ ... وكـــــم أحرقـــــتْ - فـــــي البيـــــوت - المتاعـــــا!

وتَـــــدحَر حربـــــاً ضَروســـــاً تـــــداعتْ ... وأورثـــــتِ الآمنـــــين ارتياعـــــا

الأملُ يرتصد التصابي

(كانت طموحاته أكبر من إمكانياته. وعاش على الأمل العذب. وفي كل لحظة يحدوه أمل جديد وليد. ومن كثرة توارد الآمال عليه ، وهو لا يحقق عشر معشارها ، إذا به يُحس في لحظة بأن الأمل يرتصد التصابي ويجتني ثمرات الصبا ونضرة الشباب الغض. فقاوم هذا الشعور ، فعجز في أول المقاومة لأن المشيب قد حل به ، وأخذ يطبع بصماته هو الآخر. فعاش بين أمل يداعبه ومشيب يكبح جماحه ويتوعده. ومن هنا رحت أصف شعوره بين الصبا والمشيب وأبين لمن الغلبة في النهاية! وكانت قصيدتي هذي ترجمة لذلك. لقد كان من دعائه صلى الله عليه وسلم : (اللهم زينا بزينة الإيمان ، واجعلنا هداة مهتدين). رواه أحمد والنسائي. وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم: (رب أعني ولا تُعن علي ، وانصرني ولا تنصر علي ، وامكر لي ولا تمكر علي ، واهدني ويسر الهدى لي ، وانصرني على من بغى علي رب اجعلني لك شكاراً ، لك ذكاراً ، لك رهاباً ، لك مطواعاً ، لك مخبتاً ، إليك أواهاً منيباً ، رب تقبل توبتي ، واغسل حوبتي ، وأجب دعوتي ، وثبت حجتي وسدد لساني ، واهدِ قلبي ، واسلل سخيمة صدري). رواه أحمد والترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح. ولما سُئلت عائشة ـ رضي الله عنها ـ بأي شيء كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم. رواه مسلم. فَدَلّ ذلك على اجتهاده صلى الله عليه وسلم في الدعاء ، وإرشاده إليه ، وتعليمه لأصحابه وأحفاده. وفيما يرويه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن ربِّه تبارك وتعالى أنه قال: (يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم). رواه مسلم . فاسأل ربك الهداية ، فقد قال خليلُ الله إبراهيمُ: (لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ). ومن دعاءِ المؤمنين: (رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ). قال تبارك وتعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ). وكثرة ذكر الله تبارك وتعالى تعين على الثبات على الحق المبين ، فإن الإعراض عن ذكر الله سبب في الضلال ، كما في قوله تعالى: (وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ). وهذه الهداية لا تكونُ مهيأةً في كلِّ وقتٍ للعبدِ المسلم ، فإن الحقّ سبحانه وتعالى قال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ). وفي هذا حثٌّ على المبادرةِ بالاستجابة لله ولرسوله ، قبل أن يأتي يومٌ يَبْحَثُ فيه المسلمُ عن قلبه فلا يجده ، أي أنه يُحالُ بينه وبين قلبه. وهذا الأمر يجب على المؤمنين أن يحذروه!)

الأمنيـــاتُ لهـــا مَعنـــىً ومَضـــمونُ ... وفـــي التصـــابي تُناجيـــكَ البـــراهينُ

أراكَ بالأمـــل المَعســـول مُنبهـــراً ... وقـــد يكـــون مـــع الآمـــال تمكـــين

هـــذي الطموحـــاتُ مَـــن يُعـــين صـــاحبها ... بعـــد المليـــك؟ وعـــونُ الصـــحب مظنـــون

والشـــيبُ داهـــمَ فـــذاً كلـــه أمـــلٌ ... والحـــالُ تحكيـــهِ للنـــاس الـــدواوين

مضـــى الشـــبابُ بخيـــر العمـــر مـــرتحلاً ... كمـــا يَشُـــقّ عُبـــابَ الأبحُـــرِ النّـــون

والـــذكرياتُ - علـــى الشـــراع - باكيـــة ... أمـــا التصـــابي فبـــالأحزان مرهـــون

والعـــيش بالأمـــل الســـعيد مبتشـــرٌ ... وبالرجـــاء يـــزول الهَـــم والهُـــون

والخـوفُ سـيفٌ علـى الإحسـاس سُـلَّ ضـحىً ... لـو كـان لـي مـن أسـى بلـواه تحسـين!

والحـب يُهـدي الطَمـوحَ العـذبَ أمنيـة ... حتـى يكـون لـه فـي الخيـر تطمـين

يـا نـاس قلبـي بمـا أرجـوه محتفـلٌ ... ودربُـه للـذي يسـعى لـه الـدين

لـم آلُ جهـداً ، ولـم أركـنْ لمعـذرةٍ ... وشـاهدي النـاسُ ، والأشـعارُ تضـمين

أوْليـتُ شـعري اهتمامـاً لا نظيـر لـه ... إن الحيـاة لشـعر المـرء تـدوين

ولـم أضـنّ علـى شـعري بغاليـةٍ ... مِـن الغـوالي لكـي يعلـوه تحسـينُ

أفنيـتُ عقـدين مـن عمـري أهذّبُـه ... لكـي يُغـرّد فـوق الشـعر تلحـين

وكنـتُ أعطيتُـه لمـن يُقيّمـه ... وبعـد ذلـك آوتْـه الـدواوين

ولـم أغـازلْ - معـاذ الله - غانيـة ... كـلا ، ومـا طـاب لـي مـدحٌ وتدشـين

ولـم أجامـلْ بهـذا الشـعر مـن أحـدٍ ... شـعرُ المُجامـل تهـريجٌ وتـوهين

سـجّلتُ مُعتقـدي فيمـا صـدحتُ بـه ... والصـدقُ فـي الشـعر إيضـاحٌ وتبيـين

ولـم أضـلّلْ لكـي أنـال مرتبـة ... لا يسـتوي البـدرُ وضـاءً وعُرجـون

وكنـتُ ضـحيتُ بـالأموال طائلـة ... إن الـدنانير للأشـعار عُربـون

عمـري يَمُـرُّ ، وشـعري فـي القيـود جَثـا ... وفـي القـراطيس تعـروه الأظـانين

راح الصـبا ، ومضـتْ فحـوى شَـبيبتُه ... والشـيبُ حـلَّ ، وللشـباب تـأبين

إنـي أسـائل: هـل نجـم القـريض خبـا؟ ... وفـي الفـؤاد أراجيـفٌ وتخمـين

مـاذا يُخَبّـئ آتِ الـدهر مـن أمـل؟ ... وفـي الضـمير مـن البلـوى أفـانين

والأمنيـاتُ لهـا صـدىً يُـداعبني ... وللطمـوح أغاريـدٌ وتـزيين

شـتان بـين فتـىً يحيـا لمَكرُمـةٍ ... وآخـر همُّـه الـدينارُ والطـين!

ولسـت أعمَـد للألغـاز مُبهمـة ... إن القـريض تُناغيـه المضـامين

لا يسـتوي الشـعرُ تُهـدي الصـدقَ لفظتُـه ... والشـعرُ فيـه سـرابُ الإفـك مكنـون!

إلا إذا اسـتويا عِـزّ ومَتربـة ... أو اسـتوى الشـيحُ - فـي المـذاق – والتـين!

الجمال الرخيص

(إن كثيراً من الناس لا يُمَثل العِرض عندهم أي شيء على الإطلاق. وذلك بعد أن طغى سلطان المال على سلطان الأعراض. وعند الكثيرين يُضحى بالعِرض في سبيل المال. ومن هنا أكتب (الجمال الرخيص) لهذا الصنف من الناس. والمرأة تريد الرجل ، والرجل يريد المرأة. ولذا وضعت الشريعة العواصم والقيود لضبط العلاقة بينهما. ومنذ طبق الناس الشرع في الأرض ضبطت هذه العلاقة ضبطاً عظيماً. وتفيأ المجتمع ظلال الإسلام الوارفة الجميلة. ومن يوم أن عبثت الأصابع الماسونية الملعونة وأعوانها وأذنابها الرطبة في ضبط هذه العلاقة ، عاشت البشرية الشقاء المرير الذي نرى ونحس ونلمس. إن كل جمال لا يُغلف ولا يُحجب ولا يُغطى ، فإنه لا محالة عُرضة للحشرات والعيون المسعورة والقلوب المحترقة بنيران الشهوات ، والعقول التي عبثت بها أصابع شياطين الإنس وكذا شياطين الجن إلى أن أصبحت الكلأ المباح الزلال لها ، ومن هنا تبرز لنا أهمية الحشمة والحجاب والعفاف والوقار. ومن هذا المنطلق رحتُ أخاطب إحدى بنيات حواء من الضحايا والسبايا ، وأقرّع الآباء الذين رضُوا بأن يكونوا مع الخوالف فطبع على قلوبهم ، فهم في ريبهم يترددون. فارتضوا لأنفسهم أن يكونوا ديوثين على أعراض نسائهم! وذلك بعد أن تبرجت نساؤهم أشد وأنكى من تبرج الجاهلية الأولى! يقول العلامة ابن كثير في تفسيره الآية: (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) ما نصه: (قال مجاهد: كانت المرأة تخرج تمشي بين يدي الرجال ، فذلك تبرج الجاهلية. وقال قتادة: {ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى}: إذا خرجتن من بيوتكن وكانت لهن مشية وتكسر وتغنج ، فنهى الله تعالى عن ذلك ، وقال مقاتل بن حيان: والتبرج أنها تلقي الخمار على رأسها ولا تشده ، فيواري قلائدها وقرطها وعنقها ، ويبدو ذلك كله منها ، وذلك التبرج ، ثم عمت نساء المؤمنين في التبرج. وقال ابن جرير: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: {ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى} كانت فيما بين نوح وإدريس ، وكانت ألف سنة ، وإن بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل ، وكان رجال الجبل صباحاً ، وفي النساء دمامة. وكان نساء السهل صباحاً وفي الرجال دمامة ، وإن إبليس لعنه الله أتى رجلاً من أهل السهل في صورة غلام ، فآجر نفسه منه فكان يخدمه ، فاتخذ إبليس شيئاً من مثل الذي يرمز فيه الرعاء ، فجاء فيه بصوت لم يسمع الناس مثله ، فبلغ ذلك من حوله فانتابوهم يسمعون إليه ، واتخذوا عيداً يجتمعون إليه في السنة ، فيتبرج النساء للرجال ، قال ويتزين الرجال لهن ، وإن رجلاً من أهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك ، فرأى النساء وصباحتهن ، فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك ، فتحولوا إليهن فنزلوا معهن ، وظهرت الفاحشة فيهن ، فهو قول الله تعالى: {ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى}.)هـ. ويخاطب الأستاذ سالم العجمي الأخت المؤمنة ناصحاً إياها بالحجاب والحشمة فيقول ما نصه: (اعلمي أنك حين تلبسين الحجاب الشرعي فإنك تلبسينه طاعة لربك ، وحري بك وهذا حالك أن ترفعي به رأساً ، وتبتهجي به أُنساً. أليس غريباً أن تفخر المتبرجة بتبرجها ، ولا تفخري أنت بحجابك؟ واحذري أن تلفك الموجة كما دارت بغيرك ، فجعلت مشرقه مغرباً وجنوبه شمالاً. احذري (التبرج المعلب) الذي لم يأخذ من الستر إلا اسمه ، ولم يبق معه من الحجاب إلا رسمه. لقد دخل علينا أعداؤنا مدخل السوء وبدأوا يدخلون التبرج والإسفاف على ملابس نساء المسلمين ، دون تنبه منا ؛ ولو قالوا للمسلمة المحافظة: اخلعي حجابك الشرعي لأبت وصرخت ؛ فدخلوا عليها بحيل دنيئة ، وصرنا نرى القطعة الدائرة حول الرأس المسماة بالحجاب وقد تزينت بأنواع الزينة والألوان الصارخة. واعلمي أنني أعني بالحجاب ؛ الحجاب الشرعي الساتر لجميع

البدن. فازدادي تمسكاً به ، فهو الثروة المربحة في زمن الإفلاس).هـ. لقد حَرَمَ الجاهليُّون المرأة حقَّها في الحياة ، فقتلوها وذلك بوأدِ البنت ، وهي: أن تُدفَن حيَّة في التراب حتى تموت ، قال الزمخشريُّ ـ عفا الله عنه ـ: "كان الرجل إذا ولدتْ له بنت ، فأراد أن يستحييها ألبسَها جبَّة من صوف ، أو شَعر ، ترعى له الإبل والغَنم في البادية ، وإنْ أراد قتْلَها تركها ، حتى إذا كانتْ سداسية ، قال لأمِّها: طيِّبيها وزيِّنيها ، حتى أذهب بها إلى أحمائِها ، وقد حفَر لها بئرًا في الصحراء ، فيبلغ بها البئر فيقول لها: انظري فيها ، ثم يدفعها مِن خلْفها ، ويهيل عليها التراب حتى تستويَ البِئر بالأرْض. وقيل: كانت الحاملُ إذا أقربت ، حفرتْ حفرة فتمخَّضت على رأس الحُفْرة ، فإذا ولدتْ بنتًا رمتْ بها في الحفرة ، وإنْ ولدت ابنًا حبستْه". إن نظرة لحال المرأة في الجاهلية الأولى لكافية أن تدرك المرأة المعاصرة مدى النقلة البعيدة التي انتقلتها المرأة بالإسلام! يقول الله تعالى: (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ * وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُون). وعن ابن عبَّاس ـ رضي الله عنهما ـ قال: "كان الرجلُ إذا مات أبوه أو حَمُوه فهو أحقُّ بامرأته ، إنْ شاء أمسكها ، أو يحبسها حتى تفتدي بصَداقها ، أو تموت فيذهب بمالِها". وكانتِ المرأة في الجاهلية تُمسَك ضِرارًا للاعتداء ، وتُلاقِي من بعْلها نشوزًا أو إعراضًا ، وتُترك أحيانًا كالمعلَّقة. وكان أحدُهم إذا أراد نجابةَ الولد حمَل امرأته ـ بعد طُهْرها من الحيْض ـ إلى الرجل النجيب كالشاعِر والفارس ، وترَكها عندَه حتى يَسْتَبِينَ حملُها منه ، ثم عاد بها إلى بيتِه ، وقد حملتْ بنجيب! كانتِ المرأة في الجاهلية لم يكن لها حقُّ الإرْث ، وكانوا يقولون في ذلك: "لا يَرِثُنا إلا من يحمل السيفَ ويَحْمي البيضة" ، فإذا مات الرجلُ ورِثَه ابنُه ، فإن لم يكن ، فأقرب مَن وُجِد مِن أوليائه أبًا كان أو أخًا أو عمًّا ، على حين يضمُّ بناتِه ونساءه إلى بناتِ الوارث ونِسائِه ، فيكون لهنَّ ما لهنَّ ، وعليهنَّ ما عليهنَّ. وكانوا إذا مات الرجل وله زوجةٌ وأوْلاد مِن غيرها ، كان الولد الأكبر أحقَّ بزوجة أبيه من غيرِه ، فهو يعتبرها إرثًا ، كبقيَّة أموالِ أبيه ، فإنْ أراد أن يعلن عن رغبتِه في الزواج منها طرَح عليها ثوبًا وإلاَّ تزوجت غيره. ومن هنا أنشدت لهذه المتبرجة!)

النـــــــارُ فوقـــــــك مُضـــــــرَمة ... والحـــــــربُ حولـــــــك مُجرمَـــــــة

أوَمـــــا شـــــعرتِ بمـــــا جـــــرى؟ ... مَـــــن ذا يـــــرد المَظلمـــــة؟

وجمالـــــك الغـــــض اكتـــــوى ... بلظـــــى العيـــــون المُغرمـــــة

ونثـــــرتِ حُســـــنكِ فـــــي الـــــورى ... وكأننـــــا فـــــي مَلحمـــــة

وخرجـــــتِ عـــــن كـــــل الحيـــــا ... وفجـــــرتِ بلـــــوي العَولمـــــة

لـــــو طبّـــــق الفرقـــــانُ مـــــا ... قامـــــت لمثلـــــكِ حَمحَمـــــة

لكنمـــــا عُبـــــدَ الهـــــوى ... والـــــدعرُ أول سُـــــلمة

رخـــــــصَ الجمـــــــالُ ، فهـــــــدئي ... مِـــــــن روع حيـــــــرى مُعدِمـــــــة

والـــــــنفسُ مَلّـــــــت مـــــــا تـــــــرى ... مِـــــــن موبقـــــــاتٍ مُؤدمـــــــة

مِـــــــن كـــــــل ســـــــاقطة الـــــــردا! ... والوجـــــــهُ مثـــــــل الحَوجَمـــــــة

مِـــــــن كـــــــل فاقـــــــدة الحيـــــــا ... فـــــــي الترّهـــــــات المُظلمـــــــة

يـــــــا فتنـــــــة تئـــــــد الحِمـــــــى ... كُفـــــــي الـــــــدعاوى المُبهمـــــــة

حـــــــواءُ منـــــــكِ بريئـــــــة ... وكـــــــذاك طهـــــــرُ المُســـــــلمة

حـــــــواءُ طهْـــــــرٌ قلبهـــــــا ... ونقـــــــاءُ عِفتهـــــــا سِـــــــمة

ليســـــــت تبيـــــــعُ عفافهـــــــا ... هـــــــي حُـــــــرّة ، ليســـــــت أمـــــــة

والعِـــــــرض غـــــــال ، والهُـــــــدى ... والحـــــــالُ هـــــــذي مُؤلمـــــــة

إبلـــــــيسُ أوقـــــــد نارهـــــــا ... حتـــــــى غـــــــدتْ متفحمـــــــة

وأمـــــــام كـــــــل وضـــــــيعةٍ ... دنيـــــــا تعربـــــــد مُحجمـــــــة

مُتيســـــــرٌ كـــــــل الهـــــــوى ... ودروبُـــــــه مُتنغمـــــــة

مـــــــا بـــــــين مقـــــــروءٍ ومســـــــ ... ـــــــموع تـــــــدور الخندمـــــــة

وهنـــــــاك مرئـــــــيٌ بأبـــــــ ... ـــــــشع صـــــــورةٍ متلئمـــــــة

رخـــــــص الجمـــــــالُ حقيقـــــــة ... فـــــــيم اصـــــــطناع الهيمنـــــــة؟

وغـــــــدا التبـــــــرج مهنـــــــة ... ولـــــــه فنـــــــونٌ مُعتمـــــــة

والشـــــــهمُ مَـــــــن لفـــــــظ الخنـــــــا ... وأبـــــــادَ نـــــــاراً مُضـــــــرمة

نشرت في جَريدة الوحدة العربية. بتاريخ: 31 من مارس لسنة 1996م

(كان ذلك العاشق المسلم صادقاً مع الله ، وصادقاً مع نفسه وصادقاً مع من أحب. إذ حكى في مجلة عن نفسه أنه رأى فتاة فأعجبه حسنها ، فأحبها وازداد حبه لها بعدما سأل عنها ، لأنه وجدها ذات خلق ودين. وأنهى الولع والشغف بالزواج. عملاً بقول النبي – صلى الله عليه وسلم -: (زوِّجوها بمن تحب ، ليس للمتحابين إلا الزواج). أورد الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه ذم الهوى عن ابن عائشة قال: قلت لطبيب كان موصوفاً بالحذق ما هو العشق؟ قال: شغل قلب فارغ. قلت: وقد ذهب بعضهم إلى أنه مرض وسواسي شبيه بالماليخوليا. مراتب العشق: قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه ذم الهوى: أول ما يتجدد الاستحسان للشخص ثم يجلب إرادة القرب منه ، ثم المودة وهو أن يود أن لو ملكه ، ثم يقوى الود فيصير محبة ، ثم يصير خلة ثم يصير هوى فيهوي بصاحبه في محاب المحبوب من غير تمالك ، ثم يصير عشقاً ثم يصير تتيماً ، والتتيم حالة يصير بها المعشوق مالكاً للعاشق لا يوجد في قلبه سواه ومنه تيم الله ، ثم يزيد التتيم فيصير ولهاً والوله الخروج عن حد الترتيب والتعطل عن أحوال التمييز. وقال بعض العلماء أول مراتب العشق الميل إلى المحبوب ، ثم يستحكم الهوى فيصير مودة ، ثم تزيد بالمؤانسة وتدرس بالجفاء والأذى ، ثم الخلة ثم الصبابة وهي رقة الشوق تولدها الألفة ويبعثها الإشفاق ويهيجها الذكر ثم يصير عشقاً وهو أعلى ضرب. فمبتدأه يصفي الفهم ويهذب العقل ، كما قال ذو الرياستين لأصحابه: اعشقوا ولا تعشقوا حراماً ، فإن عشق الحلال يطلق اللسان العيي ويرفع التبلد ويسخي كف البخيل ويبعث على النظافة ويدعو إلى الذكاء. فإذا زاد مرض الجسد وزاد جرح القلب وأزال الرأي واستهلك العقل ثم يترقى جداً فيصير ولها ويسمى ذو الوله مدلهاً ومستهاماً ومستهتراً وحيران. ثم قال ابن دريد: الصبابة رقة الهوى واشتقاق الحب ، من أحب البعير إذا برك من الإعياء. وأما الحب:(حديث عائشة رضي الله عنها الثابت في صحيح البخاري) أن النبي – صلى الله عليه وسلم - قال: (الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر اختلف). وأساس المحبة والتآلف هو القلب ، لذا نجد أن القلوب تتآلف وتحن لمن يوافق شاكلتها. قال ابن القيم رحمه الله كما في إغاثة اللهفان(132/1): المحبة هي التي تحرك المحب في طلب محبوبه الذي يكمل بحصوله له ، فتحرك محب الرحمن ، ومحب القرآن ومحب العلم والإيمان ، ومحب المتاع والأثمان ، ومحب الأوثان والصلبان ، ومحب النسوان والمردان ، ومحب الأطفال ، ومحب الإخوة. فتثير من كل قلب حركة إلى محبوبه من هذه الأشياء فيتحرك عند ذكر محبوبه دون غيره ، ولهذا تجد محب النسوان والصبيان ، ومحب قرآن الشيطان بالأصوات والألحان لا يتحرك عند سماع العلم وشواهد الإيمان ، ولا عند تلاوة القرآن ، حتى إذا ذكر له محبوبه اهتز له وربا ، وتحرك باطنه وظاهره شوقاً إليه وطرباً لذكره ، فكل هذه المحابُ باطلة مضمحلة سوي محبة الله وما والاها ، من محبة رسوله وكتابه ، ودينه ، وأوليائه ، فهذه المحبة تدوم تدوم ثمرتها ونعيمها بدوام من تعلقت به. وأعود للعاشق المسلم الموحد الذي وقع في عشق الجمال اليماني ، وكان صادق الحب ، فآثر أن يأتي البيوت من أبوابها لا من نوافذها ولا من أسوارها! بل انطلق إلى أهل الجمال اليماني وقبيلته ، وهناك كانت الخِطبة والزواج. وتم ذلك كله على كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – بعيداً عن حِيل الشيطان ومكائده ووساوسه وخطواته الملعونة التي ما تلبث أن تجعل من الإنسان السوي المحترم حيواناً مُنحطاً سافلاً يحيا لشهواته ونزواته فقط! من أجل ذلك أنشدت هذه القصيدة من

شعري مشيداً بهذا العاشق المحترم الذي لم يرد بحبه الدنيا وسفولها ليهبط في وحلها ، بل أراد بحبه وجه الله والدار الآخرة في ظاهر أمره والله حسيبه ووكيله ، ولا نزكي على الله أحداً! وإنه لدرس عظيم لكل عاشق مسلم محترم!)

خَلْـــــقٌ وخُلْـــــق كـــــل ذاك يمـــــاني ... وكلاهمـــــا اصـــــطاد النهـــــى ، وســـــباني

لمّـــــا أشـــــأ تعـــــذيب قلـــــب مُغـــــرم ... عشـــــق الجمـــــال ، ودب فـــــي الخفقـــــان

وخشِـــــيتُ أن يبقـــــى ضـــــحية سِـــــحره ... مُتلظيـــــــــاً بعبيـــــــــره الفتـــــــــان

مُتمنيـــــاً منـــــه الوصـــــال تلطفـــــاً ... ليخُصـــــــــه بمحبـــــــــةٍ وحنـــــــــان

والعشـــــقُ أدهـــــى مـــــا يُصـــــيب متيّمـــــاً ... ويـــــؤزه فـــــي الســـــر والإعـــــلان

ولـــــذا تزوجـــــتُ التـــــي أحببتهـــــا ... ليكـــــون حبـــــي صـــــادق البرهـــــان

كـــــيلا أعـــــانيَ فـــــي الغـــــرام صَـــــبابة ... تُـــــودي بطيّـــــب عزتـــــي وجنـــــاني

لأكـــــون أصـــــدق عاشـــــق فـــــي عشـــــقه ... لـــــم يســـــتجبْ لوســـــاوس الشـــــيطان

لـــــم يســـــتحلّ محرمـــــاً يشـــــقى بـــــه ... إن الحـــــرام ســـــبيل كـــــل هـــــوان

لـــــم يـــــرض أن يحيـــــا أســـــيرَ تولـــــهٍ ... فالعشـــــقُ دربُ الصَـــــب للخســـــران

والشـــــرعُ يهـــــدي المـــــرءَ مِـــــن زلاتـــــه ... أرأيـــــتَ مثـــــل شـــــريعة الـــــرحمن؟

والله قـــــد شـــــرعَ الـــــزواج لعزّنـــــا ... ولكـــــي تـــــتم عِمـــــارةُ البُنيـــــان

وبنـــــاتُ هـــــذا الـــــدين لســـــن عـــــواهراً ... كـــــلٌّ تكيـــــلُ الحـــــبَ للأخـــــدان

لا شـــــيء يُـــــدعي العشـــــقُ دون زواجهـــــا ... ممـــــن تحـــــبُ علـــــى هُـــــدى الـــــديان

(نالت إحدى المترفات وتدعى (نائلة) من موحّد فقير ، لم يشفع له عندها دينه ولا خلقه. فراحت تزدريه وتهمزه وتلمزه ، وتعيب عليه بغير حق . فاحتار كيف يرد عليها ويوقفها عند حد ، وينتصر لكرامته التي أهينت ولحُرمته التي انتهكت ولعِرضه الذي هتك. فقال: مهما كنتُ فلست مثل (جُليبيب). إلا أنه يفضلني في صحبته للنبي – صلى الله عليه وسلم - وباتباعه له وبثناء النبي – صلى الله عليه وسلم - عليه باستشهاده مقبلاً غيرَ مُدْبر وبزواجه من أنصارية شابة موحّدة من حور الدنيا وله في جنات الله من الحور العين ما الله به عليم جزاءً بما قدّم! ويكفي قول النبي – صلى الله عليه وسلم - عنه: (هذا مني وأنا منه) ، وأنه عاش ومات في القرن المفضل الأول. ولكن جُليبيباً عانى من ستة طوام عِظام كان ذلك الموحد القانت بفضل الله - سبحانه وتعالى- ورحمته قد عوفيَ منهن جميعاً بين الناس: أولاً: كان عبداً رقيقاً ، فهو يباع ويشترى شأن كل عبد في ذلك الزمان. وثانياً: كان دميماً ، بمعنى أنه كان غير وجيه الخِلقة ، وأما صاحبنا فإن لم يكن وسيماً فليس بالدميم. وثالثاً: كان قصيراً بائن القصر ، ومعلوم أن القصر عيب خِلقي أيضاً ، وأما صاحبنا فطويل الطول المعقول المناسب. ورابعاً: أنه كان معوذاً فقيراً جداً شأن كثير من العبيد في زمانه. وخامساً: كان جليبيب إذا حضر بين أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم – لم يُعرف ، وإذا غاب لم يُفتقد. وظل كذلك حتى في يوم استشهاده رضي الله عنه ، وأما صاحبنا فأغلب الناس يعرفونه. وسادساً: كان الناس يأنفون من تزويجه من ابنة من بناتهم. ولكن صاحبنا عرض عليه غير واحد الزواج من ابنته عرضاً ، ويشهد على ذلك الله رب الناس. والحقيقة أنه لا يجوز الاستهزاء بالناس أو السخرية منهم أو تعييرهم بعيب أو ذنب أو خطيئة ؛ كما سمعتُ من الشيخ المنجد وقرأت له! وذلك لعموم قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ). وقال تعالى: (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ). والهمز يكون بالإشارة ، واللمز يكون بالقول ، واللماز هو العيّاب الطعان ، والويل: واد في جهنم. قال ابن كثير رحمه الله في تفسير آية الحجرات: "ينهى تعالى عن السخرية بالناس ، وهو احتقارهم والاستهزاء بهم ، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الكِبْر بطر الحق وغَمْص الناس) ويُروى: (وغمط الناس). والمراد من ذلك: احتقارهم واستصغارهم ، وهذا حرام ، فإنه قد يكون المحتقر أعظم قدراً عند الله وأحب إليه من الساخر منه المحتقِر له ؛ ولهذا قال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ) ، فنص على نهي الرجال وعطف بنهي النساء. وقوله: (وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) أي لا تلمزوا الناس. والهمَّاز اللَّماز من الرجال مذموم ملعون ، كما قال تعالى: (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) ، فالهمز بالفعل ، واللمز بالقول ، كما قال: (هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ). أي: يحتقر الناس ويهمزهم طاعنًا عليهم ، ويمشي بينهم بالنميمة وهي: اللمز بالمقال ؛ ولهذا قال هاهنا: (وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) ، كما قال: (وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) أي: لا يقتل بعضكم بعضاً. قال ابن عباس ، ومجاهد وسعيد بن جبير ، وقتادة ، ومقاتل بن حَيَّان: (وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) أي: لا يطعن بعضكم على بعض. وقوله: (وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ) أي: لا تتداعوا بالألقاب ، وهي التي يسوء الشخص سماعها". انتهى. وقد بين نبينا صلى الله عليه وسلم أن الإيمان يحمل صاحبه على حسن الخلق ، والتواضع للناس ، وترك أذاهم بالقول والفعل ، كما قال صلى الله عليه وسلم: (لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلا اللَّعَّانِ وَلا الْفَاحِشِ وَلا الْبَذِيءِ) رواه

الترمذي ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي. وأرشد صلى الله عليه وسلم إلى ما يقوله الإنسان إذا رأى مبتلىً ، فقال: (مَنْ رَأَى صَاحِبَ بَلاءٍ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلاكَ بِهِ ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا إِلا عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ الْبَلَاءِ كَائِنًا مَا كَانَ مَا عَاشَ). رواه الترمذي ، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي. والأصل: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ، والقاعدة الأصيلة للتقييم: (لا فرق لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح) ، أما تقييم الناس بالمال أو بالثياب أو بالكلام أو بالجاه أو بالحسب والنسب ، بمَنأى عن التقوى والعمل الصالح فهذي موازين أهل الجاهلية الذين لا يُعتدّ بكلامهم أبداً. فلما سمعتِ المترفة المعتدة بمالها هذا الكلام دمعتْ عيناها ، فكتبتُ في هذا:-)

بأخلاقه المرءُ يا هازلة ... وبالهمّة الفذة الصائلة

وبالعلم ينشرُه في الورى ... بنفس لآساسه حاملة

وبالدين يدعو له قومه ... بروح لأسبابه باذلة

وبالأدب العفّ يحيا له ... ويهفو لآفاقه الفاضلة

ويسمو بآماله للعُلا ... وبالقيَم العفة الكاملة

وليس يسودُ بأزيائه ... وحُلته الغضة الرافلة

ولا يبلغ المجدَ في أهله ... هُمامٌ بأمواله الطائلة

ولا يرتقي الشهمُ في داره ... ولا يستمي راكباً حافلة

وليس يُحقق آماله ... بنفسيةٍ فجّةٍ خاملة

لماذا تنالين من طيب ... وتلقين أقوالك الباطلة؟

وتسترسلين بلا ضابطٍ ... كأنكِ خداعة خاتلة؟

وتستسخرين بلا رادع ... بلهجتكِ الفظة السافلة؟

وتستهزئين بأضحوكةٍ ... وإن كنتِ خارجة داخلة؟

رويدكِ لا تنكئي جرحه ... بسُخفكِ والنبرة الهازلة

ولا تستهيني بأناته ... إذا كنتِ راشدة عاقلة

كفى ما يُعانيه في أرضكم! ... ومثلكِ ليست بها جاهلة

دهشْـــــة النـــــوازلُ مثـــــل اللظـــــى ... تتـــــــــابَعُ نازلـــــــــة نازلـــــــــة

ســـــــلي عنـــــــه كـــــــي تعلمـــــــي ... مَـــــــرارَ الإجابـــــــات يـــــــا ســـــــائلة

وإن الـــــــدواوين كـــــــم سَـــــــجلتْ ... مآســـــــيَ - مِـــــــن هولهـــــــا - قاتلـــــــة!

قصـــــــائدُ تحمـــــــلُ مُـــــــرّ الجـــــــوى ... وتشـــــــكو القرابـــــــة والقافلـــــــة

وتبكـــــــي ، ولـــــــيس يُفيـــــــد البُكـــــــا ... علـــــــى المـــــــرء تخذلـــــــه العائلـــــــة

وتنعـــــــي الوفـــــــاء ثـــــــوى وانقضـــــــى ... وفـــــــي الصـــــــدر مِـــــــن فقـــــــده غائلـــــــة

ألا فاقرئيهـــــــا لكـــــــي تُنصـــــــفي ... إذا كنـــــــتِ صـــــــادقة عادلـــــــة

وظنـــــــي بأنـــــــكِ أهـــــــلٌ لهـــــــا ... وإن تـــــــكُ - فـــــــي حُكمهـــــــا - فاصـــــــلة

لأنـــــــي رســـــــمتُ بهـــــــا واقعـــــــاً ... أزاهيـــــــرُ روضـــــــته ذابلـــــــة

قصـــــــائد ســـــــطرتها بالـــــــدما ... ففـــــــي كـــــــل نـــــــص دِمـــــــاً هاطلـــــــة

وإن (جُلبيـــــــبَ) لـــــــي أســـــــوة ... وقصـــــــة تزويجـــــــه هائلـــــــة

هـــــــيَ اليـــــــومَ فيصـــــــلُ مـــــــا بيننـــــــا ... ومختصـــــــرُ الهُـــــــوة الحاصـــــــلة

ألا فادرســـــــيها لتسترشـــــــدي ... بمـــــــن لـــــــم تغـــــــرُّهمُ العاجلـــــــة

ولكـــــــنهم أبصـــــــروا رُشْـــــــدهم ... وشـــــــدوا الرحـــــــال إلـــــــى الآجلـــــــة

أرانـــــــي أطلـــــــتُ الجـــــــواب علـــــــى ... ســـــــؤال كـــــــوتني بـــــــه (نائلـــــــة)!

لعلـــــــي دحضـــــــت أظانينهـــــــا ... بمـــــــا سُـــــــقت مِـــــــن حُجـــــــج قاصـــــــلة

الجود يرفع صاحبه (كاد وأخواتها)

(لم يكن لي أدنى محاولة في النظم! وليس هذا تحقيراً لشأنه! بل للنظم أهله كما للشعر أهله! وله أهميته ومكانته كما للشعر أهميته ومكانته! ولكن عندما سمعت: (كان وأخواتها) و(إن وأخواتها) للشاعر زياد المنيفي وبصوت الأستاذ ظفر النتيفات ، قلت مؤْثراً للأجر عند الله: لا بد أن أشارك في هذا الجهد! وكنت قد وعدت بلبل الجزيرة العربية وشادي الضمائر وحادي الأرواح ومنشد القلوب الأستاذ ظفر بن راشد النتيفات ، بكتابة هذه القصيدة للمساهمة في مجموعة قصائد الأسرة النحوية ، متأثراً في ذلك بالشاعر الأستاذ زياد المنيفي فله السبق حديثاً! ولابن مالك ناظم الألفية في النحو وللسيوطي ناظم ألفية الحديث السبق قديماً ، وبناء عن طلب المنشد الأستاذ ظفر النتيفات نظمتُها طلباً للأجر عند الله تعالى أولاً وآخراً واستجابة لطلب الأستاذ النتيفات – حفظه الله -. وكنت قد عزمت أن أكتب قصيدة أخرى عنوانها: (ظن وأخواتها) ، ولكن عندما أخبرني الأستاذ ظفر أن شاعرنا الأستاذ زياد المنيفي قد كتبها بذات العنوان ، عدلتُ عن ذلك واكتفيتُ بقصيدة: (كاد وأخواتها)!)

أنفـــــقْ ، ولا تـــــكُ كـــــانزاً طمّاعـــــا ... فـــــالكنز أوشـــــك أن يكـــــون صـــــراعا

والحـــرصُ أقـــبحُ مـــا اكتســـبت مـــن الصُـــوى ... كـــــاد ادخـــــارك أن يصـــــير ضـــــياعا

واخلولـــــق الشـــــحّ الـــــذي تحيـــــا لـــــه! ... والبخـــــلُ أردأ مـــــا عرفـــــت طِباعـــــا

فعســـاك تـــدرك مِـــن وصـــية مشـــفق ... خبَـــرَ الحيـــاة ، وفنـــدَ الأوضـــاعا

إنـــي شـــرعت بـــأن أبثـــك دُربتـــي ... خوفـــاً عليـــك ، فـــإن شـــحّك ذاعـــا

وبـــدأتُ فـــي سَـــرد الحقـــائق حِســـبة ... بأدلـــــــةٍ تستشـــــــرفُ الإقناعـــــــا

وطفقـــتُ أكثِـــرُ مـــن عطيـــر مَلامتـــي ... حتـــى دَهـــى رأســـي أذىً وصُـــداعا

وأخـــذتُ أنتخـــبُ الكـــلام ، لعلنـــي ... أجـــد الرفيـــق لنفحتـــي مُنصـــاعا

بشـــرافةٍ جعلـــتْ قصـــيدي حُجـــة ... تُوليـــك - مـــن زبـــد النصـــائح - باعـــا

ورموزهـــا بـــدأتْ تشـــع مواعظـــاً ... مهمـــا مللـــت الـــوعظ والإشـــعاعا

وحـــرى اكتنـــاز المـــال أن يُطـــوى غـــداً ... وتعـــيش تعطـــي الأهـــلَ والأتباعـــا

وأراك أنشـــأت التعفـــف مـــذهباً ... حتـــى تعـــالجَ بالعطـــا الأوجاعـــا

والعـــزمُ هَـــبّ يصـــحّحُ الخطـــأ الـــذي ... دافعـــت عنـــه - علـــى الـــدوام - دفاعـــا

الحجاج تذِله امرأة!

(أورد صاحب العقد الفريد وصاحب تراجم أعلام النساء الأستاذ / رضوان دعبول ، صاحب مؤسسة الرسالة صـ 468 في ترجمة هند بنت النعمان ما خلاصته أنها: هند بنت النعمان الأنصارية وهي شاعرة فصيحة وأديبة بارعة ، كانت ذات حسن وجمال وأدب وعلم. وكانت عند زوج بن زنباع ثم خلف عليها الحجاج بن يوسف الثقفي ، فطلقها ، ثم تزوّجها عبد الملك بن مروان. ومعلوم شأن الحجاج في قومه. ولكنْ أن يأتيَ اليوم الذي تذله فيه امرأة ، فإن هذا هو العجبُ العجاب بعينه! أورد صاحب كتاب (زهر الربيع) صـ 86 ، 87 قصة عن هند بنت النعمان تلك الغادة الجميلة التي تزوّجها الحجاج بن يوسف فقال: (قيل إن هنداً بنت النعمان كانت أحسن أهل زمانها ، فتزوّجها الحجاج ، وشرط لها بعد الصّداق مائتي ألف درهم ، فأقامت عنده ما شاء الله لها أن تقيم ، ثم دخل عليها في بعض الأيام وهي تنظر في المرآة وتقول شعراً:

مـــــا هنـــــدُ إلا مُهـــــرة عربيـــــة ســـــليلة أفـــــراس تحللهـــــا بَغـــــلُ

فـــــإن ولـــــدتْ فحـــــلاً فللـــــه دَرّهـــــا وإن ولـــــدتْ بغـــــلاً فجـــــاء بـــــه البغـــــل

فانصرف الحجاج راجعاً ولم يدخل عليها ولم تكن علمتْ به ، فأرسل إليها عبد الله بن طاهر ، فقال لها: الحجاج يقول لك: كنتِ فبنتِ ، وهذه المائتا ألف درهم باقي صداقك. فقالت: يا ابن طاهر ، كنا وبنا ، فما ندمنا ، وهذه المائتا ألف درهم بشارة لك بخلاصي من كلب ثقيف! ثم بلغ خبرها بعد ذلك عبد الملك بن مروان ، ووُصف له جمالها فأرسل إليه يخطِبها. فأرسلتْ إليه كتاباً تقول فيه: بعد التحية ، إن الإناء ولغ فيه الكلب. فلمّا قرأ عبد الملك الكتاب ضحك من قولها ، وكتب إليها يقول: إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً إحداهن بالتراب ، فاغسلي الإناء يحلُ الاستعمال! فكتبت إليه أتزوجك بشرطٍ ، وهو أن يقود الحجّاجُ محملي من المَعرّة (معرة النعمان) بلدي إلى بلدك التي أنت فيه ، ويكون ماشياً حافياً بحليته التي عليها أولاً. فلما قرأ عبد الملك الكتاب ضحك وأرسل للحجاج يأمره بذلك ، فامتثل الأمر. فركبتْ في محملها ، وركب حولها جواريها ، وأخذ الحجّاج بزمام البعير يقوده. فجعلت هندُ تضحك عليه مع الهيفاء دايتها ، ثم قالت للهيفاء: يا داية اكشفي لي سجف المَحمل ، فكشفته فوقع وجهها في وجه الحجّاج ، فضحكتْ عليه فأنشأ يقول:

فـــإن تضـــحكي منـــي فيـــا طـــول ليلـــةٍ ترَكتـــــك فيهـــــا كالقِبـــــاء المُفـــــرّجِ

فأجابته تقول مستهينة به وبعزه وماله وجاهه ، ومعتزة بإيمانها بالله تعالى:

ومـــــا نُبـــــالي إذا أرواحُنـــــا سَـــــلمتْ بمـــــا فقـــــدناه مِـــــن مـــــال ومِـــــن نشَـــــبِ

فالمـــــالُ مكتســـــبٌ ، والعـــــز مرتجـــــعٌ إذا النفـــــوسُ وقاهـــــا اللهُ مِـــــن عَطـــــب

ولم تزل كذلك تضحكُ وتلعب إلى أن قربتْ من بلد عبد الملك ، فرمت بدينار على الأرض ، ونادت: يا جمّال سقط منا درهم ، فادفعه إلينا. فنظر الحجّاج إلى الأرض ، فلم يجد إلا ديناراً ، فناولها إياه. فقالت: الحمد لله

سقط منا درهم فعوضنا الله ديناراً. فخجل وسكت).هـ. فألفيتُ هذه المرأة داهية في التشفي وجبّارة في الانتقام من أعدائها. وكم في حياتنا من أمثال الحجّاج الذين عمدوا إلى استرقاقنا وإذلالنا! إن كثيراً من الناس يستضعفون بعض من حولهم فيفعلون ما شاءوا بهم دون رقيب أو خشية من الله ، على طريقة فرعون في استضعاف بني إسرائيل! فليعلموا أن يوم الخلاص وانكشاف الخدع قادم. والحقيقة أنني أخِذتُ بقدرة هند بنت النعمان على التشفي والانتقام ، فأنشدتُ من شعري مشيداً بذكائها ، وعلى المنسرح أقول:)

رِدِ المتاهـــــات ، إنهـــــا السُـــــننُ ... وعـــــشْ ذلـــــيلاً تُـــــذيبك المِحـــــنُ

فكـــــم ســـــفكت الـــــدماء معتبطـــــاً! ... وكـــــم أطلـــــتْ ـ بظلمِـــــك ـ الفـــــتن!

وكـــــم قتلـــــت الأنـــــامَ فـــــي شُـــــبَهٍ ... والكـــــل مستأســـــرٌ وممـــــتحن!

وكـــــم تلـــــذذت إذ تعـــــذبهم! ... فجالـــــدوا مَـــــن بغـــــى ، ومـــــا وهنـــــوا

لـــــم يُشـــــمِتوا حاقـــــداً ينـــــاولهم ... كـــــأسَ الشـــــقا ، مهمـــــا طفَـــــتِ الإحَـــــن

بـــــل لقنـــــوك الـــــدروسَ لهـــــا ... عَـــــرضٌ بـــــديعٌ مُنمَـــــقٌ حَسَـــــن

لكـــــنّ (هنـــــداً) ســـــقتك نقمتهـــــا ... بـــــين الوصـــــيفات ، حبـــــذا العَلـــــن!

ورحبـــــتْ بـــــالطلاق مـــــؤثرة ... أيومـــــةَ عِزهـــــا هـــــو الـــــثمن

وأصـــــبحتْ زوجـــــةَ مُكرّمـــــةَ ... عنـــــد الـــــذي تشـــــتهي ويُـــــؤتمن

خليفـــــةَ صـــــانها وبجّحهـــــا ... فـــــزال عنهـــــا الـــــبلاءُ والشـــــجن

فلـــــم تهـــــن مُطلقـــــاً ، لـــــذا شـــــمختْ ... وكيـــــف تســـــمو الحَصَـــــانُ تمـــــتهَن؟

يـــــا (هنـــــدُ) نلـــــتِ التبجيـــــل أجمعَـــــه ... ومـــــا بكـــــاكِ المَـــــلا ، ولا الـــــوطن

أدّبـــــت عبـــــداً طغـــــتْ مســـــاوئه ... وصِـــــيته بالنكـــــال مُقتـــــرَن

تاريخـــــه بـــــالجراح مُختضـــــبٌ ... فمِثـــــل هـــــذا ـ بمـــــا جنـــــى ـ قمِـــــن

أســـــميتِه (الكلـــــبَ) ، والكـــــلابُ تفـــــي ... لأهلهـــــا ، كـــــم لأكلـــــب مِـــــنَن!

أيـــــن الوفـــــاءُ (الحجّـــــاجُ) حققـــــه؟ ... فلتخبرينـــــا إذا غفـــــى الـــــزمن!

الحق بين ظلم الأب وعدل الأخ

(كتب الوالد أرضه ـ التي تزيد عن عشرة أفدنة ـ لابنه حارماً ابنته الوحيدة من الميراث. وتابعتْه على ذلك العائلة بأسرها ، حيث لم يكن من بينهم واحد حقاً منصف عادل! وحاول الابن (موضوع قصيدتنا) أن ينصح ويبين الحق لكنه لم يجد من أذن واعية منصتة. وبعد موت ذلك الأب أعطى الأخ حق أخته لها بالمعروف والعدل. ولم يُقر ظلمَ الأب ، ولم يقبل تغيير منار الحق والعدل. فلما سئل في ذلك قال في ثقة المؤمن وإيمان الواثق: فعلت ذلك لأحقق أهدافاً خمسة ، الأول هو إقامة العدل الذي أمر الله به ، إذ لا يجوز حرمان وريث من إرثه بحال ، وأبي حرم أختي دون وجه حق له في ذلك. والثاني هو أنني لا أريد لهذه السُنة والعادة السيئة ـ التي ينتهجها مع أبنائه وبناته كل أب ظالم أو أم ظالمة أن تستمر. والثالث هو حبي الشديد لأبي لأنني لا أريد له أن يلقى الله – عز وجل ـ ظالماً. وقد عاش ما عاش بيننا مثالاً في العدل والتسامح. والرابع هو حبي الشديد لأختي الكبرى التي ما كانت تستحق من الكل إلا الخير ، وقد حرصت أن أبقيَ على أواصر المودة والمحبة بيننا ، إذ المال يأتي ويذهب ونحن سنزول عنه بموتنا ، هذا إن لم يزل عنا في حياتنا ، وإنما يبقى الخير والعمل الصالح في الدنيا والآخرة. والخامس هو أنني لا أريد أبداً أن ألقى الله بعد موتي ظالماً متجاوزاً لحدوده ولشريعته. فانفعلت لذلك كشاعر ، خاصة ونحن نرى أن كثيراً من الآباء والأمهات قد وقعوا في تلك الكبيرة الشنيعة. يقول الأستاذ حسين أحمد عبد القادر عن العدل ما نصه بتصرف: (إن العدلَ من أعظم القِيمِ في الإسلام التي أمر الله تعالى بترسيخها وتطبيقها ، قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) ، وإن امرأةً مخزوميَّة شريفة سرَقَتْ في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فأراد أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنه أن يَشفَعَ فيها ، فغَضِب النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: (أتشفَعُ في حدٍّ من حدود الله! إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرَق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدَّ! وايمُ اللهِ لو أن فاطمةَ بنتَ محمدٍ سرقت ، لقطعتُ يدها) ؛ (رواه البخاري). قام الرسولُ صلى الله عليه وسلم بتوطيد العدل ، وتطبيق المساواة ؛ لكي يتبعَ المسلمون هذا المنهجَ العظيم ؛ لإقرار الحق والعدل ، ودحضِ الباطل ، دون اعتبارٍ لنَسَب أو جنس أو لون ، إنها شريعةُ الله تعالى التي يَنعَمُ في ظلِّها الجميعُ ؛ قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا). وقِيمُ العدل والمساواة عند تطبيقِها يتقدَّم المجتمع المسلم ، ويسعى إلى الرخاء والنموّ ، ويستعيدُ الأمجاد القديمة ، ويعودُ ليقودَ البشرية في نشر أُسُس الدين الإسلامي ، وتطوير العلوم ، وإعمار الأرض ؛ امتثالاً لأمر الله تعالى ، فالكل في دولة العدل يشعر بالسكينة والأمان ؛ فلا يَخشى من الظلم والعدوان. والعدل يَتحقَّقُ في مجتمعنا المسلم بتطبيقه على الجميع ، فلا توجدُ محاباةٌ لعلية القوم ، ويتمُّ رد الحقوق للفقراء والمساكين ، فمن أجرَم فله العقاب ولو كان من ذوي السلطان والمال ، ومن أحسنَ فله الثوابُ ولو كان من البسطاء ، ومن أجمل صور العدل: أن يقوم المسلمُ بتطبيق العدل أولاً على نفسه ، فيقرَّ بالخطأ ، ويعتذرَ لمن أساء إليه ، ويسارع بالإحسان ؛ قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا). ومن صور العدل العظيمة: أن يقوم المسلمُ بتبنِّي قيم العدل مع الأعداء ، فلا يجور عليهم ولا يبخسهم حقوقَهم ، فهذا الأمر من أسس التقوى في دين الإسلام العظيم ؛ قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ). لقد كان الرسولُ صلى الله عليه وسلم أكثرَ الناس عدلاً ، وسيرتُه الشريفة ينبوع متدفِّق لكل القيم النبيلة ، وفي القصص النبوي ترسيخٌ للعدل ، وإقرار بالمساواة ، فما أحوجَنا إليهما!)هـ. المهم أن ذلك الأخ العادل قد أعجبني عدله ، عندما أعطى حق أخته. فأنشدت من شعري حكاية على لسان ذلك الأخ المحترم التقي!)

لا تخـــــافي ، إن الـــــردى أن تخـــــافي ... واســـــتريحي مـــــن سَـــــوْرة الإجحـــــافِ

كـــم نصـــحتُ ، لكـــنْ أبـــوكِ تعـــامى! ... ورمـــــــاني بـــــــبعض الاســـــــتخفاف

قلـــتُ: كـــلا ، فقـــال: هـــذا مـــرادي ... قلـــت: ظلـــمٌ ، واعمـــدْ إلـــى الإنصـــاف

فتمـــــادى فيمـــــا ارتـــــآهُ صـــــواباً ... وهْـــو جـــورٌ ، مصـــيرُه غيـــرُ خـــاف

فانطلقـــــتُ إلـــــى الأقـــــارب ســـــعياً ... علنـــي أحظـــى فـــي اللقـــا بالتصـــافي

فـــإذا بـــي ألقـــى التواطـــؤ مـــنهم ... واتهِمـــــــتُ بـــــــأنني المتجـــــــافي

فانتويـــــتُ رد الحقـــــوق رضـــــيًّا ... إن هـــــذي طبيعـــــة الأشـــــراف

أنـــتِ أغلـــى مـــن كـــل أرض ومـــال ... مـــا علـــى هـــذا القـــول أيّ خِـــلاف

ورضـــــاءُ الـــــرحمن أفضـــــلُ زادٍ ... تلـــك كانـــت وصـــية الأســـلاف

فخـــذي يـــا أختـــي الحبيبـــة حقـــاً ... ضـــاع بـــين التغريـــر والإرجـــاف

ثـــم كـــوني علـــى الـــدوام مـــلاذي ... بعـــدُ يـــا مقـــرورة الأوصـــاف

جنبينـــا نـــاراً تحـــرِّق جـــيلاً ... ودمـــــــاءً تـــــــراق بالأســـــــياف

وحـــرامٌ علـــى القرابـــة حيـــفٌ ... فيـــه تبقـــى الأرحـــامُ كالأضـــياف

تـــذكُرين مـــذ كنـــتُ شـــبلاً صـــغيراً ... طيّـــبَ القلـــب ، أزدهـــي بعفـــافي

وأنـــا اليـــومَ مثـــلُ أمســـي وأحلـــى ... وأراكِ فـــي مهجتـــي وشـــغافي

الخمرُ داءٌ ، وليست بدواء

(لست أدري لماذا يصر كثير من الناس اليوم بكل عناد ولجاج على اعتبار الخمر دواء لبعض الأمراض. والله عز وجل ما جعل الله شفاء أمة الإسلام في شيء حرمه عليها. روى البيهقي بإسناد صحيح عن عثمان بن عفان أنه قال كان رجل فيمن خلا قبلكم يتعبد ويعتزل الناس ، فأحبته امرأة غوية فأرسلت إليه جاريتها أن تدعوه لشهادة. فجاء البيت ودخل معها فكانت كلما دخل بابا أغلقته دونه ، حتى وصل إلى امرأة وضيئة أي حسناء جميلة جالسة عندها غلام وإناء خمر فقالت له: إنها ما دعته لشهادة ، وإنما دعته ليقع عليها أو يقتل الغلام أو يشرب الخمر. فلما رأى أنه لا بد له من أحد هذه الأمور ، تهاون بالخمر فشربه ، فسكر ثم زنى بالمرأة وقتل الغلام. قال أمير المؤمنين عثمان فاجتنبوا الخمر ، فإنها لا تجتمع هي والإيمان أبداً إلا أوشك أحدهما أن يخرج صاحبه. الخمر داء خطير من صنوف الخبائث بل أم الخبائث وكذلك سائر المسكرات والمخدرات ، والتي ما انتشرت في مجتمع من المجتمعات فسكت أهله عن إنكارها على مر التاريخ ، إلا وكتب لذلك المجتمع الانهيار والنهاية ، والخمر والمخدرات من الوسائل التي تذهب العقل ، ولقد توعد الشارع من استخدم هذه المسكرات التي هي سبب في ذهاب العقول ، توعده بالوعيد الشديد والعذاب الأليم في الآخرة ، فقد حذر الرسول من شرب الخمر وما شابهها مما يؤثر على العقل ، فقال فيما روى أحمد في مسنده وأبو داود في سننه بسند صحيح عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: (نهى رسول الله عن كل مسْكر ومفتّر) وقال: (من شرب الخمر سقاه الله من طينة الخبال يوم القيامة. قالوا: وما طينة الخبال يا رسول الله؟ قال: عرق وقيح أهل النار). كما أخبر (أن مدمن الخمر من الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم). وفي حديث أنس بن مالك (أن رسول الله لعن في الخمر عشرة: عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشتري لها والمشتراة له). وقد أنزل الله تعالى في كتابه قوله: يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون. تذكر لنا كتب التفسير أن هذه الآية حين نزلت على النبي فسمعها الصحابة قالوا مباشرة: انتهينا ، حتى أن بعضهم كان قد رفع كأسه ليشربها فأراقها ، وأراقها الصحابة حتى سالت بها طرق المدينة. ويقول: (مدمن الخمر إن مات لقي الله كعابد وثن). وقال: (من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً). ولهذه النصوص مجتمعه وغيرها مما لا يتسع لنا ذكره يتبين لنا شدة حرمة الخمر والمخدرات ، وما كان هذا الوعيد وذلك التهديد إلا لمكانة هذا العقل الذي أكرم الله به الإنسان وهو بذلك يساوي بعقله عقول الحيوانات والمجانين ومن فقدوا العقل والرأي ، ولو فكر ذلك المسكين الذي كان سبباً في إذهاب عقله بنفسه لأدرك عظيم الخطر الذي هو واقع فيه ، فكم من المصائب التي سوف تلحق به وبأسرته ، ولا شك أننا في حديثنا عن الخمر لا يمكن أن نغفل الحديث عن آفة العصر التي تقضي على الأمة ألا وهي المخدرات التي تنتشر الآن بصورة رهيبة في العالم وتوغلت في بنية المجتمعات شرقاً وغرباً وقد بات نواقيس الخطر تدق بقوة هنا وهناك. لأن ضحايا إدمان المخدرات أصبحوا في تزايد مستمر. وأصبحت أمم العالم تواجه خطراً عظيماً لا يعدله أي خطر بهذا الداء العظيم الذي يفتك بالبشرية. ونحن لا نستغرب وجود مثل هذا الداء العظيم على مجتمعات كفرت بالله ودانت بالإباحية ووفرتها. ولكن الغريب أن نراه منتشراً بين الشعوب التي تزعم لأنفسها أنها مسلمة ، فما أسباب ذلك؟ وأرى أن كثيرا من الباحثين فضلاً عن عوام الناس يجهل تعريف الكبيرة: إنها كل وعيد ختمه الله تعالي بعذاب أو نار أو بلعنة أو غضب. قال تعالي: (وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا.) وعن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم. قلنا: من هم يا رسول الله فقد خابوا

وخسروا؟ فقال: المنان والمسبل إزاره والمنفق سلعته بالحلف. وعن أبي هريرة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات. والمعتزلة يقولون إنه لا صغائر وإن كل ذنب كبير إذا قيس بجانب الذي عصيته. وهذا الكلام مخالف للشرع والعقل. أما مخالفة الشرع : فقد قال الله تعالي: (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى). وأما مخالفة العقل: فهل من لطم رجلا كالذي قتله ؟! وأما اللمم (أي الصغائر) وهو كل ما يلم بالإنسان مما لا يستطيع دفعه فيقع فيه إما بجهل أو بهوي. ويقول النبي - صلي الله عليه وسلم -: كل ابن آدم خطاء. أي أن الإنسان لا بد وأن يقع في الخطأ. فاجتنب الكبائر فإذا وقعت في الصغائر بجهل أو بهوي غفر الله لك لأن الله عز وجل قال: (إن الله واسع المغفرة) أي أنه لم يسو اللمم بالكبائر!)

هي الخمر داءٌ ، لمَ الأزملة؟ ودعوى التداوي بها مُبطلة

وقد أثبت الطب أضرارها متى تنتهي هذه المهزلة؟

متى يدرك الناس تدميرها وأخطارها الجمّة المُعضلة؟

وأم الخبائث رغم الهُرا وتحريمُها حسَم المسألة

وأم الكبائر مهما حلتْ لمن يجعلون لها منزلة

لذلك كانوا تداوَوْا بها فإن عاقروا قرأوا البسملة!

وجاؤوا بشيخ يُبيح لهم ويُزجي الأدلة مسترسلة

يسوق الفتاوى لأهل الهوى وينهي بحبكته المسألة

ويُوهم من يستعين به ليُحْدِث في عقله بلبلة

فيا ناس عن خمركم أقلعوا فقنينة الخمر كالقنبلة

تضر بأبدان مَن أدمنوا وتدمغ تفكيرهم بالبلة

خذوا عبرة من قطيع غوى وزلزله سكرُه زلزلة

وصِحته بالخمور انمحتْ ولم تبق منها ولو خردلة

يميناً نصحتُ لكم مخلصاً بنفس بآلامكم مثقلة

الخنساء الشاعرة

(كلنا يعرف الخنساء الصحابية الجليلة والشاعرة النحريرة الفذة ، تلك التي كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يستنشدها من شعرها ويقول: هيه يا خناس! الخنساء تلك الأم المجاهدة ، التي ابتليت بفقد أربعة أولاد شهداء ، فصبرتْ على فقدهم واحتسبتهم عند الله ، بصناعة الإيمان لها. وإلا فإنها في جاهليتها كانت قد بكت أخاها صخراً بشعر من الرثاء بدرجة لا توصف. حتى أننا لو طالعنا ديوان الخنساء اليوم بقلوبنا ما كففنا عن البكاء! إن الإيمان يصنع المسلم والمسلمة صناعة جديدة! ما الخنساء وما شعرها قبل إسلامها؟ ولكنها بعد إسلامها إنسانة مختلفة ، حيث صقلها الإيمان صقلاً ، وصاغتها العقيدة صياغة ، وصنعها التوحيد صناعة! نقول ذلك لندرك مدى النقلة البعيدة التي انتقلتها تلك الصحابية! ولذا أنشدت أحييها.)

شـــرفٌ تحـــدّرَ مِـــن شـــمائله الفِـــدا ... وكرامـــــة تزهـــو فتقـــتحم المَـــدى

وعقيـــدة فـــي الله راســـخة المَضـــا ... ويقـــينُ مؤمنـــةٍ يواكبُـــه الصـــدى

وســـنا احتســـاب لا وصـــول لأوْجـــهِ ... وتعفـــفٌ يُزجـــي لعزتـــه الفـــدا

وتمسّـــكٌ بـــالحق دون ترهّـــل ... وترقـــبٌ للنصـــر يَرهبُـــه العِـــدا

وتســـلحٌ بالصـــبر عنـــد مُصـــيبةٍ ... وتجلـــدٌ لتهـــون غائلـــة الـــردى

خنســـاؤنا فـــي الصـــبر مدرســـة تُـــرى! ... خنســـاؤنا صـــنعتْ علـــى عـــين الهُـــدى!

دعـــتِ المليـــك ، تريـــد حســـن ثوابـــه ... ترجـــو الجنـــان لمـــن ثـــوى واستشـــهدا

(بنـــتُ الشـــرَيْدِ) لمـــن أصـــيبتْ قـــدوة ... وبصـــبرها عنـــد الشـــدائد يُقتـــدى

أبناؤهـــا لـــم تـــبكهم كشـــقيقها ... إذ قلبُهـــا برســـول مـــولاه اهتـــدى

فـــيم التســـخط ، والجنـــانُ مـــآلهم؟ ... أمســـى الشـــهيد بجنتيـــهِ مُخلـــدا

يـــا ســـعد مَـــن فـــي الله جـــاد بروحـــه ... فهـــوى علـــى ســـاح الجهـــاد مُمَـــدّدا

وتضـــمّخ الجســـدُ الزكـــيُ بكَلمـــهِ ... وقتالـــه الكفـــارَ لـــم يـــذهبْ سُـــدى

فـــي الوجـــه ســـيما الصـــالحين تَزينـــهُ ... والســـيفُ يحتضـــنُ الأنامـــل واليـــدا

يـــا رب ألحقنـــا بمثـــل رعـــيلهم ... وامـــنُنْ برفقـــة مَـــن مضـــى مـــنهم غـــدا

العيد عيدكمُ (انتصارية)

(أنشدتُ على لسان يتيم مسكين ، كان أبوه في العيد المنصرم معه ، يؤنسه ويهديه ويشمله بحنان الأبوة وحنوها! ثم فاق ذلك الأب الحياة إلى الرفيق الأعلى قبل هذا العيد بأيام. وحزن عليه ابنه الذي لم يتجاوز السنوات العشر. فتصورت ماذا يقول لنا اليتيم! إذ إنه راح يقارن بين عيده الماضي وعيده الحاضر! وفرْقُ ما بين العيديْن كالفرق بين السماء والأرض! ورحتُ أتخيل حاله وتِرحاله. إن مشوار اليتم لا يزال طويلاً! أسأل الله أن يتغمد كل يتيم مسلم برحمةٍ منه وفضل!)

عيـــدانِ: عيـــدٌ مضـــى بـــالفرح مبتهجـــا ... كأنـــه الفجـــرُ شـــقّ الأفـــقَ ، وانبلجـــا

تَـــرنّمَ البشْـــرُ فـــي أفـــراد أســـرتنا ... كأنـــه النـــور مـــن ســـجن الـــدجى خرجـــا

واســـتمتع الكـــلُّ بـــالأفراح شـــادية ... تُشـــجي القلـــوب ، وتُحْيـــي بالهنـــا المُهَجـــا

والأهـــل فـــي صـــحبة الأحبـــاب قـــد ســـعدوا ... وكـــل خِـــلَّ بشـــكر الله كـــم لَهَجـــا!

يســـتقبلون قَـــدومَ العيـــد فـــي طَـــرَب ... هـــذا يُرَجِّـــع ألحانـــاً ، وذا هَزِجـــا

والـــذكرياتُ بمـــاء الحُـــب تغمـــرُهم ... ومِـــن تفضُّـــلها أضـــاءت السُّـــرُجا

والأمنيـــاتُ لهـــا صـــدىً يُـــداعبها ... ولحـــنُ خاطرهـــا بُعيـــدها امتزجـــا

ووالـــدي بيننـــا بَـــدْرٌ نتيـــه بـــه ... ونـــورُ رقتـــه بلهونـــا انـــدمجا

أجـــاب كُـــلاّ إلـــى مـــا كـــان يطلبـــه ... ولـــم يُخيِّـــب لِمـــا أمّلـــتُ فيـــه رجـــا

بـــل كـــان يحنـــو علـــى قلبـــي ، ويرحمنـــي ... ولـــم يَـــرُدَّ فتـــىً يومـــاً إليـــه لجـــا

واليـــوم عِيـــدي خـــلا مـــن كـــل بارقـــةٍ ... والقلـــبُ مـــن ألـــم الـــذكرى قـــد اختلجـــا

مَـــن ذا الـــذي يحمـــل الحلـــوى ليُفرحنـــي؟ ... ومَـــن عـــن الـــنفس ينفـــي الضـــيق والحرجـــا؟

ومَـــن يُعطَـــر ثـــوب العيـــد ألبسُـــه؟ ... ومَـــن يســـوق لروحـــي الفـــرْح والفَرَجـــا؟

العيـــدُ عيـــدكمُ ، يـــا قـــومُ فابتشـــروا ... والعِيـــدُ عيـــدُ الـــذي يلقـــاه مبتهجـــا

وأســـال الله ربـــي أن يثبتنـــي ... إذ لـــيس يحـــزن مَـــن ســـبيله انتهجـــا

القلم النزيه كالسيف

(الأقلام نوعان: نوع في يد منافق يكتب ما يمليه عليه أسياده. وآخر نزيه كالسيف إما أن يَصدُق عندما يكتب ، وإما أن يُقصف ويُكسر إلى حين ثم يستأنف ، وإما يرمى فلا يكتب. وإنني أخاطب كل موحد أنه إما أن يكتب الحق ، أو لا يكتب قط. وهذا هو المفهوم الصحيح للكتابة! إما كتابة صحيحة موافقة لكتاب الله وسنة رسوله ، وإما لا كتابة مطلقاً حتى يسود مناخ تمكن الكتابة فيه! والكاتب المحترم لا يدلس ولا يسبح بحمد الظالمين ولا يجامل على حساب العقيدة ولا يحرف نصوص الكتاب والسنة لتتناسب مع الجاهلية نظير عرض من الدنيا قليلاً كان أم كثيراً! ومن هنا تأتي نزاهة القلم الذي يشبه السيف في ميدان المعركة! أكتب في هذا على البحر المجتث وقافية العين أقول:)

إذا عـــــــــدِمتَ الشـــــــــجاعةْ ... فاخلـــــدْ إلـــى الصـــمت ســـاعة

ولا تطـــــــــوّع يراعـــــــــاً ... لـــــه التســـــامي بضـــــاعة

فـــــــلا يخـــــط المخـــــازي ... ولا يجيـــــــد الخُلاعـــــــة

ولا يُـــــــــدلّس يومـــــــاً ... وإن دهتـــــــه مجاعـــــــة

ولا ينـــــــــافق يرجـــــــو ... لـــــدى الطـــــواغي شـــــفاعة

ولا يقـــــــــرّ التـــــــدني ... وإن أتتـــــــه الجماعـــــــة

ولا يتـــــــــابع هـــــــزلاً ... لديـــــــه منـــــــه مناعـــــــة

إذ الصـــــــــراحة كنـــــــزٌ ... أراه صـــــــنوَ االشـــــــجاعة

ولـــــــيس كـــــالحق شـــــيءٌ ... يـــــرى الزيـــــوفَ شـــــناعة

يراعـــــــة الشـــــهم ســـــيفٌ ... يـــــردّ بـــــأس البشـــــاعة

لـــــــه نزاهـــــــة عَـــــفٍ ... تضـــــــمّختْ بالبراعـــــــة

خيـــــــاره - جِـــــدّ - صـــــعبٌ ... وللقـــــــرار اندفاعـــــــة

مخيّـــــــرٌ بـــــين صـــــدع ... بحقـــــه فـــــي نصـــــاعة

أو البقـــــــا دون بـــــــذل ... فقـــــد تُفيـــــد القناعـــــة

(يقول الله عز وجل: (إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً). وروى أحمد والنسائي وابن حبان والحاكم من حديث أنس – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (من صلى عليّ صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشر صلوات وحط عنه بها عشر سيئات ، ورفعه بها عشر درجات). وروى الطبراني من حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (من صلى عليّ بلغتني صلاته ، وصليت عليه ، وكتب له سوى ذلك عشر حسنات). وخرج البزار بإسناده من حديث عمار بن ياسر – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم - قال: (إن الله وكل بقبري مَلكاً أعطاه أسماع الخلائق ، فلا يصلي عليّ أحد إلى يوم القيامة إلا أبلغني باسمه واسم أبيه: فلان بن فلان قد صلى عليك). وروى الترمذي وابن حبان من حديث ابن مسعود – رضي الله عنه – أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم – قال: (إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة). وأورد أستاذنا المحترم الفاضل / محمد عبد العاطي بحيري – حفظه الله – في كتابه الرائع (منهاج الصالحين في الآداب الإسلامية) ، وتحديداً في أدبه الثاني والذي عنوانه (الأدب مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -) أورد الأستاذ استهلالاً ص 33 جاء فيه: (ذلكم النبي الذي أخرجه ربه من أفضل المعادن منبتاً ، وأعز الأرومات مغرساً ، ومن الشجرة التي صدع منها أنبياءه وانتخب منها أمناءه. عِترته خير العتر ، وأسرته خير الأسر ، وشجرته خير الشجر ، نبتتْ في حرم ، وبسقتْ في كرم ، لها فروع طوال ، وثمرة لا تنال. فهو إمام من اتقى وبصيرة من اهتدى ، وهو سراجٌ لمع ضوؤه ، وشهاب سطع نوره. سيرته القصد ، وسنته الرشد ، وكلامه الفصل ، وحكمه العدل. أرسله ربه على حين فترة من الرسل ، فترة ضل الناس فيها رشادهم ، ومجّدوا عقولهم ، وملأوا الأرض جَوْراً وظلماً ، حتى استغاثت الأرض بالسماء. فلطف الله بعباده فأرسله ربه رحمة للعالمين ، فكان أعدل الناس ، وأصدقهم لهجة وأعظمهم أمانة ، وأشجع الناس وأكرمهم. اعترف له مجاوروه وأعداؤه ، وكان أشد الناس تواضعاً ، وأبعدهم عن الكبر ، كان أوفى الناس بالعهود ، وأوصلهم للرحم ، وأعظمهم شفقة ورأفة ، وأحسنهم عشرة وأدبا. كان يحب المساكين ويجالسهم ويشهد جنائزهم. كان لا يحقر فقيراً لفقره ، ولا يحسد غنياً لغناه ، كان متواصل الأحزان ، دائم الفكرة ، ليست له راحة ، لا يتكلم في غير حاجة ، طويل الصمت مستغرق السكوت ، يتكلم بجوامع الكلم ، يُعظم النعمة وإن دقت ، ويشكر إن كثرتْ أو قلت. يؤلفُ أصحابه ولا يُفرّقهم ، يُكرم كريم كل قوم ، ويُوليه عليهم ، ويتفقد أصحابه ويسأل عنهم. كان خلقه القرآن بل كان وكأنه قرآن يمشي على الأرض ، كان أجود الناس بالخير ، كان أشد الناس حياءً وأطيبهم كفاً وأزكاهم رائحة). وصفه شاعره الصحابي الفذ حسان بن ثابت – رضي الله عنه - الذي هو أعجوبة زمانه فقال:

وأجمل منك لم تر قط عيني وأحلى منك لم تلد النساءُ
خلقت مبرَّأ من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

لقد زكى الله - عز وجل عقله – صلى الله عليه وسلم – فقال: (ما ضل صاحبكم وما غوى) ، وزكى بصره فقال عز وجل: (ما زاغ البصر وما طغى) ، وزكى قلبه فقال: (ألم نشرح لك صدرك؟) وزكى ذِكْره فقال: (ورفعنا لك ذكرك) ، وزكى عِلمه فقال: (علمه شديد القوى) ، وزكاه كله فقال: (وإنك لعلى خلق عظيم).هـ. ومن هذا المنطلق رحتُ أصلي في هذه القصيدة على النبي – صلى الله عليه وسلم – وأل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر العدول الميامين والأبطال المحجّلين ، وعلى رأسهم الأربعة الخلفاء

الراشدين ، وتابعيهم بغير تبديل إلى يوم الدين. وصغتُ صلاتي تلك شعراً هذه المرة ، وذلك لأن تحية الشعراء يجب أن تكون شعراً! وإنما أقول ذلك عنه – صلى الله عليه وسلم – لعظم مكانته وكبير امتنانه!
فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَومَ القِيَامَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ القَبْرُ ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ». أخرجه مسلم. وهو أفضل النبيين والمرسلين.
فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَاناً فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ ، قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ». متفق عليه. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: «فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِستٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الغَنَائِمُ ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُوْراً وَمَسْجِداً ، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الخَلْقِ كَافَّةً ، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ». أخرجه مسلم. وقال الله تعالى مبيناً عظيم فضل رسوله – صلى الله عليه وسلم -: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا}. وقال: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ، وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}. وقال: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}. وهذا كله من فضل الله عليه – صلى الله عليه وسلم – ومن عظيم فضله علينا أن هدانا لدينه القويم واتباع هدي نبيه عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم!)

صلِّ يا ربي على خير الورى ... وعلى آلٍ وصحبٍ في الذرى

وعلى (الكبرى) التي أنوارُها ... طلعتْ بدراً على أم القرى

وعلى (الزهراء) مَن أخلاقها ... هذبتْ قلباً سليماً نيّراً

وعلى الصافي (عليٍّ) مَن سَما ... فوق وصفي دون شكٍ أو مِرا

وعلى (السِبْطين) إذ كانا معاً ... جحفلاً يغتالُ آسادَ الشرى

وعلى الأتباع حتى المُنتهى ... كلما ليلٌ تبدّى أو سرى

وعلى الصِدّيقة الفضلى التي ... بُرِّئت مِن كل إفكٍ مُفترى

وعلى (الصدّيق) مولانا الذي ... كان - في الغار - رفيقاً خيّرا

إنهم باعوا النفوسَ حِسبة ... وكذا الأموال ، والله اشترى

زمرة جلت ، فلو قيل اشهدوا ... قلتُ: هم - والله - ساداتُ الورى

أسلموا لله ، هذا مَجدُهم ... ثم صانوا الدين صوناً والعُرى

واستساغوا البذل في نصر الهُدى ... لم يعودوا - في الجهاد - القهقرى

وأقاموا الدينَ والدنيا معاً ... باجتهادٍ كان حقاً مُثمرا

قد تأسَّوْا بالنبي المصطفى ... وبآل البيت باتوا أطهرا

وبأصحاب كِرامٍ أيقظوا ... عالم الإنس ، فجافاه الكرى

كل فذٍ كم له مِن موقف ... لاح كالصبح إذا ما أسفرا!

صلّ يا ربي على من صاغهم ... مثلما الصائغ صاغ الجوهرا

يا رسول الحق هذه مِدحتي ... ما احتوتْ أبياتها زيفاً يُرى

مِن فؤادي صغتها أرجو بها ... رحمة المولى ، ودمعي قد جرى

باذلاً في نقشها ما يُشتهى ... من أحاسيسَ تسلي مَن قرا

مُستعيراً كل لفظٍ مُبهج ... فاق - إن مس اللسانَ - السكّرا

كن شفيعي عند ربي عندما ... يشهدُ العبدُ الضعيفُ المَحْشرا

واسقني الماء الذي يروي الظما ... حيث أعطاك المليك الكوثرا

لو شربتُ يومها ماء الدنا ... ما ارتويتُ ، لو عَبَبْتُ الأنهرا

يا إلهي فيّ شفعه غداً ... إذ أذاقتني خطاياَ الثرى

إن يكنْ ذنبي عظيماً مُفرطاً ... فالرجا - في الله - أمسى أكبرا

اللهيميد وأنواره

(كتب الأستاذ / سليمان بن محمد اللهيميد كتاباً أسماه: (الأنوار في سيرة النبي المختار– صلى الله عليه وسلم) ويقع في 608 سؤال وجواب. وأرى أن يقتنيه كل مرب وطالب علم. وصدق جون راسكين عندما قال: (إذا كان الكتاب جديراً بالقراءة ، فإنه جدير بأن يُقتنى). وصدق الجاحظ في قوله عن الكتاب وقيمته في حياتنا: (الكتاب وعاءٌ مليءٌ علماً ، وظرف حُشي ظرفاً ، وإناء شُحن مزاحاً. ينطق عن الموتى ، ويترجم كلام الأحياء. لا ينام إلا بنومك ولا ينطق إلا بما تهوى ، آمن من الأرض ، وأكتم للسر من صاحب السر ، وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة). وصدق العتابي إذ قال: (من قرض شعراً ، أو وضع كتاباً ، فقد استهدف للخصوم واستشرف للألسن إلا عند من نظر فيه بعين العدل وحكم بغير الهوى وقليلٌ ما هم!).هـ)

كلمـــا طالعـــتُ الضـــيا ازددتُ رُشـــدا ... وحَبَتنـــي (الأنـــوارُ) عِلمـــاً ومَجـــدا

والتمســـتُ فيهـــا جوابـــاً لسُـــؤلي ... فوجـــدتُ الجـــواب فـــي السِـــفر شَـــهدا

(واللهيميـــدُ) جـــاد بـــالعِلم جُـــوداً ... واعتلـــى مـــتنَ التفاصـــيل فـــردا

تـــارة يُـــدلي باختصـــار ، وأخـــرى ... يســـردُ الأحـــداثَ الدقيقـــة ســـردا

والســـؤال يُفضـــي لأحلـــى جـــواب ... شَـــكرَ اللهُ سِـــفرَه والجُهـــدا

طالـــبُ العلـــم لليواقيـــت يســـعى ... يُحسِـــن البـــذلَ والخُطـــا والقصـــدا

والعلـــومُ تُهـــدي المحبـــين حبـــاً ... إذ تلاقـــي مـــنهم قبـــولاً وودا

والعلـــومُ تُضـــفي علينـــا بهـــاءً ... يســـتحق شـــكراً ومـــدحاً وحمـــدا

يبلـــغ المـــرءُ بـــالعلوم الثريـــا ... والجَهـــولُ بالجهـــل يســـكنُ لحـــدا

والتقـــيّ يـــزدادُ بـــالعلم تقـــوى ... والرشـــيدُ يـــزداد بـــالعلم رشـــدا

مـــا اســـتوى عبـــدٌ بـــالعلوم تحلّـــى ... وجهـــولٌ فـــي جهلـــه يتـــردى!

يـــا (ســـليمان) اقبـــلْ تحايـــا مُحـــب ... حُبّـــه - فـــي أشـــعاره - يتبـــدى

مِـــن جمـــال (الأنـــوار) أثنِـــي عليهـــا! ... وإليهـــا - جســـرَ المحبـــة - مَـــدا

إنهـــا عـــن أعلـــى النبيـــين قـــدراً ... كـــل ذكْـــرى - منهـــا - تـــذرّ الســـعدا

المال أغلى من ابنته!

(في صـ (64) من (حدث في المحكمة) لسلمان العمري قصة عجيبة. إنها قصة ابنة الأربعين التي هاتفت القاضي تقول: إني أكلمك من غرفة مغلقة ، وقد تقاطر الخطاب وبلغت سن الأربعين ، وكان أبي يردّهم لأنني موظفة ، ويرفض نهائياً أن أتزوج واحداً منهم ، لأن راتبي كبير ويخشى من فقدانه ، برغم أني أقول له: إن راتبي لك وحدك دون غيرك. وإن كل ما أكسبه سيكون لك ، ولكن اتق الله فيّ ولا تدعني أحرم من الذريّة ، فيُصر أبي هداه الله على منع الخطاب. سيدي القاضي ، لا أريد أحداً أن يعلم أني تحدثت إليك في هذه المشكلة ، ولا أستطيع أن أكرّر مهاتفتك أو أتحدّث مع غيرك ، فيداي ترتجفان على الهاتف خوفاً من أن يسمع أحد كلامي فيُبلغ به أبي ، فيُوسِعني ضرباً بالسِياط وتوبيخاً وتقريعاً وتبكيتاً بالكلمات. وأسأل هل يجوز لي أن أدعو على والدي بالموت؟ وهل يجوز لي أن أطلب من الله عز وجل أن ينصفني من ظلمه فى الآخرة؟ فإنني أعلم أن خصومتنا في الدنيا غير ممكنة ، لأنني من أسرةٍ راقية ، ولأنني أعيش في مجتمع يقل فيه ويندر ظلمُ الآباء ، ويَحِز في نفسي أن يُعير بي أبي ، وقديماً قالوا: كل فتاة بأبيها مُعجبة. هكذا سألتْ أو نحواً منه بعد اختيار كلامها وزخرفته وتزيينه. قلتُ: إن الصبر هو من أعظم ما ينفعك الله به وعليك بالدعاء والتضرع في السجود بأن يهدي الله أباك ، وعليكِ بأن تسلطي على أبيك عقلاء قومك وعاقلاته ، بطرق مؤدبة ، فقالت: قد فعلت كل شيء ، ولم أفلح. فقلتُ: إنا لله وإنا إليه راجعون ، اصبري واحتسبي وإلى الله المشتكى. أما لهذه الصارخة من مغيث؟! أم أنها ستبقى هكذا تعاني؟! ولنطالع قصة السائلة مع المنجد وابن عثيمين! السؤال: أنا معلمة سني 31 سنة أعمل بالتربية والتعليم منذ أول 1996 وفي آخر 1997 تقدم لي في المدرسة زميل ، ولكن أبي رفض رغم موافقة والدتي ، وكذلك رفض العديد من المتقدمين خلال هذه الفترة ، والسبب أنه بعد العمل بالجامعة سيأتي من هم أفضل من هؤلاء (من المهن التي رفضت مهندس ، وغيرها). وفي عام 2002 تم تعيني بالجامعة كمعيدة ، وتقدّم آخرون ، ولكن كان الرفض أيضاً لأسباب مختلفة ، ومنذ 2003 حتى الآن آخر 2006 لم يتقدم أحد سوى هذا الشخص الذي مازال متمسكاً بالزواج مني ، وأنا أرغب في الزواج منه ، وهو جاد في هذا ، وأنا لا أرى طموحي في العمل بل في تكوين أسرة. والسؤال: - هل يحق لي تزويج نفسي به بدون علم الولي؟ فكان من الجواب أن قال الشيخ ابن عثيمين: (إذا منع الولي تزويج امرأة بخاطب كفء في دينه وخلقه فإن الولاية تنتقل إلى من بعده من الأقرباء العصبة الأولى فالأولى ، فإن أبوا أن يزوجوا كما هو الغالب ، فإن الولاية تنتقل إلى الحاكم الشرعي ، ويزوج المرأة الحاكم الشرعي ، ويجب عليه إن وصلت القضية إليه ، وعلم أن أولياءها قد امتنعوا عن تزويجها ، أن يزوجها ، لأن له ولاية عامة ، ما دامت لم تحصل الولاية الخاصة. وقد ذكر الفقهاء أن الولي إذا تكرر رده للخاطب الكفء فإنه بذلك يكون فاسقاً وتسقط عدالته وولايته ، بل إنه على المشهور من مذهب الإمام أحمد تسقط حتى إمامته ، فلا يصح أن يكون إماماً في صلاة الجماعة ، وهذا أمر خطير! وبعض الناس يرد الخطاب الذين يتقدمون إلى من ولاه الله عليهن ، وهم أكفاء. ولكن قد تستحي البنت من التقدم إلى القاضي لطلب التزويج ، وهذا أمر واقع لكن عليها أن تقارن بين المصالح والمفاسد أيهما أشد مفسدة: أن تبقى بلا زوج ، وأن يتحكم فيها هذا الولي على مزاجه وهواه ، فإن كبرت وبرد طلبها للنكاح زوجها ، أو أن تتقدم إلى القاضي بطلب التزويج مع أن ذلك حق شرعي لها. لا شك أن البديل الثاني أولى ، وهو أن تتقدم إلى القاضي بطلب التزويج لأنها يحق لها ذلك ؛ ولأن في تقدمها للقاضي وتزويج القاضي إياها مصلحة لغيرها ، فإن غيرها سوف يقدم

كما أقدمت ، ولأن في تقدمها إلى القاضي ردعاً لهؤلاء الظلمة الذين يظلمون من ولاهم الله عليهن لمنعهن من تزويج الأكفاء. أي أن في ذلك ثلاث مصالح: * مصلحة للمرأة حتى لا تبقى بلا زواج. * مصلحة لغيرها إذ تفتح الباب لنساء ينتظرن من يتقدم وقد منع هؤلاء الأولياء الظلمة الذين يتحكمون في بناتهم أو فيمن ولاهم الله عليهن من نساء. وفيه أيضا مصلحة إقامة أمر الرسول ـ عليه السلام ـ حيث قال: "إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير"). انتهى ، نقلا عن فتاوى إسلامية).)

بســـعي الأبـــاة الشـــمّ تُقضـــى المصـــالحُ ... وتُمحـــى الخطايـــا ، ثـــم تشـــفى الجـــرائحُ

وتنتصـــرُ الأخـــلاقُ فـــي عُقـــر دارهـــا ... وتنقشـــعُ البلـــوى ، وتصـــفو الجـــوانح

ولا شـــيء بعـــد الـــدين أســـمى مكانـــة ... مِـــن العِـــرض مهمـــا أذهلتنـــا الأراجـــح

نعـــيشُ لهـــذا الـــدين ، تلـــك حقيقـــة ... وإنْ نالـــه وبْـــشٌ ، طفِقنـــا ننـــافح

ونحيـــا نصـــونُ العِـــرضَ والمـــالَ بعـــده ... وهـــذا لـــدينا مَـــنهجُ الشـــرع واضـــح

ومـــا قيمـــة الأمـــوال آلـــت بعِرضِـــنا ... وإن رفرفـــت دورٌ ، ودَفـــت مَفـــارح؟

وإن الصـــبايا ـ فـــي الـــديار ـ أمانـــة ... لهـــن حقـــوقٌ أوجبـــتْ ومَصـــالح

وبيـــعُ الولايـــا للـــذي رام خِطبـــة ... بـــلاءٌ مُبيـــرٌ تزدريـــه المَطـــامح

وكيـــف تبـــاعُ البنـــتُ فينـــا كسِـــلعةٍ ... وأوصـــافها تُهـــدَى ، وتزجَـــى الملامـــح؟

وهـــل ـ بعـــد ســـن الأربعـــين ـ أنوثـــة؟ ... وهـــل بعـــد هـــذي الســـن تُتلـــى المـــدائح؟

ومـــا شـــأنها إن شـــاخ فيهـــا جمالهـــا ... ليزهـــد فيهـــا حاضـــرٌ ، بـــل ونـــازح؟

فيـــا قومَنـــا الأعـــراضُ ليســـت تجـــارة ... شـــكى ظلمكـــم خِـــدرٌ ، وضـــجّتْ وَشـــائح!

وأبكارُنـــا أمســـين فينـــا عوانســـاً ... وآبـــاؤهن الصِّـــيدُ هـــا هـــم جـــوارح

وشـــوقُ الأيـــامى ـ للبُعـــول ـ مُـــؤجّج ... فمـــا حِيلـــة العَـــذراء والشـــوقُ بـــارح؟

نصيحة للمتوسل بالقبور

(الميت لا حول له ولا طول. فلماذا التوسل به ودعاؤه؟ ضلت أقوامٌ تتوسل بالموتى من أصحاب القبور ، زاعمين أنهم يمكن أن ينفعوهم أو يضروهم. وإنما الذي يُدعى ويلجأ إليه ويستغاث به هو الله رب العالمين. وأنا في هذه القصيدة أنصح للمتوسلين بالقبور لأنهم على خطر عظيم. ودعاء الأموات من الشرك الأكبر عند توافر الشروط وانتفاء الموانع! والحقيقة أن الميت هو الذي يحتاج إلى دعائنا له أصلاً. لأنه لا يملك لنفسه فضلاً عن أن يملك لغيره من الله شيئاً!)

لا يَملـــك الميِّـــتُ المقبـــورُ مـــن ضـــررِ ... ولـــيس يملـــك ظـــل النفـــع للبَشـــرِ

فـــيم اللجـــوءُ لـــه؟ وقـــد غـــدا أثـــراً ... هـــل عاقـــلٌ يتـــرك الأعيـــان للأثـــر؟

ثـــوى ، وجندلـــه قبـــرٌ يُغربلـــهُ ... وصـــيّر الـــدود ذكـــراهُ إلـــى خبـــر

الميِّـــت اليـــومَ مُحتـــاجٌ لزائـــرهِ ... يـــدعو المليـــك لـــه بـــالخير والظفـــر

إن التوســـل بـــالأموات مَخبثـــةٌ ... ولا يقـــوم بهـــا مَـــن كـــان ذا بصـــر

إنـــا نُشـــيِّع للقبـــور مَـــن هلكـــوا ... لكـــي نُعـــاين مـــا فـــي الأمـــر مـــن عِبَـــر

ونَـــردِمُ القبـــر بـــالتراب فـــي جلـــدٍ ... وقـــد غفلنـــا عـــن الـــدروس والنّـــذر

والأمـــرُ أكبـــرُ مـــن مَيْـــتٍ نشـــيّعهُ ... أو جثـــةٍ ألقيـــتْ فـــي غـــائر الحُفـــر

زيـــارة القبـــر تُزكـــي الاعتبـــار بـــه ... عنـــد الشـــدائد أو فـــي لَجـــة الغِيَـــر

هـــذا هـــو الشـــركُ ، فاحـــذرْ مِـــن عَواقبـــه ... فالشـــركُ يُحـــبط مـــا عمِلـــتَ ، فـــادّكر

أُدع المهـــيمن فـــي ســـر ، وفـــي علـــن ... ســـبحان ربـــك مـــن حـــيٍّ ومقتـــدر

الحـــي تتركـــه لميـــتٍ أكلـــتُ ... جثمانـــه الأرضُ؟ يـــا للمبطـــل الأشـــر!

أتتـــرك القـــادر الوهـــاب ملتجئـــاً ... لعـــاجز مـــا لـــه شـــيء مـــن القُـــدَر؟

إنـــي نصـــحتُ ، ورب النـــاس يـــأجرني! ... لـــن يـــذهب العُـــرف بـــين الله والبشـــر

إذا انتفعـــتَ بمـــا نصـــحتُ يـــأجرُني ... أو قـــدْ رددتَ فمـــا علـــيَّ مِـــن خطـــر

المروءة مني ، وأنا منها

(اتهم رجل ذو مروءة بأنه عديمها. فراح يدافع عن نفسه. فقيل له: إنك منان على الناس بما تصنع لهم. فقال: ذلك لأننا في زمان تناقض الأشياء. إن سكت فيه المتفضل أنكِر فضله! وإن تكلم قيل إنه منان! وتبجّح بعضهم فزاد حبات الطين بلة بقوله: لا فضل لأحدٍ على أحد ، بل الفضل كله لله! ولا ينبغي أن يشكر أحدٌ أحداً لأن الشكر كله لله! والرد على هذا البعض المتبجح بأن القرآن حسم القضية: (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة – ولا تنسوا الفضل بينكم – أن اشكر لي ولوالديك)! فينبغي شكر أصحاب الفضل والمروءة على تفضلهم ومروءتهم! ألا إن صاحب الفضل من حقه أن يبين الحقيقة إذا خفيت! نعم لا يمن على من أحسن إليه! ولكن عندما لا يعترف من تُفضّل عليه ولا يشكر ، يمكن لصاحب الفضل أن يبين الحقيقة ، ويذكر شيئاً من تفضله ليذكر المنكر للجميل ليس إلا! فكتبتُ في هذا على البحر العروضي الوافر أقول:)

لماذا الطعنُ بالعِلل الوِجاعِ؟ وهل تزوى الحقائقُ بالخداع؟

أيُتهمُ البريءُ بلا دليلٍ ويُرمى بالوصول والانتفاع؟

ويُقهر بالتخرص دون حق ويُوصَف بالسفول والاختضاع؟

ويُذبَح جهرة مثل الأضاحي ويُرمى للأوابد والسباع؟

ويُمسِي عرضه مُلكاً مُشاعاً ومَن يعتد بالمُلك المشاع؟

ألا إن المروءة بعضُ سَمتي كمثل الفلك تسعى بالشراع

وحب البذل ديدنُ كل حر لذلك كان من أحلى طباعي

ولستُ مُزكّيا نفسي ، ولكنْ أحدّثُ بالنعيم المستطاع

أقول الحق ، لا أخشى البرايا وما أنا في التكلف بالشجاع

لأثبت أنني - من فضل ربي - كريمٌ لستُ من سِقط المتاع

لأدفع تهمة بلغتْ مَداها وباتت تستجيش رؤى الدفاع

وأثبت أنني ما كنت نذلاً لكي تنفضّ غائلة النزاع

وأني اليوم أولى باحترام يُخففُ مِن مُقارعة الصراع

يَمِينَ الله ليس المَنّ سَمتي ولكنْ إن ظلمتُ فلن أراعي

المعلم الضحية

(أعطى تلاميذه كل ما عنده على مدى عقدين ، ثم تأمل صورته فوجد الشيب قد بلغ منه مبلغاً عظيماً ، ووجد التجاعيد قد غزت وجهه! فأدرك أنه ضحية عمله الشاق وإخلاصه المتفاني. ولست أعلم عصراً أهين فيه المعلم ونيلت كرامته مثل هذا العصر! ولأني معلم فأنا أدرى بالأحداث!)

بـــــذلتَ الكثيـــــر ، وخضـــــتَ الصـــــعابْ ... وضـــــاع مـــــع البـــــذل رَيْـــــعُ الشـــــبابْ

تســـــــابق شَـــــــيْبك مستبســـــــلاً ... وبعـــــدُ تعـــــاني أســـــى الاغتـــــراب

ويجـــــرح عزمَـــــك فـــــرط الجـــــوى ... وتُزجـــــي الكـــــروبُ إليـــــك العـــــذاب

ويقتلـــــــك الغـــــم ممـــــا تـــــرى ... وقـــــد لفـــــظ الجيـــــلُ نـــــورَ الكِتـــــاب

ويطعنـــــك الهـــــمّ فـــــي مَقتـــــلٍ ... وآمالـــــك اليـــــومَ مثـــــلُ الســـــراب

تفانيـــــتَ حتـــــى طـــــواك العنـــــا ... وأضـــــنى إبـــــاءكَ غـــــدرُ الصـــــحاب

لمـــــن عـــــاملوك جلبـــــتَ الهنـــــا ... وهـــــم قـــــد رمَـــــوْك بـــــأعتى الحِـــــراب

لكـــــل امـــــرئ مـــــنهمُ غايـــــة ... ســـــعى نحوهـــــا ، وتناســـــى الحِســـــاب

وضـــــحّى بـــــدينٍ وعـــــرضٍ ، ولـــــم ... يفكّـــــر- ولـــــو لحظـــــة – فـــــي العِقـــــاب

وبـــــاع الصـــــداقة ، لـــــم يقتـــــرفْ ... وضـــــل - علـــــى الـــــدرب - كـــــل الصـــــواب

وأنـــــت بـــــدينك مستمســـــكٌ ... تُجابـــــه بـــــالحق مكـــــرَ الـــــذئاب

وتُهـــــدي العلـــــوم لمـــــن رامهـــــا ... وفـــــي الحـــــق تعلـــــن فصـــــل الخطـــــاب

وإن كنـــــت وحـــــدك فـــــي فتنـــــةٍ ... تـــــذيق الحلـــــيم لظـــــى الارتيـــــاب

معلمنـــــا: الصـــــبرُ بُحبوحـــــة ... فبالصـــــبر قطعـــــاً يهـــــون المُصـــــاب

وعنـــــد المليـــــك جميـــــلُ الجـــــزا ... وإن الجنـــــان لـــــنعمَ الثـــــواب!

فـــــإن ضـــــاع جهـــــدُك عنـــــد الـــــورى ... فعنـــــد المُهـــــيمن حســـــنُ المـــــآب

النادلة والشهم!

(عاش أحد الرجال المحترمين موقفاً عجيباً ، يصفه بأنه أعجب موقف عاشه في حياته التي امتدت أربعين سنة! ولولا أن راوي هذه القصة ثقة تقوم به الحجة ما صدّقت أن يحدث مثلُ هذا في زماننا الذي قل خيره وكثر بلاؤه وشره. يقول راوي القصة حكاية عن صاحبه بطل القصة الأصلي: توفي زوجُ ابنة عم ذلك الشهم. وكانت امرأة مُصبية (أي ذات أولاد) ، فاضطرتها ظروف الحياة إلى العمل نادلة في مطعم مشهور. وبينما هي في عملها في المطعم إذ يُدعى ابن عمها إلى المطعم لتناول وجبة عشاء دعاه إليها أحد أصدقائه. فإذ به يقابل النادلة ابنة عمه. فاستاء من الموقف ، ولكنه ضبط أعصابه ، ولم يبيَن لصديقه شيئاً. وما هو إلا أن اصطحب زوجته وذهب معها إلى دار ابنة عمه ، في زيارةٍ لم يفصحْ عن سببها لزوجته. وتفقد أحوالها وأدرك تقصيره والعائلة بأسرها في حقها وحق أولادها. فعرض عليها الزواج فوافقت. ولكنها اشترطت أن يكون أباً لأبنائها بعد رحيل أبيهم. فوافق مرحباً بذلك الشرط ، وقرّر أن يحققه لها حِسبة لله تعالى. وخاض غِمار حرب بين زوجته وبين ابنة عمه الزوجة الثانية إلى أن وضعت الحرب أوزارها واستقرت الأمور. ولله الفضل والمنة ، وله الحمد والشكر ، وله سبحانه الثناء الجميل الحسن! فتخيلته في لحظته الأولى في المطعم وهو يرى ابنة عمه يقول لها هذي الكليمات التي صغتها شعراً من وحي خيالي وتأثري. حيث إنني تأثرتُ بهذا الموقف تأثراً لا يتصوره عقل. كما أن زواجه منها يعتبر لوناً من ألوان التضحية والشفقة. وكل ذلك فرض عليّ أن أثمن هذا الموقف الجليل المبارك فقلت شعراً:)

حنانيـــــكِ يـــــا هـــــذه النادلـــــة ... غـــــدا ملتقانـــــا – هنـــــا - نازلـــــة

فإنـــــك أيقظـــــت فـــــيّ الحَيـــــا ... فأدركـــــتُ مـــــا جنـــــتِ العائلـــــة

وهيّجـــــتِ غيـــــرة مُســـــتهتر ... علـــــى أنهـــــا غيـــــرة قاتلـــــة

ولقنتِنـــــي الـــــدرسَ مســـــتوفياً ... بحِكمـــــة أســـــتاذةٍ فاضـــــلة!

وألقيـــــتِ خطبـــــة مَكلومـــــةٍ ... وهـــــل - فـــــي المـــــواعظ - كالثاكلـــــة؟!

وكنـــــتِ - كمـــــا أنـــــتِ - رغـــــم الأســـــى ... تمامـــــاً كمـــــا الزهـــــرة الذابلـــــة

ففيهـــــا تخبّـــــأ كـــــل الشـــــذى ... وإن تـــــكُ فـــــي بيئـــــة قاحلـــــة

لمـــــاذا تحملـــــت مُـــــرّ الشـــــقا ... وكنـــــتِ كراكبـــــةٍ راجلـــــة؟!

لمـــــاذا - علـــــى الفقـــــر - لـــــم تصـــــبري ... لنـــــدرسَ حالتـــــكِ القاتلـــــة؟!

لمـــــاذا ســـــلكتِ دروبَ العنـــــا ... ضـــــحية مَـــــن تخـــــذلُ القافلـــــة؟

لمـــــاذا اتخـــــذت الضـــــنا مـــــوئلاً ... تُعـــــانين صـــــائلة جائلـــــة؟

شـــقتِ علـــى الـــنفس حتـــى خبـــثْ وكانـــــت ـ لطاقاتهـــــا ـ باذلـــــة

وأحرجتِنـــــا بـــــين أصـــــحابنا فهـــل كنـــتِ ـ يـــا أختنـــا ـ هازلـــة؟!

فـــــوالله لـــــولا الحيـــــا والوفـــــا لضـــــقتُ بفعلتـــــكِ الجاهلـــــة!

ومُكثـــكِ ـ فـــي البيـــت ـ خيـــرٌ لنـــا! ولـــــو أن يـــراك الـــورى ســـائلة

لكـــان يســـيراً علـــى خـــاطري مِـــن الشـــغل فـــي مطعـــم (نادلـــة)!

تزوجتُـــــكِ اليـــــوم لا أدّعـــــي سُـــــمُواً علـــــى فـــــذةٍ عاقلـــــة

ولكـــــن أغـــــارُ علـــــى عِترتـــــي وعُطبلـــــةٍ أصـــــبحتْ باهلـــــة

وأحببـــــتُ فيـــــكِ الكفـــــاحَ الـــــذي يُجنبـــــكِ الســـــبلَ الباطلـــــة

وقلبـــــي يَعـــــافُ الـــــبلاء الـــــذي يُريـــــدُكِ خارجـــــة داخلـــــة

وأشـــــفِقُ أنـــــيَ لـــــم أنتبـــــهْ لمـــــن هـــــم علـــــى هـــــذه الشـــــاكلة

وأشـــــفعُ ـ بالعـــــذر ـ مَرثيتـــــي بعـــــين ـ علـــــى مـــــا تـــــرى ـ هاملـــــة

وقلـــــب يُحوقـــــلُ مســـــترجعاً ونفـــــس ـ لفـــــرط الجـــــوى ـ ماثلـــــة

وروح تبثـــــكِ إحساســـــها بعاطفـــــةٍ لـــــم تكـــــن ذاهلـــــة

ولكنهـــــا آثـــــرتْ أن تفـــــي بحقـــــكِ قائلـــــة عاملـــــة

فـــلا تنكئـــي الجُـــرحَ ، بـــل ســـامحي فـــذا واجـــبٌ ، لـــيس بالنافلـــة

علمتـــــكِ حافظـــــة للإخـــــا وأنـــــتِ ـ لأرحامـــــكِ ـ الواصـــــلة

فـــــلا تفجعـــــيهم بطـــــول النـــــوى فمـــــا أنـــــتِ بالفظـــــة الغافلـــــة

ســـــلامِي عليـــــكِ ، وكُلـــــي رجـــــاً بـــــأن تُرزقـــــي الفـــــوز فـــــي الآجلـــــة!

النادلة والغجري!

(هناك في روما ، وفي حي من أحيائها الشعبية القديمة ، تقمص صاحب المطعم شخصية إنسان غجري شريد متخلف ، فعقص شعره جدائل ، ولبس ثياباً رثة ، وارتدى نعلين مشقوقين قديمين ، وغيّر من طريقة كلامه وألفاظه ، وأخفى معالمه نسبياً بحيث لا يُعرَف ، ودخل مطعمه الشهير على أنه شخص آخر على الوصف الذي أسلفنا! وعندما دخل المطعم ليأكل ، عاملته النادلة معاملة طيبة لطيفة ، ولم تسخر منه كما سخر عملاء المطعم الآخرون! وبعد أن عرضت عليه قائمة الطعام وطلب الوجبة التي يشتهي ، وجاءت بها النادلة مشفوعة بالمشروب وفاتورة الدفع! فأكل وشرب وقال لها في الختام: بُنيتي أنا رجلٌ فقير لا أملك من حُطام الدنيا شيئاً ، فهل لي أن أطمع في كرم ضيافتكم؟ فقالت له: أمَا إن هذا ليس في مطعمنا يا سيدي! ولكنني سوف أدفع لك من راتبي! فلما قام ترك لها مظروفاً بداخله مائة دولار ورقية وورقة صغيرة كتب عليها: أنا مستر فلان صاحب المطعم ، وبلغتني عنك شائعات أنك لا تشتغلين بجد وتعاملين الزبائن بكِبر وغطرسة ، الأمر الذي حدا بي إلى أن أرى كل شيء على الطبيعة! فخذي المائة دولار على سبيل الهدية ، وسامحيني في هذا السلوك ، واغفري لي هذا التصرف! فليتعلم من صاحب المطعم هذا مدراء ومسؤولون وكبراء كثيرون حولنا ممن يُصدقون الشائعات! ولا تكاد تجد عند الواحد منهم أدنى وسيلة للتثبت والتحقق من الشائعات! وتحت عنوان: (الإشاعة: خطرها وعلاجها) يقول الأستاذ محمد الجابري ما نصه: (هذه الإشاعات التي لها خطر عظيم وشر كبير. فكم دمرت من مجتمعات وهدمت من أسر ، وفرقت بين أحبة. كم أهدرت من أموال ، وضيعت من أوقات. كم أحزنت من قلوب ، وأحرقت من أفئدة ، وأورثت من حسرة. وإذا أردت أن تعلم عظيم شرها ، فانظر في حادثة الإفك: كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم مكث شهراً كاملاً وهو مهموم محزون ، لا وحي ينزل يبين له حقيقة الأمر، ولا يعرف عن أهل بيته إلا الطهر والعفاف. ولقد فتن كثير من المسلمين بنشر هذه الإشاعات وترديدها دون نظر في النتائج ، ودون نظر في الشرور الناتجة عنها. لقد عالج الإسلام قضية الإشاعة عن طريق ثلاث نقاط: (أ- النقطة الأولى: التثبت. ب- النقطة الثانية: الناقل للإشاعة من الفاسقين. ت- النقطة الثالثة: التفكر في عواقب الإشاعة). يقول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا...) وفي قراءة أخرى (فتثبتوا). فأمر الله بالتبين والتثبت ، لأنه لا يحل للمسلم أن يبث خبراً دون أن يكون متأكداً من صحته. وأما عن التفكر في محتوى الإشاعة: فإن كثيراً من المسلمين لا يُفكر في مضمون الإشاعة الذي قد يحمل في طياته كذب تلك الإشاعة ، بل تراه يستسلم لها وينقاد لها وكأنها من المُسَلمات. ولو أعطينا أنفسنا ولو للحظات في التفكر في تلك الإشاعات لما انتشرت إشاعة أبداً. لقد بين الله حال المؤمنين الذين تكلموا في حادثة الإفك فقال: (إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم).هـ)

سَـــللتُ عِرضَـــكِ ممـــا شـــاع واختلطـــا ... وكـــان أمـــريَ قبـــل الملتقـــى فرُطـــا

وكنـــتُ أجهـــلُ مـــا شـــاعوه مـــن كـــذب ... وبـــات - كـــل الـــذي قـــال الغثـــا - شـــططا

لـــم آلُ جهـــداً ، ولـــم أقبـــلْ مطـــاعنهم ... لمّـــا وجـــدتُ الصُـــوى – بالإفـــك - مُرتبطـــا

عارضـــتهم ، فاســـتماتوا فـــي مجـــادلتي ... وكـــل مجتـــرئ حُســـامَه اخترطـــا

كـــلٌ رآكِ - إلـــى الإهمـــال - مائلـــة ... وتعشـــقين الأذى والغِـــش والغمَطـــا

ولا تبـــــالين بالضـــــيوف إن حضـــــروا ... حتـــى إذا نزلـــوا فـــي المطعـــم اضـــطربا

وتســـــخرين مـــــن الزبـــــائن ارتجلـــــوا ... كلامهـــم ، عنـــدما لـــم يدرســـوا النمطـــا

وتشـــــــتمين بـــــــلا حيـــــــا ولا أدب ... وردهـــم قـــد غـــدا التنفيـــر والســـخطا

وتعمـــــدين إلـــــى تحقيـــــر أغلـــــبهم ... كـــأنهم أصـــبحوا – فـــي مطعمـــي - سُـــططا

وتعبســـــين ، كـــــأن البســـــمة انتحـــــرتْ ... فـــــلا تفـــــاؤل منـــــه الزائـــــرُ اغتبطـــــا

وتقبلـــين علـــى الجمهـــور فـــي بطـــر ... وقســـــوةٍ بأسُـــــها بكِبْـــــرك اختلطـــــا

وتبـــــذلين - مـــــن الألفـــــاظ - أســـــوأها ... كـــــأحمق قولـــــه المُقـــــزز اعتبطـــــا

وتلبســـــين مُسُـــــوح الشـــــم إن أمـــــروا ... وتكثـــرين - علـــى مَـــن زارنـــا - الغلطـــا

فقلـــتُ: أنـــزلُ - بـــين النـــاس - مختبـــراً ... وأســـــتعيرُ سِـــــماتِ الســـــوقة البُسَـــــطا

حتـــــى أرى غـــــادتي علـــــى حقيقتهـــــا ... وبـــاليمين أنحّـــي - عـــن صُـــواكِ - غطـــا

لأكشـــف الســـتر عمـــا كـــان مختفيـــاً ... عنـــي ، فحِكْـــتُ بنـــود الفـــخ والخططـــا!

حتـــى رأيتـــكِ – للمعـــروف - صـــانعة ... فقـــد وضـــعتِ - علـــى حروفـــيَ - النقطـــا!

وبـــــات شـــــكّي ســـــراباً لا دوام لـــــه ... ولـــم يعـــدْ أمـــركِ المعتـــلّ مُســـتوطا

عاينـــتُ جُـــودك والإخـــلاصَ عـــن كثـــب ... فقلـــتُ: لســـتُ الـــذي - فـــي حُكمـــه - قســـطا

بـــل أســـتميحكِ عُـــذراً فـــي معـــاملتي ... إن الفـــؤاد - بمـــا أحدثتِـــهِ - انبســـطا

أنـــا المســـيء ، ومَـــولاتي مُبـــرّأة ... وســـوف أقمـــعُ رأسَ القـــوم والرهطـــا

تبختـــري ، واطلبـــي مـــا شـــئتِ مـــن عِـــوَض ... فقـــد غـــدوتُ لمَـــا تقضـــينه نشِـــطا

عربـــون تـــوبي - عـــن الظنـــون - جُـــدتُ بـــه ... فهـــذه مائـــة آلـــتْ إليـــكِ عطـــا

وذاك شـــكري لمَـــا أســـديتِ مـــن كـــرَم ... قـــولي: رضـــيتُ ، وقلبـــي زايـــلَ الســـخطا

الناقة والسايس

(كتب شعراءُ كثيرون عن الناقة بلحمها وشحمها ، وخفافها وعظامها. ولكنني أكتب عن الناقة الرمز والمعنى. وأقول: إن السايس المتهور هو الذي يقود ناقته إلى حتفها. وهو يعلم أن في هذا الدرب أو ذاك هلاكها. وإذا كان هذا السايس لا حياة له إلا بحياة هذه الناقة ، فماذا يكون وصف هذا السايس؟ إن الناقة قد يكون لها عذرها في بداية رحلة الدمار والضياع والهلاك تلك. لأنها تفترض الخير في سايسها ، وتأمُل الحكمة فيه ، وتأمن جانبه ، وتستبعد تماماً أن يعمد ذلك السايس إلى الخلاص المكشوف منها ، بهذي الصورة المزرية الحقيرة الفجة. يقول الله تعالى : {ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون}. يقول الإمام الألوسي رحمه الله: "لولا قضاة السوء والعلماء السوء ، لقل فساد الملوك. بل لو اتفق العلماء في كل عصر على الحق ودفع الظلم مجتهدين في ذلك ، مستفرغين جهودهم ، لما اجترأ الملوك على الفساد ، ولاضمحل الظلم من بينهم". ويورد الألوسي رحمه الله رأياً آخر فيقول: "وإذا كان الركون إلى من صدر منهم ظلم مرة في الإفضاء إلى مساس النار هكذا ، فما ظنك بالركون إلى من صدر منهم الظلم مراراً ورسخوا فيه ، ثم بالميل كل الميل لهم؟". ويقول صاحب الظلال رحمه الله: "لا تستندوا ولا تطمئنوا إلى الذين ظلموا ، إلى الجبارين الطغاة الظالمين ، أصحاب القوة في الأرض من الذين يقهرون العباد بقوتهم ، ويعبّدونهم لغير الله من العبيد". وإذن فهي ضريبة الاسترقاق التي تدفعها كل ناقة تستسلم لسايسها الغر! ولكن ما عذر السايس الذي قد اختل عقله ، وطاشت رؤاه ، واندحرت موازينه ، ولمست الناقة ذلك ، وخبَرته عن سايسها ، فلماذا لا تأخذ على يده ، وتنطلق وحدها وتتركه ، وتمضي إلى النجاة مخلفة هذا المتهور وحده في البرية يعض أصابع الندم ويعتصر ألماً ، ويلوك حسرته؟ إنها لناقة متهورة ، تلك التي تستسلم لمن يقودها إلى الهاوية. وهي ترى بكلتا عينيها الضياع والهلاك ، ومع كل ذلك تصر مستكبرة على المسير ، ثم بعد الضياع والهلاك والتشريد تلوم الأقدار والناس ، وتقلب كفيها على ما فرطت. وكان بإمكانها أن تصنع الكثير لاستنقاذ الموقف والخروج الآمن لنفسها ولسايسها من المصير المفجع! حول موقف الناقة من سايسها ، كانت هذه القصيدة الرمزية! والتي أعتمد في قرائي فيها على فطنتهم وأراهن على ذكائهم في فك الرمز وحل اللغز!)

دمـــــري نفســـــكِ ، أنـــــتِ الســـــببُ ... والـــــذي يطغـــــى لـــــه منقلـــــبُ

واذبحـــــي قلبـــــك ، لا تعتـــــذري ... ناقـــــة بلهـــــاءُ ، فـــــيم العَجَـــــب؟!

قـــــد قتلـــــتِ الطفـــــل عمـــــداً ، والحِمـــــى ... ثـــــم أنســـــاكِ الرزايـــــا الجَـــــدَب

مـــــا عليـــــكِ العُتـــــبُ ، كـــــلا ، صـــــدّقي ... بـــــات ســـــمتَ النـــــاس هـــــذا الرهـــــب!

فـــــاهربي مـــــن واقـــــع منـــــتكس ... إن عـــــين الخيـــــر ذاك الهـــــرب

وادفنـــــي أمـــــركِ هـــــذا فـــــي الـــــدجى ... ســـــوف يُخفيـــــه الـــــدجى ، والحُجُـــــب

واهزلـــــي - مـــــا شـــــئت - ضـــــاعت أمـــــة ... والعُـــــرى ضـــــاعت ، وضـــــاع النسَـــــب

وارفلـــي فـــي القيـــد ، كـــوني حِلسَـــه أمَـــــة أنـــــتِ ، وغـــــاب الحَسَـــــب

لا تقـــولي: مِـــــن ربـــــا أنـــــدلس صـــــــدقيني: إن هـــــــذا كـــــــذب!

أو تقـــولي مـــــن حِمـــــى عُـــرب أنـــا والـــــذي ســـــواكِ ، هـــــذا لعـــــب

قـــد صـــمتِّ العمـــــر ، لـــم تنتصـــري قلـــــتِ: إن الصـــــمت حقـــــاً ذهـــــب

إنمـــــا الســـــائسُ أودى بـــــالحِمى وعجيـــــب منـــــكِ هـــــذا الســـــبب!

حـــز حبـــل الســـائس الجيـــد الـــذي طالمـــــا أغـــــراه فيـــــكِ الجَـــــرَب

أنـــت منـــذ البـــدء آثـــرتِ الهـــوى فسَـــــرَى البـــــؤسُ ، وحـــــلّ الجـــــدب

كنـــــتِ للســـــائس أرضـــــاً والغِـــــذا فعـــــلاكِ الكيـــــدُ ، بـــــل والقُضُـــــب

ســـــاقكِ الســـــائسُ الطـــــاغوتُ لـــــم ترفضـــــي ، حتـــــى طـــــواكِ النصـــــب

فاحـــــذري مـــــن أن تلـــــومي أحـــــداً عقلـــــك المـــــرذولُ ، فيـــــه العَطـــــب

واســـــتعدي للمنايـــــا فـــــي لظـــــى أنـــــتِ والســـــائسُ فيهـــــا الحَصَـــــب

واســـــتريحي فـــــي ســـــراب خـــــدع عاشـــــتِ النـــــوقُ ، وتحيـــــا الخُشُـــــب!

مـــــا علـــــى الحمقـــــاء لـــــومٌ أبـــــداً يحـــــرق الهلكـــــى هنـــــاك اللهـــــب

والبلايـــــا جمـــــة ، لا تعجبـــــي غيـــــر أن العِيـــــر لا تحتســـــب

واســـــتنيري بالهُـــــدى ، لا تجهلـــــي لا يُثبطـــــكِ الخَطـــــا والريَـــــب

كـــــم دعـــــاةٍ قوَّمـــــوا أخطـــــاءه! ثـــــم لـــــم ينفـــــع هـــــدىً أو أدب

ســـــائسٌ أودى بـــــه إعراضُـــــه لـــــم تـــــؤثر فـــــي جفـــــاه الخُطـــــب

وحـــــرامٌ عنـــــده العلـــــمُ الـــــذي قـــــد حوتـــــه للبرايـــــا الكتـــــب

فدعيـــــه يحتـــــرقْ ، وانطلقـــــي وانصـــــحي للنـــــوق ، هـــــذا الرغـــــب

إن رب الخلـــــق كافيـــــكِ ، فـــــلا ترغبـــــي عنـــــه فهـــــذا الطلـــــب

الوصِية الخالدة

(مهما حاول المرء أن يقنع نفسه بالرضا عن نفسه فما هو. وإن جد واجتهد في تحقيق ذلك فما هو بمستطيع! وإن لوم النفس دائم الطرق على سندان الضمير. وقد طالبتنا شريعة رب الأرض والسماء تبارك وتعالى بالمحافظة على الضرورات الخمس! قال ابن أمير الحاج: ويقدم حفظ الدين من الضروريات على ما عداه عند المعارضة لأنه المقصود الأعظم ، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ} ، وغيره مقصود من أجله ، ولأن ثمرته أكمل الثمرات وهي نيل السعادة الأبدية في جوار ربّ العالمين ، ثم يقدم حفظ النفس على حفظ النسب والعقل والمال لتضمنه المصالح الدينية لأنها إنما تحصل بالعبادات ، وحصولها موقوف على بقاء النفس ، ثم يقدم حفظ النسب لأنه لبقاء نفس الولد إذ بتحريم الزنا لا يحصل اختلاط النسب ، فينسب إلى شخص واحد فيهتم بتربيته وحفظ نفسه ، وإلا أهمل فتفوت نفسه لعدم قدرته على حفظها ، ثم يقدم حفظ العقل على حفظ المال لفوات النفس بفواته حتى إن الإنسان بفواته يلتحق بالحيوانات ويسقط عنه التكليف ، ومن ثمة وجب بتفويته ما وجب بتفويت النفس وهي الدية الكاملة ، ثم حفظ المال. قال الشاطبي: فقد اتفقت الأمة بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس وهي: الدين والنفس والنسل والمال والعقل ، وعلمها عند الأمة كالضروري ، ولم يثبت لنا ذلك بدليل معين ولا شهد لنا أصل معين يمتاز برجوعها إليه ، بل علمت ملاءمتها للشريعة بمجموع أدلة لا تنحصر في باب واحد. قال عبد الله قادري: وقد سمى صلى الله عليه وسلم الاعتداء على هذه الأمور موبقاً أي مهلكاً ، ولا يكون مهلكاً إلا إذا كان حفظ الأمر المعتدى عليه ضرورة من ضرورات الحياة. فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اجتنبوا السبع الموبقات) قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: (الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات). وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه: (بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه) فبايعناه على ذلك. والوضوح مع النفس أنقى من الغموض. وجوهر النفس القلب. وهو المضغة التى إن صلحت صلح الجسد كله ، بما فى ذلك النفس ، وإن فسدت فسد الجسد كله. بما فى ذلك النفس. والحياة من أجل القيم أغلى حياة.)

حقّـــــقِ التوحيـــــدَ أعْـــــلِ القِيمـــــا لا تكـــــن فـــــي حقـــــك المنهزمـــــا

أنـــــت فـــــي الآفـــــاق نجـــــمٌ ظـــــاهرٌ أنـــــت أحـــــرى أن تبيـــــد الألمـــــا

أنـــــت فـــــي الـــــدنيا كبيـــــرٌ أبـــــداً أنـــــت نبـــــراسٌ ينـــــاجي القِممـــــا

أنـــــت مثـــــل الحـــــق عـــــال ألـــــقٌ جيلـــــك الســـــامي ســـــيعلو الأممـــــا

حطمـــــوا آهاتِـــــك الحـــــرى سُـــــدى ثـــــم بـــــاتوا يزرعـــــون الســـــأما

أعملـــوا ســـيف اللظـــى فـــي دعـــةٍ أحرقـــوا الآمـــال ، شـــجوا القلمـــا

أوغـــروا صـــدر الفتـــى فـــي خلســـةٍ ثـــم راحـــوا يـــذبحون الـــذمما

شـــوهوا الأحـــلام فـــي مهـــد الصـــبا فاعتراهـــا الضـــيمُ ، صـــارت رممـــا

خربـــوا الإنســـان مـــن داخلـــه بـــدّدوا الإحســـاس ، داســـوا الحُرُمـــا

أشـــربوه الجـــبن فـــي أوصـــالهِ دمّـــروا الـــرأس بـــه والقـــدما

كبلـــوا الأقـــدام منـــه ، والنهـــى فجَّـــروا فـــوق اللهيـــب الحُممـــا

إن ـ فـــي المقـــدور ـ إنســـاناً لكـــم يـــزرعُ العـــزم ، ويُزجـــي الســـدما

مـــؤمنٌ بـــالله يرجـــو نصـــره اســـتوى خلقـــاً وذوقـــاً ودمـــا

حـــدّثوا عنـــه الـــدنا إن جهلـــتْ إنكـــم لـــم تعرفـــوا محترمـــا

صـــدقوني ، لا تزيـــدوا ألمـــي إفككـــم هـــذا يزيـــد الســـقما

ثـــم ـ فـــي المَقـــدور ـ جيـــلٌ قـــادمٌ يرقـــب النصـــر ، ويســـعى قـــدماً

إننـــي لا أكتـــب اللغـــز إذن إنمـــا اللغـــز ســـرابٌ ودُمَـــى

وكـــذا الألغـــاز لا تكتبنـــي إن ـ للألغـــاز ـ قومـــاً شُـــبُما

الوحدة العربية: (6972). غرة جمادى الآخرة 1416هـ. الموافق 25 من أكتوبر1995م.

(كان علماؤنا يدركون قيمة الوقت ، فهذا ابن حجر يشرح البخاري ، وهذا النووي يشرح مسلماً ، وهذا ابن كثير بمؤلفاته سواء التفسير أو البداية والنهاية. وهذا الإمام فخر الدين الرازي يؤلف كتبا منها التفسير الذي يقع في 30 مجلدا. والإمام النووي مات وعمره 45 سنة وقد ترك من المؤلفات ما لو قسّم على أيام حياته لكان لكل يوم أربع كراريس. والإمام ابن تيمية ترك 300 مجلداً. والإمام الذهبي وكتبه العملاقة التي منها سِيَر أعلام النبلاء. والإمام السرخسي بمؤلفاته الكثيرة. والإمام ابن رجب الذي لا تكاد مؤلفاته تعد أو تحصى. وابن القيم ومكتبته العملاقة. والحافظ ابن أبي الدنيا الذي ألف 1000 كتاب. وابن عساكر الذي ألف التاريخ في 80 مجلداً. وابن حزم الذي ألف 400 مجلدا تشتمل على قريب من 80000 ورقة. قال إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني : (أنا لا أنام و لا أكل عادة ، وإنما أنام إذا غلبني النوم ليلاً كان أو نهاراً ، وآكل إذا اشتهيت الطعام أيّ وقتٍ كان). وكانت لذته ولهوه ونزهته في مذاكرة العلم ، وطلب الفائدة من أي نوع كان. وقال ابن القيّم عن شيخه: "وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في سننه وكلامه وإقدامه وكتابته أمراً عجيباً ، فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة"! وقال الذهبي: "إن تصانيفه تبلغ خمسمائة مُجلّداً" ، هذا مع ما يقوم به من تعليم ودعوة وجهاد! وعند الترمذي بسند حسن أن النبي قال: (من خاف أَدْلَجَ ، ومن أَدْلَجَ بلغ المَنْزِل ، ألا إنّ سِلْعَة الله غالية ، ألا إنّ سِلْعَة الله الجنة). وذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء عن عمار بن رجاء قال: سمعت عبيد بن يعيش يقول: أقمت ثلاثين سنة ما أكلت بيدي بالليل ، بل كانت أختي تلقمني وأنا أكتب الحديث. وقيل عن عامر بن عبد قيس أحد التابعين الزهاد: أن رجلاً قال له: كلمني ، فقال له عامر بن عبد قيس: أمسك الشمس. وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه ، نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي. وقال ابن مسعود أيضاً: "إني لأمقت الرجل أن أراه فارغاً ليس في شي من عمل الدنيا ولا عمل الآخرة". وقال أبو هلال العسكري في كتابه الحث على طلب العلم والاجتهاد في جَمْعه: كان الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري أحد أذكياء العالم ، المولود سنة 100 ، والمتوفى سنة 170 رحمه الله تعالى يقول: أثقل الساعات عليّ: ساعة آكل فيها. وقال العلامة طاشكبري زاده في مفتاح السعادة ومصباح السيادة: كان محمد بن الحسن الشيباني الكوفي البغدادي الإمام الفقيه المجتهد المحدّث تلميذ أبي حنيفة ، المولود سنة 132هـ والمتوفى سنة 189هـ رحمه الله لا ينام الليل ، وكان يضع عنده دفاتر- يعني كتبا - فإذا ملّ من نوع نظر في آخر ، وكان يُزيل نومه بالماء ويقول: إن النوم من الحرارة. وهذا محمد بن سلام البيكندي شيخ البخاري المتوفى سنة 227هـ ، كان في حال الطلب جالساً في مجلس الإملاء ، والشيخ يُحَدّث ويُمْلي ، فانكسر قلم محمد بن سلام فأمر أن ينادى: قلم بدينار ، فتطايرت إليه الأقلام. ذكره العيني في عمدة القاري. وقال عمر بن عبد العزيز الخليفة الصالح: إن الليل والنهار يعملان فيك ، فاعمل فيهما. وقال الحسن البصري رحمه الله: يا ابن آدم ، إنما أنت أيام ، فإذا ذهب يوم ذهب بعضك. وقال: أدركتُ أقواماً كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصاً على دراهمكم ودنانيركم. ونقل الذهبي في تذكرة الحفاظ في ترجمة الإمام المحدث حماد بن سلمة البصري البزاز الخرقي عن موسى بن إسماعيل التبوذكي: لو قلت لكم: إني ما رأيت حماد بن سلمة ضاحكاً لصدقت ، كان مشغولاً: إما أن يُحَدّث أو يقرأ أو يُسبح أو يُصلي ، وقد قسّم النهار على ذلك. قال يونس المؤدب: مات حماد بن سلمة وهو في الصلاة. وجاء في ترتيب المدارك للقاضي عياض في ترجمة الفقيه المالكي المحدث الإمام محمد سحنون

القيرواني المولود سنة 202هـ والمتوفى سنة 256هـ رحمه الله ، قال المالكي: كانت لمحمد بن سحنون سُرّيّة - أي جارية مملوكة - يقال لها أم مدام ، فكان عندها يوماً ، وقد شغل في تأليف كتاب إلى الليل ، فحضر الطعام فاستأذنته فقال لها: أنا مشغول عنه الساعة. فلما طال عليها الانتظار جعلت تلقمه الطعام حتى أتى عليه ، وتمادى هو على ما هو فيه إلى أن أذن لصلاة الصبح ، فقال: شغلنا عنكِ الليلة يا أم مدام هات ما عندك من طعام ، فقالت: قد والله يا سيدي ألقمته لك ، فقال: ما شعرتُ بذلك. وذكر الذهبي في تذكرة الحفاظ عن أحمد بن مردويه قال: كان أبو نعيم في وقته مرحولاً إليه ، لم يكن في أفق من الآفاق أحدٌ أحفظ منه ، ولا أسند منه ، كان حفاظ الدنيا قد اجتمعوا عنده ، وكل يوم نوبة أحد منهم ، يقرأ ما يريد إلى قريب الظهر ، فإذا قام إلى داره ربما يقرأ عليه في الطريق جزء ، وكان لا يضجر ، لم يكن له غذاء سوى التسميع والتصنيف. وذكر الإمام الذهبي في تذكرة الحفاظ في ترجمة الخطيب البغدادي المولود سنة 392 هـ والمتوفى سنة 463 هـ ، قال: كان الخطيب يمشي وفي يده جزء يطالعه. وأما أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي فيقول: إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري ، حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرة أو مناظرة ، وبصري عن مطالعة ، أعملتُ فكري في حال راحتي وأنا منطرح ، فلا أنهض إلا وقد خطر لي ما أسطره ، وإني لأجد من حرصي على العلم وأنا في عشر الثمانين أشد مما كنت أجده وأنا ابن عشرين. قال: وأنا أقصر بغاية جهدي أوقات أكلي ، حتى أختار سف الكعك وتحسّيه بالماء لأجل ما بينهما من تفاوت المضغ توفراً على مُطالعة أو تسطير فائدة لم أدركها فيه. وهو صاحب كتاب الفنون وهو في ثمانمائة مجلد ، قال فيه: أما بعد فإن خير ما قطع به الوقت وشغلت به النفس فتقرب به إلى الرب جلت عظمته: طلبُ علم أخرج من ظلمة الجهل إلى نور الشرع ، وذلك الذي شغلتُ به نفسي وقطعتُ به وقتي. فما أزال أعلق ما أستفيده من ألفاظ العلماء ، ومن بطون الصحائف ، ومن صيد الخواطر التي تنثرها المناظرات والمقابسات في مجالس العلماء ومجامع الفضلاء ، طمعا أن يعلق بي طرف من الفضل أبعد به عن الجهل لعلي أصل إلى بعض ما وصل إليه الرجال قبلي. ولو لم يكن من فائدته عاجلاً إلا تنظيف الوقت عن الاشتغال برُعونات الطباع ، التي تنقطع بها أوقات الرّعاع ، لكفى ، وعلى الله قصد السبيل ، وهو حسبي ونعم الوكيل. وقال أبو هلال العسكري في كتابه الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه: وحكي عن ثعلب - أحمد بن يحي الشيباني الكوفي البغدادي - ، أحد أئمة النحو واللغة والأدب والحديث الشريف والقراءات ، المولود سنة 200هـ والمتوفى سنة291 هـ رحمه الله أنه كان لا يفارقه كتابٌ يدرسه ، فإذا دعاه رجل إلى دعوة شرَط عليه أن يوسّع له مقدار مِسْورة - وهي المتكأ من الجلد – يضع فيها كتابا ويقرأ. وفي معجم الأدباء لياقوت الحموي وتاريخ بغداد للحافظ الخطيب البغدادي أن أبا جعفر الطري قال لأصحابه: أتنشطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ قال: ثلاثون ألف ورقة ، فقالوا: هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه ، فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة ، وأملاه في سبع سنين. ثم قال لهم: أتنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحوا مما ذكره في التفسير ، فأجابوا بمثل ذلك ، فقال: ماتت الهمم ، فاختصره في نحو مما اختصر التفسير. قال الخطيب: وسمعتُ السمسِمي يحكي أن ابن جرير مكث أربعين سنة ، يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة. قال ابن الجوزي رحمه الله: ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه وقدر وقته ، فلا يضيّع منه لحظة في غير قربة ، ويقدم فيه الأفضل فالأفضل من القول والعمل ، ولتكن نيته في الخير قائمة من غير فتور ، بما لا يعجز عنه البدن من العمل ، كما جاء في الحديث الشريف: نية المؤمن خير من عمله. وقال رحمه الله في رسالة نصح بها ولده سماها: لفتة الكبد في نصيحة الولد ، قال: واعلم يا بني أن الأيام تبسط ساعات ، والساعات تبسط أنفاساً ، وكل نفس خزانة

فاحذر أن يذهب نفس بغير شيء فترى في القيامة خزانة فارغة فتندم. وانظر كل ساعة من ساعاتك بماذا تذهب ، فلا تودّعها إلا إلى أشرف ما يمكن ، ولا تهمل نفسك ، وعوّدْها أشرف ما يكون من العمل وأحسنه وابعث إلى صندوق القبر ما يسرك يوم الوصول إليه. وهذا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه - يواصل ليله بنهاره يقول: (إن نمت الليل ضيّعت نفسي ، وإن نمت النهار ضيّعت رَعِيّتي) ، فكيف النوم بين هذين؟ وابن شاهين الذي صنف 330 صنفاً منها التفسير في 1000 جزء والمسند في 1500 جزء. وسيد قطب بظلاله ومعالمه وخصائص تصوراته وغيرها الكثير ناهيك عن الذي ضاع وافتقد. وأحمد شلبي وأنور الجندي ، وعلي الصلابي الذي اعوجّت أصابعُ يمينه من الكتابة بالقلم ، وهذا علمته من أحد تلاميذي الثقات في مدرسة أم القرى هنا (حذيفة أشرف). ولذلك فإنها لحكمة جميلة: (الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك). والأمر كما يقولون: الوقت من ذهب إن لم تدركه ذهب. والوقت كنز إن ضيعته ضعت. والوقت أجدر بأن يصادق لا يقاتل. والوقت هو المادة الخام للحياة. والوقت عدوٌ مجتهدٌ لا يقتله إلا كل مجتهد. والوقت كالجمل في بُطئه وصبره ، بطئ في مِشيته ولكنه قد يطوف بك العالم بأسره لو أردت. والوقت كالمال إذا كنزته زادك فقراً ، ونقصان الوقت كالمال كلاهما قيم في جودته وحسن إنفاقة واستخدامه. فالدنيا ساعة اجعلها طاعة. وصدق قوم إذ قالوا: الوقت المنظم الجيد هو البرهان الأكيد على العقل المنظم الجيد. وبعض السعادات لا تنبت من جديد مهما منحتها مزيداً من الوقت. والوقت الذي يتوقف فيه الإنسان عن القراءة ، هو الوقت الذي يموت فيه. وإن الوقت من ذهب ووقتك لا يقل شأناً عن وقت الآخرين. والحقيقة أن الوقت لا يسعفنا لنعبر عن أنفسنا. والأمور لا تتحسن مع الوقت ، بل نحن الذين نعتاد سوءها. والوقت كالسكين إن لم تمسكه من مقبضه قطع يدك بقطعته. والوقت كالبحر إن لم تسر فيه بسفينة مصنوعة من العِلم وحسن الصنعة فلا تظن أنك سوف تمشي على الماء مثل مجاذيب الأساطير ولا تلومن إلا نفسك. والوقت كالماء إن لم تشربه ، ابتلعك وأغرقك وأتلف حياتك. لقد كان علماؤنا الأولون يدركون ما للوقت من قيمة فأحسنوا استغلاله والاستفادة منه. وسار على ذات المنوال علماؤنا المعاصرون في مبدأ الاستفادة من الوقت واستثماره أفضل استثمار. ولقد فطنتُ إلى هذا وفعلاً أحاول جاهداً أن لا يقطعني سيف الوقت بل أقطع أنا سيف الوقت بسيف الانتفاع به والاستفادة منه. وكنت قد حرصتُ على استثمار وقتي واستغلاله! ودواويني الأربعة عشر وكتاباي في مجال النقد الأدبي الأسلوبي خير دليل على ما أقول! ومن هنا رحت أسجّل هذه الوصية الذهبية شعراً لكل من سيأتي بعدنا من الأجيال!)

إنمـــا الوقـــتُ كالحســـام المـــاحي ... فاغتنمـــــهُ فـــــي غـــــدوةٍ ورَواح

زهـــرة العمـــر فـــي التمـــاس المعـــالي ... وبلـــــوغ الآمـــــال أســـمى النجـــاح

والتـــــزامُ الشـــــرع المطهّـــــر ذخـــــرٌ ... والهُـــدي والتقـــوى ســـبيلُ الفـــلاح

والتحلـــــي بالصـــــبر زادٌ وكَـــــيسٌ ... واغتنـــــامُ الأوقـــــات بعـــضُ الكفـــاح

والغبـــيّ مَـــن يقتـــل العمـــر غـــدراً ... ثـــم يزجـــي أعـــذاره ، ويُلاحـــي

ويقـــول: التقـــديرُ خـــان ظنـــوني ورمـــاني فـــي حَمـــأة الأتـــراح

ويقـــول: جُهـــدي بـــذلتُ ، ولكـــنْ بـــين قـــومي لـــم يحتفـــلْ بـــي طِمـــاحي

ويقـــول: الأحـــداث أكبـــرُ منـــي والـــبلاءُ الرهيـــبُ أدمـــى جراحـــي

ويقـــول: العُـــذال حـــولي اســـتبدّوا واســـتطالوا مـــا بـــين بـــاغ ولاح

ويقـــول: لـــن أبلـــغ المجـــد وحـــدي مـــا عَتـــادي؟ مـــا عُـــدّتي؟ مـــا ســـلاحي؟

ويقـــول: أيـــامُ عمـــري تمضّـــتْ لـــم تُـــذِقني ترنيمـــة الأفـــراح

صـــاح هـــوّنْ عليـــك ، وانهـــضْ ، وجاهـــدْ دونـــك العـــيش كـــالروابي الفِســـاح

واغتـــنمْ عمـــراً نصـــفه مـــات هـــزلاً بـــين وهـــم وخيبـــةٍ واجتيـــاح

لا تشـــمّتْ فيـــك الأعـــاديْ ، فتحيـــا فـــي شـــقاءٍ يُـــردي الهنـــا ، لا تلاحـــي

اكســـر القيـــدَ ، وانطلـــقْ دون خـــوفٍ وارجُ نصـــراً مـــن ربـــك الفتـــاح

واهجـــر الـــوهم ، لا تســـوّفْ بتاتـــاً عُمرُنـــا بـــين الليـــل والإصـــباح

مثـــل ســـيفٍ عُمْـــرُ الفتـــى ، والليـــالي تجتنـــي مـــا قـــد مـــات مـــن أرواح

فـــاتبعني ، واســـمع نصـــيحة خِـــل قـــمْ وأشـــعلْ ذبالـــة المصـــباح

وانطلـــقْ فـــي هـــذي الـــدياجير فـــرداً يَقهـــرُ الـــذل بـــاليقين المتـــاح

واســـتعنْ بـــالله القـــدير ، وأحســـنْ وادعُ ، والهـــجْ بـــدمعك المِلحـــاح

الوهم

(كانت هذه الزوجة الغبية تتوهم عشق زوجها المؤمن لابنتها المراهقة (هبة). إذ إنها تزوجتْ بعد وفاة زوجها ، وكانت لها من الأول هذه الابنة. فكان وهْماً شيطانياً مُدمراً يدفع بالجميع: الزوج وزوجته وربيبته إلى الهاوية. كلنا نغار! ولكنْ أن تتحول الغيْرة إلى شبح يهدد الحياة الأسرية ، فهذا أمرٌ مرفوض جملة وتفصيلاً! ونقلت صحيفة "دي فيلت" الألمانية عن المعالج النفسي الألماني فولفغانغ كروغر قوله: (إن الخوف على ضياع العلاقة العاطفية هو أساس الغيرة. وينتج هذا الشعور بالتهديد نتيجة للإحساس بوجود طرف آخر في حياة الشريك).هـ. ويتفق كروغر مع المقولة السائدة الشائعة بأن الغيرة دليل قويٌ على الحب ، ويرى أن الغيرة الطفيفة هي تعبير عن الحب والاهتمام بشريك الحياة. ولكنني أدعو إلى ترشيد الغيرة! فرحتُ أنصحُ لها شِعراً!)

هـــــداديكِ يـــــا هـــــذه المُغضـــــبة ... ولا تقتلـــــــي بـــــــالتجني (هبـــــــةَ)

دهتـــــكِ الأظـــــانينُ حتـــــى غـــــدتْ ... تُعيـــــرُ فـــــؤادَك أعتـــــى الشَّـــــبه

وأصـــــبحتِ ـ فـــــي النـــــاس ـ أضـــــحوكةً ... فرفقـــــــاً بنفســـــــكِ يـــــا مُذنبـــــــة!

توهمـــــتِ ، والـــــوهمُ يُعمـــــي النّهـــــى ... ويُشـــــــعلُ غيرتـــــــك المُلهبـــــــة

وباتـــــت شـــــكوكُك مثـــــل اللظـــــى ... تنـــــالُ مـــــن الغـــــادة الطيبـــــة

وتطعـــــنُ ـ فـــــي خِســـــةٍ ـ عِرضـــــها ... معـــــاذ الأمومـــــــة والمَقرَبـــــــة!

تقـــــولين فيهـــــا الـــــذي لـــــم يكـــــنْ ... كـــــأن الشـــــكوك غـــــدتْ مَوْهبـــــة

تخالينهـــــا مِـــــن بنـــــات الهـــــوى ... تقـــــولين: بـــــالزوج ذي مُعجبـــــة!

وعاتبـــــكِ الـــــزوجُ مُســـــتهجناً ... ظنونـــــاً بعقلِـــــكِ مســـــتغربة

ولـــــن يُصـــــلحَ العُتـــــبُ مَـــــن قـــــد غـــــوتْ ... ومـــــا مِثـــــلُ هـــــذي بمســـــتعتبة

ويقتـــــلُ قلـــــبَ الفتـــــاة الجـــــوى ... إذ الأم ـ مِـــــن حالهـــــا ـ مُغضـــــبة

ولا ذنـــــب للبنـــــت فيمـــــا جـــــرى ... وسُـــــمعتها أصـــــبحتْ مَأدُبـــــة

بغيـــــر الـــــدليل تُـــــدانُ ضُـــــحىً ... ونعـــــم التثبـــــتُ مِـــــن مَنقبـــــة!

وتعســـــاً لـــــوَهم يُضـــــل الـــــورى! ... وإن عواقبَـــــــــه مُعطِبـــــــــة

رسالة أبوين إلى ولد عاق!

(عق أبويه فسطرتُ حكاية عنهما هذه الرسالة الشعرية. وقبل مطالعتها يحسن أن نذكّر العاقين بوصية الله في كتابه ، قالَ تَعَالَى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ}. وقالَ: {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ}. وَقالَ: {وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ}. وَقالَ: {وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً}. وَقالَ: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيما. وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذلّ من الرحمة وقل رب ارحمْهما كما ربيَاني صغيرا}. وعن أبي عبد الرحمن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قَالَ: سألتُ النبي صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: أَيُّ الْعملِ أَحبُّ إِلَى اللَّهِ تَعالى؟ قَالَ: "الصَّلاةُ عَلَى وقْتِهَا" قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: "بِرُّ الْوَالِدَيْنِ" قلتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: "الجِهَادُ في سبِيلِ اللَّهِ". متفقٌ عَلَيهِ. وعن أبي هريرةَ رضي اللَّه عنه قَالَ: قالَ رَسُول اللَّه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: "لا يَجْزِي ولَدٌ والِداً إِلاَّ أَنْ يَجِدَهُ مملُوكاً ، فَيَشْتَرِيَهُ ، فَيَعْتِقَهُ". رواه مسلم. جَاءَ رَجُلٌ إِلى رسولِ اللَّه ـ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم ـ فقال: يا رسول اللَّه مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بحُسنِ صَحَابَتي؟ قَالَ: "أُمُّك" قَالَ: ثُمَّ منْ؟ قَالَ: "أُمُّكَ" قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: "أُمُّكَ" قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: "أَبُوكَ". متفقٌ عَلَيهِ. وفي رواية: يَا رسول اللَّه مَنْ أَحَقُّ الناس بِحُسْن الصُّحْبةِ؟ قَالَ: "أُمُّكَ ثُمَّ أُمُّكَ ، ثُمَّ أُمُّكَ ، ثمَّ أَباكَ ، ثُمَّ أَدْنَاكَ فأَدْنَاكَ". "والصَّحابة" بمعنى: الصُّحبةِ. وقوله: "ثُمَّ أباك" هَكَذا هُوَ منصوب بفعلٍ محذوفٍ ، والتقدير فيه: ثُمَّ برَّ أَباك ، وفي رواية: "ثُمَّ أَبُوكَ" وهذا واضِح. وعنه عن النَّبيّ ـ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم ـ قَالَ: "رغِم أَنْفُ ، ثُم رغِم أَنْفُ ، ثُمَّ رَغِم أَنف مَنْ أَدرْكَ أَبَويْهِ عِنْدَ الْكِبرِ ، أَحدُهُمَا أَوْ كِلاهُما ، فَلَمْ يدْخلِ الجَنَّةَ". رواه مسلم. وعن أَبي بكرةَ نُفَيْع بنِ الحارثِ رضي اللَّه عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: "أَلا أُنَبِّئُكمْ بِأَكْبرِ الْكَبائرِ؟ "ثلاثاً؟ قُلنا: بلَى يَا رسولَ اللَّه! قَالَ: "الإِشْراكُ بِاللَّهِ ، وعُقُوقُ الْوالِدَيْن" وكان مُتَّكِئاً فَجلَسَ ، فَقَالَ: "أَلا وقَوْلُ الزُّورِ وشهادَةُ الزُّورِ" فَما زَال يكَرِّرُهَا حتَّى قُلنَا: ليْتهُ سكتْ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ. وعن عبد اللَّهِ بنِ عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما عن النَّبي صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم قَالَ: "الْكبائرُ: الإِشْراكُ بِاللَّه ، وعقُوق الْوالِدَيْنِ ، وقَتْلُ النَّفْسِ ، والْيمِينُ الْغَموس". رواه البخاري. وعن أَبي عِيسى المُغِيرةِ بنِ شُعْبةَ رضي اللَّه عنه عن النبيِّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم قَالَ: "إِنَّ اللَّهُ تَعَالَى حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الأُمهَاتِ ، ومنْعاً وهاتِ ، ووأْدَ البنَاتِ ، وكَرَهَ لكُمْ قِيل وقال ، وَكَثْرَةَ السؤَالِ ، وإِضَاعة المالِ". متفقٌ عليه. وَحديثان ضعيفان الأول: أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: {جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَهِدْت أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَصَلَّيْت الْخَمْسَ وَأَدَّيْت زَكَاةَ مَالِي ، وَصُمْت رَمَضَانَ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: مَنْ مَاتَ عَلَى هَذَا كَانَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هَكَذَا ، وَنَصَبَ أُصْبُعَيْهِ مَا لَمْ يَعُقَّ وَالِدَيْهِ}. وَرَوَاهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحَيْهِمَا. وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: {أَوْصَانِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِعَشْرِ كَلِمَاتٍ قَالَ: لا تُشْرِكْ بِاَللَّهِ شَيْئًا وَإِنْ قُتِلْت وَحُرِّقْت ، وَلا تَعُقَّنَّ وَالِدَيْك وَإِنْ أَمَرَاكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ. وَالثاني: رُوِيَ عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: {خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَنَحْنُ مُجْتَمِعُونَ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ اتَّقُوا اللَّهَ وَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ ثَوَابٍ أَسْرَعَ مِنْ صِلَةِ الرَّحِمِ ، إِيَّاكُمْ وَالْبَغْيَ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عُقُوبَةٍ أَسْرَعُ مِنْ عُقُوبَةِ بَغْيٍ ،

إِيَّاكُمْ وَعُقُوق الْوَالِدَيْنِ فَإِنَّ رِيحَ الْجَنَّةِ يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَلْفِ عَامٍ وَاللَّهِ لَا يَجِدُهَا عَاقٌّ وَلَا قَاطِعُ رَحِمٍ وَلَا شَيْخٌ زَانٍ وَلَا جَارٌّ إِزَارَهُ خُيَلَاءَ. إِنَّمَا الْكِبْرِيَاءُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَالْكَذِبُ كَلِمَةُ إِثْمٍ إِلَّا مَا نَفَعْتَ بِهِ مُؤْمِنًا أَوْ دَفَعْتَ بِهِ عَنْ دِينٍ. وَإِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا مَا يُبَاعُ فِيهَا وَلَا يُشْتَرَى لَيْسَ فِيهَا إِلَّا الصُّوَرُ فَمَنْ أَحَبَّ صُورَةً مِنْ رَجُلٍ أَوْ امْرَأَةٍ دَخَلَ فِيهَا}. رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ . فليعلم العاقون أن الله سائلهم يوم القيامة عن آبائهم وأمهاتهم. واليوم أنا أنشد على لسان الأبوين الذين عقهما ولدهما ، بعدما تخيلتهما يستعرضان معه مسيرة الحياة في كشف حساب!)

أردنـــــاكَ فرحـــــاً يبيـــــد الجـــــوى ... (وإن لكـــــل امـــــرئ مـــــا نـــــوى)

وقلنـــــا: ســـــيغدو شِـــــفا سُـــــقمنا ... إذا عـــــز يومـــــاً ـ علينـــــا ـ الـــــدوا

وقلنـــــا: سنســـــعد فـــــي قربـــــه ... إذا مـــــا اكتوينـــــا بنـــــار النـــــوى

وقلنـــــا: ســـــيُطفئ آلامنـــــا ... إذا مـــــا حيينـــــا ببيـــــتٍ سَـــــوا

وقلنـــــا: سيُصـــــبح نـــــار العـــــدا ... وســـــعداً يزلـــــزل وخـــــز الجـــــوى

فكنـــــتَ العـــــذاب ، وكنـــــتَ الشـــــقا! ... ترفـــــقْ! فمنـــــك الوصـــــال اكتـــــوى!

وكنـــــتَ المَـــــرار غزانـــــا ضـــــحىً ... ومِـــــن دمنـــــا ـ فـــــي المســـــاء ـ ارتـــــوى

فأشـــــمتّ فينـــــا شِـــــرار الـــــورى ... مـــــن الحاقـــــدين ، وممـــــن غـــــوى

وكـــــم ذا عتبنـــــا لكـــــي تســـــتحي! ... وأنـــــت تفضّـــــل درب الهـــــوى

تجـــــوب الحيـــــاة بـــــلا غايـــــةٍ ... وتحيـــــا بـــــلا مَعلـــــم ، أو صُـــــوى

حنانيـــــكَ ، وارحـــــم مشـــــيباً جنـــــى ... شـــــباباً ـ بـــــرغم الأنـــــوف ـ انـــــزوى

ويومـــــاً ستُمســـــي أبـــــاً فـــــاعتبرْ! ... لكـــــيلا تقـــــول: أبـــــي قـــــد ثـــــوى

وســـــوف يُكـــــال عليـــــك بمـــــا ... تكيـــــل لنـــــا اليـــــوم كـــــيلاً سَـــــوا

وأمـــــك ـ بالـــــدمع ـ تبكـــــي أســـــىً ... لأن عقوقـــــك هـــــد القـــــوى

فـــــدع عنـــــك مـــــنهج مَـــــن أجرمـــــوا ... فأنـــــتَ البصـــــيرُ بمـــــا قـــــد حـــــوى

وعـــــانق لـــــواء هُـــــدى المصـــــطفي ... فـــــنعم النبـــــيّ! ونعـــــم اللـــــوا!

بين اليقظان والنائم

(كان يتمنى أن يتزوجها يوماً ما ، ويحلم بهذا. بل ويدعو الله ويبتهل إليه بأن يزوّجه منها. فلما كان له ذلك ذاق على يديها البلاء بأنواعه المعروفة وغير المعروفة. وتجرّع العذاب بكل صوره ، وشرب المحن والإحن والبلايا كؤوساً مترعة! فكأنه حلم يقظة مرير. أو كابوس قد داهمه عبر سنيّ العمر. وأخذ المسكين يلوم نفسه على سوء الاختيار تارة ، ويلوك توقعاته المستقبلية تارة أخرى ، وأنشأ يعاتب نفسه أنه أحسن الظن بمن لا تستحق. وتلك عاقبة من يُغلّب هواه في أمر ما فلا يغلّب حكمة ، ولا يستشير خبراء ولا يستخير الله تعالى ، ولا يدرس عواقب الأمور! ولا يفاضل بين السلبيات والإيجابيات! ولله تعالى في خلقه شؤون ، والله غالبٌ على أمره! وإن هو إلا القضاء والقدر والنصيب المحتوم! أنشدت على البحر الكامل.)

هـــذا الهمـــامُ مصـــابُه يجـــري دمـــا ... أتـــراه يومـــاً قـــد أســـاء ، وأجرمـــا؟

أتـــراه أخطـــأ فـــي اختيـــار حليلـــةٍ؟ ... فاختـــار - مـــن بـــين الزواحـــف - أرقمـــا!

أتـــــراه حقـــــاً خانـــــه تقـــــديره ... فاختـــار مـــن قـــد جرّعتـــه العلقمـــا؟

أتـــــراه - غلّـــــب - عامـــــداً أهـــــواءه ... وعلـــى لظـــى مـــا كـــان غلّبـــه ارتمـــى؟

أتـــراه كـــان أســـير لحْـــظ عيونهـــا؟ ... والعـــينُ تأســـر – باللحـــاظ - متيّمـــا!

أتـــراه كـــان أســـير قـــدٍّ مـــائسٍ؟ ... والقـــدّ - ويـــح القـــدّ - يســـبي المُغرمـــا!

أتـــراه فعـــلاً قـــد تملّكـــه الهـــوى؟ ... أم عينـــه - قـــدَراً - أصِـــيبتْ بـــالعمى؟

كـــم كـــان ينشـــد - بـــالزواج - ســـعادة ... تهـــدي الصـــراط المســـتبين القيِّمـــا!

فـــإذا بـــه نـــارٌ تســـعرَ وَهجُهـــا ... وغـــدا مصـــيرُ الـــزوج جمـــراً مُضـــرما

وإذا الـــبلاء يُصَـــب دون هـــوادةٍ ... والبيـــتُ يوشـــك أن يُـــدكّ ، ويُهـــدَما

هـــل كـــان حُلمـــاً أوجدتـــه مطـــامحٌ؟ ... فغـــدا عليـــه مُحرّمـــاً أن يحلمـــا!

هـــل كـــان يقظانـــاً ، ونـــام لتـــوّه؟ ... والنـــومُ أحيانـــاً يـــؤز النوَّمـــا

أم قـــد تنـــاوم واعيـــاً مســـتيقظاً؟ ... فغـــدا الشـــقا لمـــن اســـتنام المغنمـــا!

هـــذي مفارقـــة تعـــاظمَ لغزهـــا ... والحـــل - ويـــح الحـــل - أصـــبح مُبهمـــا

أمانة التكليف

(كم توقفت طويلاً عند قول الله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا). وكم تأملت في هذه الآية! وكم أمعنتُ فيها النظر! قال الإمام الطبري معلقاً في تفسيره على هذه الآية ما نصه: (اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم: معناه: إن الله عرض طاعته وفرائضه على السموات والأرض والجبال على أنها إن أحسنت أثيبت وجوزيت ، وإن ضيعت عوقبت ، فأبت حملها شفقًا منها أن لا تقوم بالواجب عليها ، وحملها آدم (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا) لنفسه (جَهُولاً) بالذي فيه الحظ له. * ذكر من قال ذلك: عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الأمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا) قال: الأمانة: الفرائض التي افترضها الله على العباد. وعن ابن عباس في قوله (إِنَّا عَرَضْنَا الأمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا) قال: الأمانة الفرائض التي افترضها الله على عباده. قال: عن ابن عباس في قوله: (إِنَّا عَرَضْنَا الأمَانَةَ ...) إلى قوله: (جَهُولاً) قال: الأمانة الفرائض. قال جويبر في حديثه: فلما عرضت على آدم قال: أي رب وما الأمانة؟ قال: قيل: إن أديتها جزيت ، وإن ضيعتها عوقبت ، قال: أي رب حملتها بما فيها ، قال: فما مكث في الجنة إلا قدر ما بين العصر إلى غروب الشمس حتى عمل بالمعصية ، فأخرج منها. وعن معاوية عن علي عن ابن عباس قوله: (إِنَّا عَرَضْنَا الأمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَالْجِبَالِ) إن أدّوْها أثابهم وإن ضيعوها عذبهم ، فكرهوا ذلك ، وأشفقوا من غير معصية ، ولكن تعظيما لدين الله أن لا يقوموا بها ، ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها ، وهو قوله: (وَحَمَلَهَا الإنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا) غرًّا بأمر الله. وعن ابن عباس قوله: (إِنَّا عَرَضْنَا الأمَانَةَ): الطاعة عرضها عليها قبل أن يعرضها على آدم – عليه السلام - ، فلم تطقها ، فقال لآدم: يا آدم إني قد عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال ، فلم تطقها ، فهل أنت آخذها بما فيها؟ فقال: يا رب: وما فيها؟ قال: إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت ، فأخذها آدم فتحملها فذلك قوله: (وَحَمَلَهَا الإنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً). وعن الضحاك بن مزاحم في قوله: (إِنَّا عَرَضْنَا الأمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً) قال: آدم قيل له خذها بحقها قال وما حقها؟ قيل: إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت ، فما لبث ما بين الظهر والعصر حتى أخرج منها. والضحاك يقول في قوله: (إِنَّا عَرَضْنَا الأمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَالْجِبَالِ) فلم يطقن حملها فهل أنت يا آدم آخذها بما فيها؟ قال آدم وما فيها يا رب؟ قال: إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت فقال: تحملتها ، فقال الله تبارك وتعالى: قد حملتكها ، فما مكث آدم إلا مقدار ما بين الأولى إلى العصر حتى أخرجه إبليس لعنه الله من الجنة ، والأمانة الطاعة. وكان من أصحاب النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: قال النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: "إِنَّ الأَمَانَةَ وَالْوَفَاءَ نـزلا عَلَى ابنِ آدَمَ مَعَ الأَنْبِيَاءِ ، فَأُرْسِلُوا بِهِ ؛ فَمِنهُمْ رَسُولَ اللهِ وَمِنْهُمْ نَبِي وَمِنْهُمْ نَبِي رَسُولٌ ، نـزل القرآن وهو كلام الله ونـزلت العربية والعجمية ، فعلموا أمر القرآن وعلموا أمر السنن بألسنتهم ، ولم يدع الله شيئًا من أمره مما يأتون ومما يجتنبون وهي الحجج عليهم إلا بينة لهم فليس أهل لسان إلا وهم يعرفون الحسن من القبيح. ثم الأمانة أول شيء يرفع ، ويبقى أثرها في جذور قلوب الناس ، ثم يرفع الوفاء والعهد والذمم ، وتبقى الكتب ؛ فعالم يعمل ، وجاهل يعرفها وينكرها ، حتى وصل إليَّ وإلى أمتي ، فلا يهلك على الله إلا هالك ، ولا يغفله إلا تارك ، والحذر ، أيها الناس ، وإياكم والوسواس الخناس ، وإنما يبلوكم أيكم أحسن عملا". وعن أَبي الدرداء قال: قال رسول الله صَلَّى الله

عَلَيْهِ وَسَلَّم: "خمس من جاء بهن يوم القيامة مع إيمان دخل الجنة: من حافظ على الصلوات الخمس ؛ على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن ، وأعطى الزكاة من ماله طيب النفس بها" وكان يقول: وايم الله لا يفعل ذلك إلا مؤمن ، وصام رمضان ، وحج البيت إن استطاع إلى ذلك سبيلاً ، وأدى الأمانة ، قالوا: يا أبا الدرداء وما الأمانة؟ قال: الغسل من الجنابة ، فإن الله لم يأمن ابن آدم على شيء من دينه غيره. وعن أُبي بن كعب ، قال: مِن الأمانة أن المرأة اؤتمنت على فرجها. وقال ابن زيد في قول الله: (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا) قال: إن الله عرض عليهن الأمانة أن يفترض عليهن الدين ، ويجعل لهن ثوابًا وعقابًا ، ويستأمنهن على الدين ، فقلن: لا نحن مسخرات لأمرك ، لا نريد ثوابًا ولا عقابًا ، قال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: "وعرضها الله على آدم ، فقال: بين أذني وعاتقي". قال ابن زيد: فقال الله له: أما إذ تحملت هذا فسأعينك ، أجعل لبصرك حجابًا إذا خشيت أن تنظر إلى ما لا يحل لك ، فأرْخ عليه حجابه ، وأجعل للسانك بابًا وغلقًا ، فإذا خشيت فأغلق ، وأجعل لفرجك لباسًا ، فلا تكشفه إلا على ما أحللت لك. وعن قتادة قوله: (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ) يعني به: الدين والفرائض والحدود (فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا)! قيل لهن: احملنها تؤدين حقها؟ فقلن: لا نطيق ذلك! (وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً) قيل له: أتحملها؟ قال: نعم ، قيل: أتؤدي حقها؟ قال: نعم ، قال الله: إنه كان ظلومًا جهولاً عن حقها. وقال آخرون: بل عنى بالأمانة في هذا الموضع: أمانات الناس. وعن عبد الله بن مسعود عن النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أنه قال: "القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها ، أو قال: يكفر كل شيء إلا الأمانة ؛ يؤتى بصاحب الأمانة فيقال له: أد أمانتك ، فيقول: أي رب وقد ذهبت الدنيا ، ثلاثًا. فيقال: اذهبوا به إلى الهاوية ، فيذهب به إليها ، فيهوي فيها حتى ينتهي إلى قعرها ، فيجدها هناك كهيئتها ، فيحملها فيضعها على عاتقه فيصعد بها إلى شفير جهنم ، حتى إذا رأى أنه قد خرج زلت ، فهوى في أثرها أبد الآبدين". قالوا: والأمانة في الصلاة والأمانة في الصوم والأمانة في الحديث ، وأشد ذلك الودائع ، فلقيت البراء فقلت: ألا تسمع إلى ما يقول أخوك عبد الله؟ فقال: صدق).هـ. قال شريك وعن زاذان عن عبد الله بن مسعود عن النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم بنحوه ، لم يذكر الأمانة في الصلاة وفي كل شيء. وعن ابن وهب قال: قال ابن زيد: أخبرني عمرو بن الحارث عن ابن أَبي هلال عن أَبي حازم قال: إن الله عرض الأمانة على سماء الدنيا فأبت ثم التي تليها حتى فرغ منها ، ثم الأرضين ثم الجبال ، ثم عرضها على آدم فقال: نعم بين أذني وعاتقي. فثلاث آمرك بهن فإنهن لك عون: إني جعلت لك لسانًا بين لحيين فكفه عن كل شيء نهيتك عنه ، وجعلت لك فرجًا وواريته فلا تكشفه إلى ما حرمت عليك. وقال آخرون: بل ذلك إنما عنى به ائتمان آدم ابنه قابيل على أهله وولده ، وخيانة قابيل أباه في قتله أخاه. وعن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: كان لا يولد لآدم مولود إلا ولد معه جارية ، فكان يزوج غلام هذا البطن جارية هذا البطن الآخر ، ويزوج جارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر ، حتى ولد له اثنان ، يقال لهما: قابيل وهابيل ، وكان قابيل صاحب زرع وكان هابيل صاحب ضرع ، وكان قابيل أكبرهما وكان له أخت أحسن من أخت هابيل ، وإن هابيل طلب أن ينكح أخت قابيل ، فأبى عليه وقال: هي أختي ولدت معي وهي أحسن من أختك ، وأنا أحق أن أتزوجها ، فأمره أبوه أن يزوجها هابيل فأبى ، وإنهما قرّبا قربانًا إلى الله أيهما أحق بالجارية ، وكان آدم يومئذ قد غاب عنهما ، أي بمكة ينظر إليها ، قال الله لآدم: يا آدم هل تعلم أن لي بيتًا في الأرض؟ قال: اللهم لا قال: إن لي بيتا بمكة فأته ، فقال آدم للسماء: احفظي ولدي بالأمانة فأبت ، وقال للأرض فأبت ، فقال للجبال فأبت ، فقال لقابيل فقال: نعم ، تذهب وترجع وتجد أهلك كما يسرك ، فلما انطلق آدم وقربا قربانًا وكان قابيل يفخر عليه فيقول: أنا أحق بها منك ؛ هي أختي ، وأنا أكبر منك ، وأنا وصي والدي ، فلما قربا ، قرب هابيل جَذَعَة سمينة وقرب هابيل حزمة سنبل ، فوجد فيها سنبلة عظيمة ففركها فأكلها ، فنزلت النار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل ،

فغضب وقال: لأقتلنك حتى لا تنكح أختي! فقال هابيل: (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ... إلى قوله فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ) فطلبه ليقتله فراغ الغلام منه في رءوس الجبال ، وأتاه يوما من الأيام وهو يرعى غنمه في جبل وهو نائم ، فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات ، وتركه بالعراء ولا يعلم كيف يدفنه ؛ فبعث الله غرابين أخوين فاقتتلا ، فقتل أحدهما صاحبه ، فحفر له ثم حثا عليه فلما رآه قال: يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي ، فهو قول الله تبارك وتعالى فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ فرجع آدم فوجد ابنه قد قتل أخاه فذلك حين يقول: (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ ...) إلى آخر الآية. وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما قاله الذين قالوا: إنه عُنِي بالأمانة في هذا الموضع: جميع معاني الأمانات في الدين وأمانات الناس وذلك أن الله لم يخص بقوله: (عَرَضْنَا الأَمَانَةَ) بعض معاني الأمانات لما وصفنا. وبنحو قولنا قال أهل التأويل في معنى قول الله (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا). (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا) يعني قابيل حين حمل أمانة آدم لم يحفظ له أهله. وعن الضحاك في قوله: (وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ) قال آدم: (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً) قال: ظلومًا لنفسه جهولاً فيما احتمل فيما بينه وبين ربه. وعن علي عن ابن عباس (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً) غر بأمر الله. وعن سعيد عن قتادة: (إِنَّه كَانَ ظَلُومًا جَهُولا) قال: ظلومًا لها يعني الأمانة جهولاً عن حقها).هـ. والحقيقة أن المتأمل في أغلب أحوال الناس اليوم يجدهم قد ضيعوا الأمانة ، وفرطوا فيما توجبه هذه الأمانة من الواجبات! من أجل ذلك كانت هذه التذكرة الشعرية!)

ارع الأمانـــــة يـــا إنســـانُ ، وارقَ بهـــا ... إن الأمانـــــة تُعْلِـــي شـــأنَ راغبهـــا

حَمَلتهـــا جـــاهلاً بمـــا تُحَتمُـــه ... مِـــن التكـــاليف قـــد زِينـــتْ لطالبهـــا

علـــى الســـما عُرضـــتْ والأرض فاعتـــذرتْ ... جمـــيعُهن بزهـــدٍ فـــي جواذبهـــا

يـــا أيهـــا النـــاس جـــدّوا فـــي الوفـــاء بهـــا ... وأكملـــوا - فـــي الوفـــا - شـــتى جوانبهـــا

هـــي العـــروسُ ، فمـــن يرجـــو الـــزواجَ بهـــا ... نعـــم العـــروسُ تُرَجّـــي وُدّ خاطبهـــا!

وراقبـــوا اللهَ فـــي سِـــر وفـــي عَلـــن ... إن الرقابـــة تُبلـــي عـــزمَ صـــاحبها

واســـتكثروا مـــن فِعـــال الخيـــر ، عِيشـــتكم ... بـــدونها تصـــطليكم فـــي مصـــائبها

إن الأمانـــــة منهـــــاجٌ يُجَمّلنـــــا! ... وللحيـــاة بـــه هُـــدىً يَتيـــهُ بهـــا

لكنهـــا اليـــومَ تشـــكو مَـــن يَضـــيقُ بهـــا ... ذرْعـــاً ، وتنعـــي جفـــا بلـــوى مُحاربهـــا

مـــا للرعيـــة فـــي عُيوبهـــا غرقـــت؟ ... والخـــذلُ أســـوأ عيـــب مِـــن مَعايبهـــا

للهـــم هبنـــا رَشـــاداً نســـتعينُ بـــه ... علـــى الأمانـــة نحيـــا فـــي رغائبهـــا

أمانة

(مردتْ هذه الزوجة الناشز على إفشاء سر زوجها ، بل والاستهزاء به آناء الليل وأطراف النهار ، والسخرية من أي عمل يعمله. ونسيتْ أو تناستْ أن حقوق زوجها أمانة سوف يسألها الله عنها يوم القيامة. روى ابن حبان عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا صلتِ المرأة خمسها وصامت شهرها وحصّنتْ فرجها وأطاعت زوجها قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت". صححه الألباني. وروى ابن ماجه عن عبد الله بن أبي أوفى قال: لما قدِم معاذ من الشام سجد للنبي - صلى الله عليه وسلم -! قال: ما هذا يا معاذ؟ قال: أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم! فوددتُ في نفسي أن نفعل ذلك بك! فقال: فلا تفعلوا ، فإني لو كنت آمرا أحداً أن يسجد لغير الله لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها." صححه الألباني. فكتبتُ لها.)

تجـــــاوزتِ - والله - سَـــــمتَ الغجـــــرْ ... وكيـــــدُكِ فـــــاق حُـــــدودَ البشـــــرْ

وأفشـــــيتِ ســـــر الحليـــــل الـــــذي ... وربـــــك - لـــــولا التقـــــى - لانتحـــــر

جعلـــــتِ - مِـــــن الـــــزوج - أضـــــحوكة ... ولـــــم يـــــكُ منـــــكِ الأذى ينتظـــــر

وأهـــــدرتِ أموالـــــه غِيلـــــة ... وألحقـــــتِ - بـــــالعبقري - الضـــــرر

ولـــــم تتقـــــي الله فـــــي حقـــــه ... وكســـــرُ التعنـــــتِ لا ينجبـــــر

وخُنـــــتِ الأمانـــــة ، مـــــا صُـــــنتِها ... وعنهـــــا سيســـــألكِ المقتـــــدر

تناســـــيتِ معروفـــــه يـــــا (صـــــفا) ... لأنـــــك منـــــه قضـــــيتِ الـــــوطر

وناشـــــدكِ الله فـــــي حقـــــه ... فمـــــا كـــــان للســـــؤل مِـــــن مُعتبـــــر!

وحـــــذر مـــــن هـــــول يـــــوم الجـــــزا ... ومـــــا ردّ ظلمَـــــك بعـــــضُ الحـــــذر

وسَـــــحّ الـــــدموعَ لكـــــي تخشـــــعي ... ومـــــا كـــــان للقلـــــب مِـــــن مُزدجـــــر

وأدمنـــــتِ كُفـــــر العشـــــير الـــــذي ... تمرّســـــتِ فيـــــه بشـــــتى الصـــــور

ســـــألتُ عـــــن اســـــمك قـــــالوا: (صـــــفا) ... فـــــأين الصـــــفاءُ؟ وأيـــــن الســـــمَر؟

وأيـــــن التســـــامحُ فـــــي عيشـــــةٍ ... بـــــكِ امـــــتلأتْ بـــــالجوى والكـــــدر؟

حَنانيـــــكِ ، تـــــوبي فـــــربُ الســـــما ... أحاطـــــك - مِـــــن فضـــــله - بالنّـــــذر

إن غاب سيده ، فأنا سيدته

(إنها إرعادة أم الفضل بن العباس لأبي لهب! لقد كانت لها مكانتها في آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيل عندها وذات مرة أخبرته بحلم رأته فقالت: يا رسول الله رأيت كأن عضواً من أعضائك في بيتي! فقال صلى الله عليه وسلم: خيراً رأيتِ ، تلد فاطمة غلاماً وترضعيه بلبان ابنك قثم. فولدتْ فاطمة رضي الله عنها الحسين رضي الله عنه وأرضعته أم الفضل مع أخيه قثم رضي الله عنه ، والذي كان يُشبه النبي صلى الله عليه وسلم. وسبب قصيدتنا موقف عاشته أم الفضل ، إنه موقفها مع أبي لهب لمّا ضرب أبا رافع الذي كان مولى العباس. فضربتْ أبا لهب وشجّته في رأسه فمات بعد أسبوع قائلة: أنت استضعفته لمّا مات سيده. كانت زوجة العباس وأبناؤه يكتمون إسلامهم بأمر من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتخطيط حكيم مدروس ، ليتعرفوا على أسرار المشركين ، وجاءت الأخبار بهزيمة قرش ، وأوصتْ أم الفضل بنيها ومولاها أبا رافع أن يكتموا فرحتهم بتلك الهزيمة ، اتقاءً لشر المشركين ، وخصوصاً أبا لهب الذي كان يتنزى حقداً وكراهية وكيداً لمحمد (صلى الله عليه وسلم) وصحبه ودعوته. ولكنّ مولاها أبا رافع لم ينج من بطش أبي لهب ، إذ أبدى فرحته بانتصار المسلمين ، قيل أنها رضي الله عنها لم يسبقها الى الإسلام من النساء سوى خديجة رضي الله عنها وفي البخاري ما يدل على أنها من المسلمات الأوائل إذ يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "كنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان". وقد قال عنها الإمام الذهبي رحمه الله: (كانت أم الفضل من علية القوم). ويروى أنها رضي الله عنها كانت حُبلى بابنها عبد الله عندما كان النبي صلى الله عليه و سلم محاصَراً في الشعب مع بني هاشم فجاءه العباس رضي الله عنه وقال: "يا محمد أرى أم الفضل قد اشتملت على حمل". فقال صلى الله عليه و سلم: "لعل الله أن يقر أعينكم". قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم: كنتُ غلاماً للعباس بن عبد المطلب وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت وأسلمتْ أم الفضل وأسلمتُ وكان أبو لهب – عدو الله - قد تخلف عن بدر فلما جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش كبته – أذله - الله وأخزاه ووجدنا في أنفسنا قوة وعزاً. وكنت رجلاً ضعيفاً أعمل القداح أنحتها في حجرة زمزم وعندي أم الفضل جالسة وقد سرّنا ما جاء من أنباء نصر الله للمسلمين فجاء أبو لهب ولم يصدق أنباء النصر وجاء أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقال أبو لهب: إليّ يا ابن أخي ما خبر الناس؟ فقال: ما هو إلا لقينا رجال حتى منحناهم أكتافنا ولقينا رجال على خيل بلق بين السماء والأرض. فقلتُ: تلك الملائكة! فلطمني أبو لهب لطمة شديدة وطفق يضربني فقامت أم الفضل الى عمود من عمد الحجرة فأخذته فضربته به ضربة فشجت رأسه شجة منكرة وقالت: تستضعفه أن غاب عنه سيده فقام مولياً ذليلاً فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتله. فلما أعجبني موقف أم الفضل أنشدتُ أقول:)

إن هـــــذا هـــــو الـــــدليل الـــــوافي ... أن فضـــــلي تُـــــزري بالاستضـــــعافِ

تنصـــــرُ الحـــــقَ فـــــي جحـــــيم التجنـــــي ... ثـــــم تســـــتعلي بـــــالجلال الضـــــافي

إيـــــهِ (يـــــا أم الفضـــــل) أحـــــرزتِ مجـــــداً ... رائعـــــاً فـــــي عِـــــز وفـــــي استشـــــراف

لـــم تبـــالي بالباطـــل الفـــظ غـــالى ... فـــي التعـــدي بـــالظلم والإجحـــاف

لـــم تخـــافي عواقـــبَ الأمـــر تـــأتي ... عـــن قريـــب مـــن القريـــب الجـــافي

بـــل جهـــرتِ بـــالحق يَـــردعُ ظلمـــاً ... ويخـــصّ المظلـــوم بالإنصـــاف

غـــاب مـــولى المظلـــوم عـــن عـــين عـــاتٍ ... مشـــركِ القلـــب يحتفـــي بإســـاف

فاعتـــدى ، لـــم يحْـــتط ، ولـــم يتـــردّدْ ... عنـــدما غـــاب ســـيد الإشـــراف!

واســـتكان المـــولى لكـــفّ جَبـــان ... شـــاكياً لله العزيـــز الكـــافي

هـــل يَـــردّ صـــاعَ التجنـــي بصـــاع؟ ... هـــل يُجـــازي الكفـــوفَ بالأســـياف؟

هـــل يَصـــدّ العـــدوان دون اكْتـــراثٍ ... مثـــل صِـــيد الرجـــال والأســـلاف؟

قـــادرٌ هـــذا أن يـــردّ ، وربّـــي ... إن بـــأس الضِـــرغام لـــيس بخـــاف!

غيـــر أن الجبـــار فـــوراً كفـــاهُ ... مؤنـــة الـــردّ بانتصـــار شـــاف

وبكـــف الفضـــلى التـــي لـــم تجامـــلْ ... شـــجّت الـــرأس ، قصْـــدُها أن تـــوافي

ثـــم قالـــت: مـــولاه غـــاب ، وإنـــي ... فـــي مكـــان المـــولى أعـــي ، وأكـــافي

فـــي مقـــام (العبـــاس) أرعـــى ذِمـــاري ... وأصـــون عِرضـــي ، وأحمـــي عفـــافي

وأصـــدّ الطغيـــانَ عـــن كـــل مـــولى ... وأصـــيدُ الفرســـان بـــالآلاف

واســـأل الخيـــلَ والمعـــامع عنـــي ... ثـــم ســـائل عنـــي القـــرى والفيـــافي

أنـــتِ يـــا (أم الفضـــل) حُـــزتِ الســـجايا ... طيبـــاتِ الســـيماء والأوصـــاف

فعليـــكِ رضـــوانُ رب البرايـــا ... رب حققْ هـــذا الـــدعاء الصـــافي!

أنتهادى لنتعادى؟!

(اعتاد ذلك المسافر عن داره وقومه وأهله أن يشتري لكل قريب أو صديق أو جار هدية تناسب مقامه ومكانته حسب الوسع والمقدرة والطاقة. وبعد تسليم الهدايا تبدأ معركة المقارنات بين أصحاب الهدايا! وتنتهي بإدانة المسافر المغترب. فقرر أن ينتهي عنها تماماً ، فلا يشتري أي هدايا لأي أحد. وراح يتساءل قائلاً: والحديث الصحيح البخاري يقول: تهادوا تحابوا! فكيف بنا نتهادى لنتعادى؟! وتحت عنوان: (لله در الهدية!) يقول الأستاذ محمد مسعد ياقوت ما نصه: (لله در الهدية! تلك الوسيلة التي تطفئ نيران الضغائن وتحل أعقد الأزمات والمشكلات والنزاعات ، فللهدية عظيم الأثر ، وجسيم الخبر في استجلاب المحبة وإثبات المودة وإذهاب الضغائن وتأليف القلوب. وهي دليل على الحب ، وبريد إلى القلب وهي شعار التقدير ، وعنوان التكريم ، ولذلك فقد قبل النبي ـ صلى الله عليه وسلم – الهدية ، ومنحها ، وأقرّها ، وأخذها من المسلم والكافر ، وقبلها من المرأة كما قبلها من الرجل ، وحث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على التهادي ، فبها تطيب القلوب وتذهب وحر الخصومة. والهدية سبيل الحب ، وبساط الود وأكسير الألفة ، لقول نبي الرحمة ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "تهادوا تحابوا" (البخاري). قال القرطبي: "فقد ثبت أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يقبل الهدية ، وفيه الأسوة الحسنة ، ومن فضل الهدية ـ مع اتباع السنة ـ أنها تزيل حزازات النفوس ، وتكسب المهدي والمهدى إليه رنة في اللقاء والجلوس". وانظر إلى صنيع بلقيس! فقد كانت – بحق – عبقرية ؛ عندما استخدمت سلاح الهدية ؛ وأثره في تغيير النفوس ، محاولة منها لاستقطاب أعظم ملوك الدنيا آنذاك ، فقالت: (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ). قال قتادة: "يرحمها الله! أن كانت لعاقلة في إسلامها وشركها ؛ قد علمت أن الهداية تقع موقعاً من الناس!". ولهذا أثر عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: "إن الهدية تأخذ بالسمع والبصر والقلب" (ابن أبي الدنيا: مكارم الأخلاق 110). وقال: "تَهَادَوا تَحَابُّوْا نِعْمَ مِفْتَاحُ الحَاجَةِ الهَدِيةُ" (حسن) (الأمثال في الحديث 288). وانظر وتأمل كيف كانت هدايا الصحابة والتابعين ، كيف كانوا أذكياء عندما عاشوا معاني وقيم "الهدية" في حياتهم اليومية ، وكيف أصبحنا أغبياء ـ عفواً ـ عندما ماتت فينا ومن بيننا ومن حولنا أخلاق "التهادي". ولقد أقبل سعيد بن العاص يوماً يمشي وحده في المسجد، فقام إليه رجل من قريش ، فمشى عن يمينه ، فلما بلغا دار سعيد ، التفت إليه سعيد ؛ فقال: ما حاجتك قال: لا حاجة لي ؛ رأيتك تمشي وحدك فوصلتك. فقال سعيد لجاريته: ماذا لنا عندك؟ قالت: ثلاثون ألفا. قال ادفعيها إليه. وكان شريح إذا أهديت له هدية لم يرد الطبق إلا وعليه شيء. وأهديت إلى إبراهيم بن أدهم هدية ، فلم يكن عنده شيء يكافئه ، فنزع فروه ؛ فجعله في الطبق وبعث به إليه! ولا تَرد الهدية. مهما كانت حقيرة: وإياك إياك أن تستصغر الهدية مهما ضعفت ، وتحتقر المنحة مهما صغرت ، وتتكبر على الأعطية مهما حقَّرت. لقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "لو أهدي إلي كراع لقبلت ولو دعيت عليه لأجبت". (صحيح) والكراع: من الدابة ما دون الكعب. يعني هذا شيىء هين لا يذكر. وإذا رددت الهدية. فبينْ سبب ردها. فلو أهدي إليك ما حُرم ، أو ما لك فيه عذر لرده ، فبين ذلك لصاحب الهدية ، ووضح له الأمر بسماحة ولطافة مرفقة بابتسامة ، جبرًا للخاطر. ففي الصحيحين من حديث الصعب بن جثامة ـ رضي الله عنه ـ أنه أهدى لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حماراً وحشيًا ، وهو بالأبواء أو بوَدّان ، فرده عليه فلما رأى ما في وجهه قال: "أما إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم". واظفر قلوب هؤلاء بالهدية:

(- الأقربون فهم أولى بالمعروف ، وعلى رأسهم الآباء والأمهات. - ومن يختلف معك في الفكر أو المذهب. - ومن يحرص على الإساءة إليك ، أو التجريح فيك ، أو النيل من عرضك. - ومن ترغب في هدايته إلى طريق الالتزام والتدين. - ومن ترغب في ضمه إلى العمل الجماعي الخيري أو التطوعي. كان هذا هو مجال الكلم ، فبقي ميدان العمل ، فقم ، وانهض وطبق هذه السنة الميتة ، فاحرص على الهدية ولو كانت رمزية).هـ. ولله درّك يا ابن ياقوت على هذه النصائح الغالية والدرر الواعية! وتحت عنوان: (الهدية) يقول الأستاذ عبد الله بن سُليمان العُتَيِّق ما نصه: (الهدية من جوالبِ المودة بين الناس ، وهي تَعْمُرُ بُنياناً راسخاً من المحبةِ ، لما تحمله من جليلِ معاني حقيقة الاتصال بين المُهْدي والمُهْدى إليه. ويَختلفُ المُهْدُون من حيثُ هداياهم ، فليسوا سواءً! منهم مَن يُهدي مُقَيِّماً هديته على قانونِ قدرِ المُهْدى إليه ، ولا ينظرُ إلى الهديةِ مُغْفِلاً المُهْدي إلا من لم يَحْظَ بشيءٍ من حقيقة المودَّةِ التي الهديةُ رسولٌ أمينٌ يحملها إليه ، وإذْ كانَ أناسٌ ينظرون لقدرِ الهديةِ اهتمَّ كثيرٌ من المُهْدِيْن بقدرِها فاستوضعوا نفوسَهم من أجل وُضعاءِ نفوسٍ ، فكانت الهديةِ ممقوتةَ المعنى ، ولا تبايُنَ بين هديةٍ رفيعة القدرِ وأخرى وضيْعَته. ومن المُهْدِيْن من كان شأنُهُ في أن ينظرَ إلى ذات الفعلِ ، فالإهداءُ فعلٌ شريفٌ ، يَشْرُفُ بالإهداءِ المُهدي والهديةُ والمُهْدى إليه ، ولا يُهدي أصحاب هذا النظرِ هداياهم إلا لمن أدركوا صِدق مودتهم ، وصحيح محبتهم ، فكانت الهديةُ لديهم تكميلاً لأساسٍ ، وليستْ توثيقاً بمعنى التوثيق. حينَ تكون الهديةُ بقدرِ ذاتِ الإهداءِ ، فإنَّ النظرَ يتقلَّب في معنى الإهداء لا في مبناه ، ومعنى الإهداءِ إبقاءُ أواصرِ المودَّةِ واستدامتها ولذا جاءَ التوجيه النبوي حاملاً هذا المعنى "تهادوا تحابوا" ، فالهديةُ تحقيقٌ لمعنى المحبة بين الطرفَيْن. وإبقاءُ معنى الإهداءِ في الهديةِ يَكون بهديةٍ تقوم بالوظيفةِ ، ويُعْنَى بذاتِ العُمُرِ الطويلِ ، أو ذاتِ الاستعمال الدائم ، أو ذاتِ الأثرِ القوي التأثيرِ ، فلا تعْزُبُ عن قلبِ المُهْدَى إليه ، ولا يَسْتغني عنها ، ولا تغيب عن جارحةٍ ، فتكون حاضرةً في كلِّ أحواله ، أو في أغلبها ، وفي مُلاحظةِ محبوباتِ المُهدى إليهِ و ميَلِهِ في الهديةِ تحقيقٌ لتحصيلِ معنى الإهداءِ ، وهذا ذَوقٌ من سِر الإهداءِ ، قلَّ من يَنتبِهُ إليه. عندما تكون الهديةُ بهذا الذوقِ الرفيع يَهيمُ في واديها المُهْدى إليه ، فيُدركُ بِذوقِه ما جالَ في خاطرِ المُهدي ، فيَسْتَبْقي هديته كما قَصَدَ ، على أقلِّ الحالِ في حَضْرَتِهِ ، وهذا من أدبِها الراقي ، وربَّما استبقى المُهْدى إليه معنى الهديةِ لدى المُهدي بهديةِ الإبقاءِ ، فغَدَتْ الهدايا رُسُلَ وَصْلٍ ، والرُّسُلُ لا تكذب. قَد يستدعي الإنسانُ هديةً لإبقاءِ حقيقةِ الوصلِ ، واستدعاءُ المُبْقِياتِ وظيفةُ عُمَّارِ المجدِ التليد ، وبُناةِ القصدِ الرشيد. فإبقاءُ معنى الإهداءِ بأيِّ مبنى غايةٌ يَسْعى إليها أهل الكمالِ ، وتهفو إليها نفوسُ الجَمالِ ، فالمعاني تُزَيِّنُ المباني ، والمخابرُ تُطَهِّرُ المظاهر).هـ. وإذن فالهدية هي عبارة عن تفضل من المهدي إلى المهدى إليه! وليست فرضاً واجباً على المهدي! إن كثيراً من الناس اليوم يعتبرون الهدية واجبة في كل الأحوال! وأنا مع قرار بطل قصيدتنا في أن يقصِر هداياه على المستحقين من الفقراء والمعوزين!)

مللـــتُ مـــن المطـــاعن والشـــكايا ... وأعيتنـــي التجـــاربُ والحَكايـــا

وزادتنـــي المظـــالمُ حـــزن قلـــب ... وأشـــقتني القـــوادحُ والروايـــا

فكـــل النـــاس يشـــكو بـــؤسَ قلـــب ... تُســـببه الهبـــاتُ مـــع الهـــدايا

رأى القـــومُ الهديـــة فـــرضَ عـــين ... لـــه نـــصٌ تُعضـــده وصـــايا

ولـــم يعـــد التواصـــلُ سَـــمت أهـــل ... وعنـــد الله مـــا تُخفـــي الطوايـــا!

تقطعـــــتِ الوشـــــائجُ دون عَـــــودً ... فعـــانى النـــاسُ ألـــوانَ البلايـــا

رجعـــتُ إلـــى الـــديار أزورُ قـــومي ... أرجّـــــعُ ذكريـــــاتيَ والتحايـــــا

فألفيـــتُ الجميـــع علـــى معـــادٍ ... يلوكـــون الفواجـــعَ والشـــكايا

فعزيـــتُ الجميـــعَ ، وقلـــتُ: صـــبراً ... علـــى مـــرّ الـــدغاول والرزايـــا

وأهـــديتُ الجميـــعَ بمـــا اســـتطاعت ... يـــدٌ تهـــوى التفضـــل والعطايـــا

وكنـــتُ أظـــن أن يرضـــوا بقسْـــمي ... ولكـــن خـــاب ظنـــي فـــي النوايـــا

فقـــد عـــابوا علـــيّ ، وأحرجـــوني ... كـــأني قـــد ركبـــتُ ذرى الخطايـــا

فقـــولٌ: أننـــي لـــم أهـــدِ شـــيئاً ... كمـــا يُهـــدي الكِـــرامُ مـــن البرايـــا

وقـــولٌ: أننـــي عبـــدٌ لمـــالي ... وكـــم للمـــال يـــا كـــم مـــن ضـــحايا!

وقـــولٌ: ليتـــه لـــم يعـــطِ شـــيئاً ... وقـــولٌ: أمسِـــكوا عنـــه الخفايـــا

وقـــولٌ: ســـوف نُرْجـــعُ مـــا حُبينـــا ... فـــلا تبقـــى لـــدينا مـــن بقايـــا

وقـــول: لـــو علمنـــا مـــا ذهبنـــا ... للقيـــاهُ ، فمـــا فيهـــا مزايـــا!

فقلـــتُ: أنـــا المعيـــبُ ، ولـــيس أنـــتم ... وعنـــي حِكـــتمُ أشـــقى الحَكايـــا

وَجُـــودي كـــان حســـب الوُســـع قطعـــاً ... وإن الجـــود مـــن خيـــر الســـجايا

ولســـتُ بمُلـــزم شـــرعاً وعُرفـــاً ... ومنـــعُ الجـــود لـــيس مـــن الـــدنايا

وإعطـــاءُ الهديـــة محـــضُ فضـــل ... ولـــو قِســـناه مـــن كـــل الزوايـــا

يمـــينَ الله بعـــد اليـــوم أعطـــي ... لأهـــل الفقـــر ، هـــم أصـــفى الرعايـــا

وهـــل نهـــدي الأنـــامَ لكـــي نعـــادَى ... وينشـــط فـــي القلـــوب لظـــى الخبايـــا؟!

انحدار

(كانت مؤمنة صالحة تحت زوج صالح تقي. ولما طلقتْ منه لحكمة يعلمها الله ، انحدرتْ فأهملتِ الصلاة والحجاب. وكأنها كانت له تصلي وترتدي الحجاب ، ولسواد عينيه تلتزم بالإسلام والحق. والأصل أن ذلك كله لله. (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له). فلا تصح أبداً معاقبة الزوج بترك شيء منه. عن سعد رضي الله عنه قال: كنا نذكر بعض الأمر وأنا حديث عهد بجاهلية فحلفتُ باللات والعزى ، فقال لي أصحاب رسول الله: بئس ما قلت ؛ كلهم قاموا عليَّ في المجلس وقالوا: إئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فأتيته فأخبرته فقال لي: (قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ثلاث مرات ، وتعوذ بالله من الشيطان ثلاث مرات ، واتفل عن يسارك ثلاث مرات ، ولا تعد له). رواه النسائي.)

تخلتْ على التقوى ، وحادت عن الهُدى ... فأشمتتِ العُذال والعِيرَ والعِدا

ومالت إلى الأهواء في كل شأنها ... ومدّت - إلى شيطان خيبتها - يدا

وحنت إلى ماضٍ تولى زمانه ... حنينَ التي تستعذب الشوق والصدى

وعادت إلى ذكرى تمرّق عهدها ... تُرَجّع فحواها ، وتختصر المدى

تبعثِر - فوق الدرب - ما شاد بعلها ... لتدْحر مجهوداً ، وتُذهبَه سُدى

وتنحدر الحمقاءُ ، تُزري بنفسها ... وصِنوان ما تهوى: الغواية والردى

أللزوج كانت يا ترى صلواتها ... فباتت بهذا الترك أهنا وأسعدا؟

أللزوح قد كان الحجاب تكلفاً ... وجلبابُها كان للزوج أسودا؟

أللزوج كانت تستقيم تجمّلاً؟ ... ألم تستقم - بين البرايا - تعبدا؟

أللزوج صامت شهرها؟ يا لحمقها! ... ألم تكُ يوماً بالأدلة أرشدا؟

أللزوج قد كان التزامٌ وطاعة؟ ... وكيف ستلقى الله إن جُندلتْ غدا؟

ألا إن هذا الانحدار مدمرٌ ... لأن لنا عند المهيمن موعدا

فتوبي إلى مولاكِ طوعاً ، وأحسني ... وصوني كتاب الله والشرعَ والهُدى

ولا تلعبي بالنار كيلا تحَرّقي ... وعيشِي لهذا الدين ، كوني له الفدا

انحدار عواقبه وخيمة

(اعتاد على قيام الليل وقراءة القرآن والصدقة وغير ذلك من أعمال البر والخير والإحسان. ثم لم يلبث حتى فتن وانحدر إلى حضيض الخمر والنساء. فناشدته العودة غير مرة فلم يقبل. فرحتُ أنذر من عواقب هذا الانحدار. وصدق السكندري حينما شخص الداء فقال: (إن أعداء الله يريدونك ضعيف الإيمان والبنيان ، مرتعش اليدين ، أجوف القلب ، تافه الأحلام. ألم يأتك نبأ قنوات الفيديو كليب المليء بالغناء الماجن والرقص الخليع ونحوه؟ ألم تعلم أنهم صمموا آلاف بل ملايين المواقع الإباحية وغيرها لهذه الأغراض. لو لم تكن مهماً لهذا الحَد ما اهتموا بتدميرك وإبعادك عن دينك ، إلا أنك غافل. ألم يأت الأوان الذي تعرف فيه أن دينك بحاجةٍ إليك؟ والأصل أن الذي هداه الله ينبغي أن يأخذ بأسباب تزكية النفس. وعلى المنسرح أقول:)

هـــــــذا انحـــــــدارٌ بئـــــــيسُ ... لا تصـــــــطفيه النفـــــــوسُ

ولـــــــيس يَرضـــــــى التـــــــدني ... إلا الحقيـــــــرُ الخســـــــيس

وأيـــــــن مـــــــا كنـــــــت تـــــــأتي؟ ... أيـــــــن الهُـــــــدى والـــــــدروس؟

أيـــــــن القـــــــراءاتُ ولّـــــــت؟ ... والـــــــذكرُ نعـــــــم الجلـــــــيس!

أيـــــــن اليـــــــراعُ؟ أجبنـــــــي! ... وأيـــــــن منـــــــك الطـــــــروس؟

وأيـــــــن صَـــــــولة فـــــــذٍ ... إذا تـــــــداعى الـــــــوطيس؟

وأيـــــــن أحلـــــــى الأمـــــــاني ... وأنـــــــت فيهـــــــا الأنـــــــيس؟

وأيـــــــن عُصـــــــبة خيـــــــر ... وأنـــــــت فيهـــــــا الـــــــرئيس؟

فـــــــيم انحـــــــدارك حتـــــــى ... تقـــــــول: إنـــــــي تعـــــــيس؟

خـــــــفْ مـــــــن عُقوبـــــــة هـــــــزل ... فيهـــــــا العـــــــذابُ البئـــــــيس

وعُـــــــدْ لســـــــابق عهـــــــد ... فلـــــــن تفيـــــــد الكـــــــؤوس

وخـــــــلِّ (هنـــــــداً) و(لبنـــــــى) ... إذ للغـــــــرام حَســـــــيس

(لمـــــــيسُ) زوجُـــــــك غـــــــارت ... وقـــــــد كفتـــــــك (لمـــــــيس)

مَعـــــــذورة فـــــــي رؤاهـــــــا ... والوجْـــــــهُ - جـــــــداً – عبـــــــوس!

انسِي الذي بيننا!

(أراد رجلٌ صالح أن يُعَدّد فيتزوج من الثانية ابتغاء وجه الله وإشفاقاً على إحدى العوانس تسمّى (زنابى) ، كان قد نوى الارتباط بها كزوجةٍ على كتاب الله وسُنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – بكل عزم وجدّية. فإذا بها تشترط على الدكتور الزوج أن ينسى زوجته وأولاده فيُطلقهم قبل الدخول بها! فقال في ثقة المؤمن وإيمان الواثق: لماذا لا أنساكِ أنت؟ وأعلنها مدوية: انسي الذي بيننا ، وزوجتي وأولادي أولى بي وأنا أولى بهم. وكنتُ قد تناولتُ موضوع التعدّد في شعري منذ سنوات في قصيدة عنوانها: (الزوجة الثانية نعمة لا نقمة) ، وأشرتُ في مقدمتها الطويلة إلى سبب كتابتها. وبينتُ لمن أهديتها ، وأفصحتُ عن دور أستاذي أبي إسحاق الحويني فيها. وكنتُ قد أهديته الديوان الواردة فيه ليُصحّحها. وواجهتُ بعض الانتقادات في زماننا هذا الذي علا فيه شأنُ كثير من النسوة على شأن الرجال ، كما ارتفعتْ أصواتهن فوق أصوات الرجال. لقد رحتُ بكل صدق أدافع عن الإسلام وأستهجن بيت الأعرابي: (تـــزوجـــتُ اثـــنـــتـــيـــن لـــفـــرط جـــهـــلـــي بـــمـــا يـــشـــقـــى بـــه زوج اثـــنـــتـــيـــن!) حتى لاح لي طيفُ كتابة هذه القصيدة التي تضرب على ذات الوتر. ولستُ الآن بصدد الحديث عن الإباحة أو الحظر للتعدد. إذ الذي يريد الوقوف على هذا الأمر بالتفصيل فليذهب إلى مقدمة قصيدة: (الزوجة الثانية نعمة لا نقمة). وواضح من عنوانها رأي كاتبها في التعدد ، تماماً مثل تراجم الإمام البخاري: (يُعرف رأيُه في المسألة من خلال ترجمته للباب الذي تنسب إليه تلك المسألة). وكان الصديق الحبيب والأخ الأكبر العزيز وصاحب الفضل علينا بعد الله في نشر شعرنا وتوزيعه خلال التسعينات الدكتور/ صلاح الدين جاب الله الأجاوي – حفظه الله – وراء هذه القصيدة (انسي الذي بيننا). حيث إنه أعطاني جوّها النفسي ومناسبتها ، فانطلقتُ في كتابتها آملاً أن أعرضها عليه في القريب العاجل عندما يجف الحبر عنها. وكم للدكتور من أيادٍ علينا في الخير ، فجزاه الله خيراً كثيراً وجمعنا به في الفردوس الأعلى مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين.)

أفصِـــحي عمـــا قلتِـــه (يـــا زنـــابَى) كـــــي تفيقـــــي متيمـــــاً يتصـــــابَى

علمـــي الصـــبّ كيـــف يُطريـــك حبـــاً؟ وي كـــأن الولهـــانَ يهـــوى الرضـــابا!

عذبيـــــهِ بـــــالرمش يصـــــطاد قلبـــــاً شـــــربَ الـــــذل ، واستســـــاغ العـــــذابا

حطمـــــي أعصـــــابه بـــــالتثني بعـــــدما تـــــاه ـ فـــــي الـــــدلال ـ وذابـــــا

واجعلـــــي منـــــه عِبـــــرة للبرايـــــا ربمـــــا حُـــــزتِ مَغنمـــــاً وثوابـــــا

وافضـــــحيه ، إذ جـــــاء ينشـــــدُ زوجـــــاً يـــــؤثر الأجـــــرَ طاعـــــة واحتســـــابا

وامنحيـــــه مِـــــن ســـــيئ الظـــــن قســـــطاً واغمُريـــــــه مَســـــــبة وارتيابـــــا

واصـــــدميه بالشـــــرط يكـــــوي فـــــؤاداً للألاعيـــــب والتـــــدني اســـــتجابا

يســـــتحقُ منـــكِ العـــذاباتِ تتـــرى والهـــــوانَ مقنطـــــراً والسِـــــبابا

يســـــتحقُ أن تســـــتطيلي عليـــــهِ ثـــم ترمـــي - نصـــب العيـــون - الحِرابـــا

يســـــتحقُ أن يشـــربَ الـــذل كأســـاً خيـــرٌ الـــذلُ للـــدنيء شـــرابا

يســـــتحق أن ترفضـــــيه حلـــــيلاً كـــي تـــوفِي - للمســـتكين - النصـــابا

أنـــتِ مـــا أخطـــاتِ انتقامـــكِ هـــذا بـــل ومـــا ضـــاعفتِ الجـــزا والعقابـــا

أنـــتِ مـــا جـــاوزتِ الحـــدودَ احتيـــالاً عنـــدما أدّبـــتِ الـــذي يتغـــابى

أيهـــا الصـــب عُـــد لزوجـــك ، واعلـــمْ أن أمـــراً ترجـــوه يُرْبـــي المُصـــابا

سَـــقطة هـــذي ، الشـــهمُ منهـــا بـــرئٌ كيـــف تهـــوى يـــا عبقـــريٌّ الســـرابا؟

كيـــف ترضـــى بمثـــل هـــذا التـــردي؟ أم تُـــراك تهـــوى الصِـــبا والكِعابـــا؟

لـــم نقـــل فـــي حكـــم التعـــدّد شـــيئاً بـــل نـــراه أمـــراً مباحـــاً صـــوابا!

ثـــم فـــي القـــرآن الأدلـــة تهـــدي إن ربـــي قـــال: "انكحـــوا مـــا طابـــا"!

وأحاديـــث المصـــطفى شـــاهداتٌ واســـألوا إمـــا ارتبـــتمُ الأصـــحابا

لكـــن اختـــرْ ذات التقـــى والمعـــالي لا يغرنْـــك حالهـــا والحجابـــا!

عنـــدما قلـــتَ: انســـي ولا تـــذكريني وانشُـــدي غيـــري - فـــي الـــورى - الخُطابـــا

كـــان هـــذا منـــكَ انتصـــاراً لأهـــل لا يُطيقـــون – للحليـــل - غيابـــا

قلتَهـــا لـــم تُـــذعن لأنثـــى اســـتبدتْ وأرادتْ للبيـــت - جبـــراً - خرابـــا

قلتهـــا لـــم تنـــدمْ علـــى أي حـــرفٍ بـــل ولـــم تفـــتحْ - للخلافـــات - بابـــا

قلتهـــا لـــم تطلـــب عليهـــا ثنـــاءً بـــل جعلـــت الألفـــاظ هـــذي جوابـــا

صـــاح ، أبشـــر بـــالخير يـــأتي تِباعـــاً إذ نجـــوت يـــا صـــاحبي مـــن (زنـــابى)

أني ليَ الفرحة؟ (عتابية)

(امرأة طلقها زوجها بسبب الواشين طلاقاً بائناً بيونة صُغرى ، وهي بريئة علم الله. فراحتْ ترسل له - يوم العيد - رسالة عتاب ، تناشده فيها أن يردها ليبدآ معاً صفحة جديدة!)

تَمتـــــعْ بعيـــــدكَ ، وانـــــس الجـــــوى ... ولا تبـــــكِ زوجـــــاً كواهـــــا النـــــوى

هـــــو العيـــــدُ يُغـــــري بأفراحـــــه ... وإنّ لكـــــل حُبـــــور صُـــــوى

ولـــــوْمي لـــــكَ اليـــــوم يُـــــردي الهنـــــا ... ولـــــيس يلـــــوم الـــــذي مـــــا اكتـــــوى

هنيئـــــاً لـــــك العيـــــدُ ، يـــــا صـــــاحبي ... ويـــــا حُـــــبّ قلـــــب طـــــواه الهـــــوى

وكنـــــتُ أؤمـــــلُ عَـــــوْد الفتـــــى ... (وإن لكـــــل امـــــرئ مـــــا نـــــوى)

وأنـــــى لـــــي الفـــــرحُ مـــــذ بعتنـــــي ... لقـــــد بِـــــتّ يُفنـــــي فـــــؤادي الجـــــوى

أحـــــب لـــــك الخيـــــرَ مهمـــــا جـــــرى! ... وأرجـــــو لـــــك العـــــز عـــــف اللـــــوا

فمـــــا زلـــــتُ أبقـــــي علـــــى حبنـــــا ... بـــــرغم الوشـــــاة ورغـــــم الفُـــــوى

فحاســـــبْ ضـــــميرك ، كـــــن مُنصـــــفاً ... فمِـــــن دمـــــع عَينَـــــيَّ قلبـــــي ارتـــــوى

حنانيـــــكَ عِيـــــدي مَحـــــاهُ الأســـــى ... لمـــــاذا تُصـــــدّق مَـــــن قـــــد غـــــوى؟

عزيـــــفُ الوشـــــاة دهـــــى بيتنـــــا ... وحُبُّـــــك لـــــي فـــــي الســـــراب انـــــزوى

وإنـــــي البريئـــــة مـــــن زيفهـــــم ... ودربُ القناعـــــات عنـــــي انطـــــوى

وعيـــــدي مـــــع الـــــوهم قضّـــــيتُه ... إلـــــى أن مرضـــــتُ وأيـــــن الـــــدوا؟

فصُـــــنْ مـــــاء وجهـــــي لـــــديك ، وكـــــنْ ... أديبـــــاً يُحَلـــــل مـــــا قـــــد حـــــوى

ورد الحليلـــــــة ، أخـــــــزِ العِـــــــدا ... ودع كـــــل كلـــــب علينـــــا عـــــوى

أراك تحقـــــــق مقصـــــــودهم ... أتجهـــــلُ مـــــا الجمْـــــعُ فينـــــا انتـــــوى؟

هـــــو العيـــــدُ يـــــا صـــــاح فرصـــــتنا ... فإنـــــا أمـــــام العتـــــاب سَـــــوا

أنين الذكريات

(في مقتبل شبابه أوغل في إسلامه بعمق ، فلم ينقطع عن قيام الليل وقراءة القرآن والدعوة إلى الله. ولما داهمه الشيبُ وأعجزته أعباءُ الحياة تقاعس وكان لماضيه أنين شديد الوقع.)

الحاضـــرُ اليـــومَ عـــن ماضـــيكَ يختلـــفُ ... فـــالعز أيـــن؟ وأيـــن المجـــدُ والشـــرفُ؟

تغيُّـــــرٌ لا أرى شـــــيئاً يُبـــــرّرُهُ ... ومُنحنـــــى سَـــــقطاتٍ مـــــا لهـــــا هـــــدف

قيـــامُ ليلـــكَ أيـــن اليـــوم نضـــرته؟ ... اليـــومَ يبكـــي عليـــهِ الحـــزنُ والأســـف!

لـــمَ انجرفـــتَ مـــع التيـــار مغتبطـــاً ... حتـــى قـــلاكَ الهُـــدى والنّـــورُ والصّـــحف؟

أيـــن الليـــالي شـــذى القـــرآن يُتحفُهـــا ... والعمـــرُ مِـــن زُبَـــد القـــرآن يَغتـــرف؟

أيـــن (الكتـــاب)؟ لمـــاذا لا تُطالعـــه؟ ... أم أنـــكَ الآن عـــن هُـــداه تنحـــرف؟

ودعـــوةُ النـــاس هـــل ودّعـــت منهجهـــا ... حتـــى ســـمعتُك بالخُـــذلان تعتـــرف؟

فعُـــدْ إلـــى الله ، واعمـــلْ وفـــق شـــرعته ... وانـــدم كثيـــراً علـــى مـــا كنـــت تقتـــرف

وأخلـــص التـــوبَ ، إن الله مطلـــعٌ ... تـــرَ الغمـــوم إذا صـــدقتَ تنكشـــف

الـــذكرياتُ أنـــينٌ فـــاض مَدمعُـــه ... لأنهـــا بـــانحراف اليـــوم تلتحـــف

أمـــلاكَ ربُّـــك ، والإمـــلاءُ موعظـــة ... لقـــد يـــردك عـــن أهوائـــك الحنـــف

أواه كـــم تقتـــلُ المغـــرور صـــولته! ... وكـــم يُحطـــم - مزهـــواً بـــه – الصَـــلَف!

والمُتقـــون خيـــارُ الخلـــق قاطبـــة ... أمـــا العُـــتاة فهُـــم - بـــين الـــورى - جِيَـــف

فكـــن تقيـــاً هُـــدى القـــرآن مَـــوردُه ... ولا تكـــن فـــاجراً يَعصـــي ويَعتســـف

إن التقـــيَ جنـــانُ الخلـــد موعـــدُهُ ... والنـــارُ موعـــدُ مَـــن عـــن الهُـــدى صـــدِفوا

أو ردّوها

(أرسل أحدهم رسالة بليغة عبر الهاتف ، واستقبلتُها بصدر رحب. وتقبلتُها بقبول حسن وألفيتُها آية في البلاغة والفصاحة والإبانة. ورأيتني عاجزاً عن الردّ عليها ، فقمتُ بإرسالها إلى صاحبها ، لأنني تذكرتُ قول الله تعالى: (وإذا حُييتم بتحيةٍ فحيوا بأحسنَ منها أو ردّوها). والرسالة تحية ولا شك ، ولعجزي عن التحية بأحسن منها ، أرسلتها كما هي عملاً بقوله تعالى: (أو ردوها) وأيضاً أحسَن المتلقي الفهم وذلك بعد سؤاله لي وجوابي عليه.)

ما حِيلتي في منطق البلغاءِ ... وإبانةٍ مَسجوعة الإطراءِ؟!

وعِبارةٍ ألفاظها ممهورة ... بالدُر مثل الغادة الحسناء

وطلاوةِ الأسلوب تتحفُ جرْسها ... بنوادر الأنغام والأصداء

هذي الرسالة حِكمة مَشفوعة ... بالرُشد يُبْرز دُربة الحُكماء

فيها يحار العقلُ مبهوراً بها ... متمتعاً بسياقها الوضاء

حوتِ النصائحَ برّة ورطيبة ... تختالُ خلف دلائل الإيحاء

وبها المواعظ كالثريا في السما ... والنصُ يُشرقُ في فسيح فضاء

وبها - مِن الأخلاق - أعطرُ باقةٍ ... مَوْشيةٍ بنفائس الأدباء

وتريدُ مني أن أردّ مُفاضلاً؟ ... شتان بين النور والظلماء!

ومَن الذي يقوى على تحليلها ... حتى يُعارضها بكل صفاء؟

حاولتُ لكنْ أحرجتني خِبرتي ... وطفِقتُ أغمز ريشة الشعراء

فرمتْ إليَ بوزنها وبحارها ... واستهجنتْ بشكاية المُستاء

وظلِلتُ أوسعُها بعذب مَلامتي ... وأنا الذي بالشعر ليس يرائي

وإذا بردّي بالرسالة ذاتها ... عملاً بنص الآية الزهراء

والعُذرُ ملتمسٌ ، وإنك أهله ... فتقبّل الأعذار عبر ندائي

واعلم بأنك قد تصاب بمثلها ... فتحار مثلي ، فاعتبر بندائي!

أي وفاء بعد هذا؟

(مات أبوه مُخلّفاً حفنة من الأبناء والبنات هذا أكبرهم. وكان لزاماً عليه (إذ هو ذو مروءة) أن يضحيَ بنفسه من أجلهم. فجدّ واجتهد ، وكان لهم أباً بعد أبيهم ، فعلّم ونشّأ ، وربَّى وزوَّج وكفل وجاهد. وكان آخرهم زواجاً في سن الـ 40 ، مؤثراً إخوانه وأخواته على نفسه ، راضياً بأن يكون على هامش الحياة حيناً من الدهر! فكان وفاء يُعجز أهل الوفاء ، وكان إخلاصاً يُذهل أهل الإخلاص. فلم يقبل صاحبه يوماً أن يقولها صريحة: وما شأني بهم؟ حيث إن ذلك طبع الأنانيين الأوباش الأخسة الوضعاء الحثالة ، وسمت من يعيشون لأنفسهم. إن الذين يعيشون لغيرهم يبقى صيتهم الجميل وذكرهم الحسن تاجاً على رأس الواحد منهم ، حتى بعد أن يفارق الحياة. بينما الذين يعيشون لأنفسهم لا يكاد يذكرهم أحد ولا يحتفل بهم أحد ولا يباليهم أحدٌ باله!)

بصـــرتُ بـــأخلاق التقـــيِّ المبجَّـــلِ ... وأعملـــتُ فكـــري فـــاحتواني تـــأمّلي

وأدركـــتُ أن الجـــود يســـمو بأهلـــه ... وأن الوفـــا ترنيمـــة المتفضـــل

تفرســـتُ فـــي أخـــلاق قـــومي جمـــيعِهم ... فمـــا عشـــتُ يومـــاً - عـــن ديـــاري - بمَعـــزل

فألفيـــتُ أهـــل الفضـــل أنقـــى ســـريرة ... وأطيـــب أخلاقـــاً بـــدون تجمّـــل

ولكنـــه طبـــعُ الكِـــرام يَـــزينهم ... فـــأنعم بصِـــيد - فـــي البليـــات - كُمَّـــل!

ومـــاذا - علـــى الأبنـــاء - إن مـــات والـــدٌ ... وخلّفهـــم فـــي شـــر حـــال ومنـــزل؟

وحطـــتْ - علـــى رأس الكبيـــر - مصـــيبة ... فلـــم يبتـــئس يومـــاً ، ولـــم يتزلـــزل

وجابـــه مـــا يلقـــى شـــجاعاً مجاهـــداً ... ولـــم يشـــتكِ البلـــوى ، ولـــم يتململـــ

وأنشـــب - فـــي نحـــر المآســـي - حُســـامه ... كـــأنْ لـــم يكـــن - بـــين البرايـــا - بمُثكـــل

وكـــان - علـــى الإخـــوان - يحنـــو ملبيـــاً ... وصـــايا أب مـــن دون أدنـــى تعلـــل

تغمّـــدهم - بـــالعطف والرفـــق - حِســـبة ... ولـــم يلـــتمس عونـــاً ، ولـــم يتنصـــل

وأعطـــى ووفـــى ، مســـتعيناً بربـــه ... وكـــان – لـــه - القـــرآن أعـــذبَ منهـــل

وأدى - بكـــل الصـــدق - أعتـــى أمانـــةٍ ... ولمّـــا يكـــن - فيمـــا يـــؤدي - بـــأرذل

فـــأي وفـــاءٍ بعـــدَ هـــذا ونجـــدةٍ؟ ... وأي شـــقيق مثـــلِ هـــذا مبجـــل؟

أيتامٌ في دَياجير التيه

(أقلت حافلة 40 يتيماً للتسرية عنهم إذ إنهم يعيشون في مَلجأ الأيتام. وفي طريق العودة اصطدمت حافلتهم بشاحنة ، فكان حادثاً مريعاً ، ونجا الأيتام جميعاً ولو بإصابات خفيفة للبعض!)

بُشـــرى النجـــاة لهـــا فـــي القلـــب تهليـــلُ ... وطيفُهـــا – فـــي حنايـــا الـــنفس – معســـولُ

والـــروحُ تطـــرَبُ إن نـــال اليتـــيمُ هَنـــا ... وكـــل بـــذلٍ لأهـــل اليُـــتم مقبـــول

والعـــينُ إن رأتِ الأيتـــامَ تغـــبطهم ... وإنّ كـــافلهم باليُســـر مكفـــول

تبـــاركَ الله مَـــن أنجـــى وديعتـــهُ ... والتـــربُ - مِـــن دم مَـــن قـــد مـــات - مبلـــول

عطـــاءُ ربـــك لا شـــيءٌ يُطاولـــهُ ... وَجـــوُدهُ لجميـــع الخلـــق مَبـــذول

ربـــي اللطيـــف لِمَـــا يشـــاء مِـــن قـــدرٍ ... لكـــنْ بصـــائرنا عـــن لُطفـــه حُـــول

جَـــلّ المليـــك بصـــفح منـــه يَشـــملها ... حتـــى الظلـــومُ بمحـــو الظلـــم مشـــمول

واســـألْ عـــن اللطـــف فـــي التقـــدير حافلـــة ... قـــد كـــان يَركبُهـــا الصِّـــيدُ الرآبيـــل

ســـارت علـــى لُجـــج المَقـــدور مُوقنـــة ... أن الســـبيل - بكـــل الأمـــن - مـــأهول

حتـــى أتتهـــا مـــن الأقـــدار موعـــدة ... ومـــا لأمـــر إلـــه النـــاس تبـــديل

تنـــاثرتْ قطعـــاً تـــأوي إلـــى قطـــع ... والنـــاس ؛ هـــذا نجـــا وذلـــك مقتـــول

والأربعـــون يتيمـــاً والنجـــاة علـــى ... جبـــين كـــلِّ شـــذىً يُهديـــه إكليـــل

والنـــاس تعجـــب مـــن صُـــنع الـــرحيم بهـــم ... تبـــارك الله ، جـــل الفعـــلُ والقِيـــل!

والأهـــل إن نبـــذوا الأيتـــام ، وانصـــرفوا ... فعنـــد ربـــك للأيتـــام تفضـــيل

والنـــاس إن قطعـــوا حِبـــال نجـــدتهم ... فحبـــلُ ربـــك بـــالأرزاق موصـــول

بدوية تأبى السقوط

(توفي عنها زوجها وهي صبية. ولها منه أولاد وبنات فتأيمتْ من أجلهم. وراودها جارها عن نفسها ذات يوم بصور شتى. فقالت: ما خنتُ زوجي وهو حي ، فهل أخونه في عِرضه وهو ميت؟ إنها الأيومة حتى الموت. ولا لن أسقط ولو قتلت. وسوف أعتز بديني وخوفي من الله حتى ألقاه. والأصلُ أن يحافظ الجار على جارته ، ويدخر لها ما يدخر لابنته. أما أن يراود الجار جارته مستغلاً حاجتها وموت زوجها ، فتلك نذالة وخِسة ودناوة لا أجد من الكلمات والأساليب ما به أعبّر عن حاله وصفاته. فتخيلتها تصف هذا الموقف ، وتستعز بعفافها وشرفها وعفتها ، وتثبت لنفسها ولمن يراودها ، أنها الأقوى ، وأنها الأشرف ، وأنها الأجدر بالعزة والكرامة مهما كانت التكاليف والتحديات والتضحيات! ورحت أصوغ وصفها شعراً:-)

لـــن تمـــس يـــا ذا الجبـــانُ عَفـــافي ... مُســـتغلاً سُـــكنايَ بـــين الفيـــافي

لـــم أزلْ ثكلـــى أكتـــوي بشـــجوني ... وبكـــائي بالمَـــدمع الـــذراف

لـــم أزل تهمـــي ذكريـــاتي التياعـــاً ... أذكـــر الميْـــت عـــاطرَ الألفـــاف

بـــين سَـــحْري والنحـــر كـــان مُســـجىً ... راحـــلاً ، كـــالزور والأضـــياف

آخـــذاً قلبـــي والحشـــا والحنايـــا ... عـــن تـــراض منـــي بـــلا إجحـــاف

كـــم تصـــدّى لمـــن رمـــاني بحـــرفٍ ... مـــن حـــروف التحقيـــر والإســـفاف!

كـــم تحـــدّى الأوبـــاش مَـــن حـــاربوني ... مُمْســـكاً بالـــدروع ، والأســـياف!

ثـــم يـــأتي الجـــار الرذيـــل يُـــداجي ... بالســـلوك المســـتهجن المتجـــافي

أيهـــا النـــذلُ ، إننـــي لســـتُ صَـــيداً ... تجتنيـــه ســـهلاً بالاســـتظراف

لا تظـــن ســـقوط مثلـــي يســـيراً ... رغـــم قيـــد البلـــوى والاستضـــعاف

هـــل جـــرؤتَ يومـــاً علـــى مثـــل هـــذا ... فـــي حيـــاة مَـــن عـــاش يحمـــي عفـــافي؟

لـــم أخنـــه يومـــاً ، فكلـــي وفـــاءٌ ... والوفـــاءُ يُرديـــه بعـــضُ انحـــراف

أيهـــا الصِـــل عُـــد إلـــى الجحـــر ، واعلـــمْ ... أن عِرضـــي ذو سُـــؤدَدٍ وطِـــراف

وازدردْ مـــا قـــد سُـــقته مـــن فحـــيح ... يـــا حقيـــرَ الأفعـــال والأوصـــاف

بسبب حجابها

(فتاة اسمها (رحاب) قد منّ الله عليها بالهداية. فراحت تلتزمُ أوامر الله التي الحجابُ جزءٌ منها! وتجتنبُ نواهيَ الله التي التبرجُ جزءٌ منها. فلم يُطق المجتمع حجابها: لا الأسرة ولا الجامعة. فعانتْ وحزنتْ فناشدتها الصبر! روى البخاري ومسلم عن البراء بن عازب - رضي الله عنهما - أنه قال: رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الأحزاب ينقل التراب ، وقد وارى التراب بياض بطنه ، وهو يقول: (لولا أنت ما اهتدينا ، ولا تصدقنا ولا صلينا ، فأنزلنْ سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا ، إن الألى قد بَغوْا علينا ، إذا أرادوا فتنة أبيْنا). وروى ابن ماجه عن النواس بن سمعان الكلابي - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه).)

عليكِ بالاصطبار والاحتسابِ ... فإن الصبرَ يذهبُ بالصعابِ

وكم بلوى يُخففها التسامي! ... وكيدُ مَن استفزكِ في تباب

وجدّي في الدعاء لعل سهماً ... يُعيذكِ مِن معاناة العذاب

ولا تستسلمي لمَن استبدّوا ... بنزع الستر ، أو خلع الحِجاب

ولا تستغربي هذي الدعاوى ... فإن القومَ خصّوا بالعِقاب

إذ اختلطتْ أمورُ الناس حتى ... رأيتُ العيش يُؤذنُ بالخراب

فقد ألفوا التهتك والدنايا ... وعِشقَ الدعر مِن أعتى المُصاب

ألا فلتثبتي ، وثقي بنصر ... سيأتي بالدعاء والاحتساب

ولا ألقاكِ في كرب وبؤس ... فكم أمل يزولُ بالاكتئاب!

وضِني بالفؤاد على المآسي ... لأن الفأل أجدرُ بالشباب

وإنْ سُومتِ فاختاري التحدّي ... فلن يقف السوامُ على النقاب!

ويوماً سوف تنقشعُ البلايا ... ويُهزمُ مَن تمسّك بالسراب

(رحابُ) تشبثي بعُرى المَعالي ... ومَن في الغيد أكرمُ مِن (رحاب)؟!

رعاكِ الله لا تخشي ضياعاً ... وعند مليكنا خيرُ الثواب

بصقة تائب فاحتسبها!

(طلب من غني مسلم صدقة لفقراء المسلمين ، فبصق ذلك الغني في وجهه وأبى. فقبل الأخ البصقة وقال: هذه صدقتك لي ، وأنا قبلتها ، فأعطني صدقة المسلمين. فأجزل الغني العطاء ، وقال: ادع الله لي! قال تعالى: (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ) ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (قال تعالى: يا ابن آدم أَنفق أُنفق عليك) رواه مسلم ، فهذا وعد الله. والملَك يدعو ويقول: (اللهم أعطِ منفقاً خلفاً) ، والنبي يوصي بلالاً ويقول: (أنفق يا بلال ، ولا تخشَ من ذي العرش إقلالاً). قال تعالى: الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ ، يقول: لو أنفقتَ نقص مالك ، أنت محتاج إليه ، والله يقول: وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ!)

المـــــالُ فـــــي هـــــذا الزمـــــان بـــــلاءُ ... وكـــــوارث فـــــوق الـــــورى وشـــــقاءُ

نفـــــــخ الأراذل نفخـــــــة خداعـــــــة ... إذ يفعلـــــون بمـــــالهم مـــــا شـــــاؤا

يتكبـــــــرون بنقـــــــدهم وعَقـــــــارهم ... وهـــــمُ بفقـــــر قلـــــوبهم قـــــد بـــــاؤوا

وعلـــــى الفقيـــــر تـــــدور دائـــــرة الـــــردى ... والصـــــبرُ تُـــــدْحَرُ عنـــــده البأســـــاء

فعلـــــى الـــــذي احتســـــب الجهـــــودَ تجلـــــدٌ ... إن التجلـــــد فـــــي الخطـــــوب ضـــــياء

ومواجهـــــــاتُ الأثريـــــــاء مريـــــــرة ... وأمـــــرّ منهـــــا المـــــدحُ والإطـــــراء

فجـــزاك ربـــي الخيـــرَ يـــا مـــن خضـــتها ... وعلـــــى جبينـــــك عِـــــزة شَـــــهباء

تســـعى ، وتحمـــل عـــبء كـــل مُشـــردٍ ... أو أســـرةٍ ضـــاقت بهـــا البيـــداء

بـــين الجـــوانح كـــربُ كـــل مضـــيّق ... يشـــكو ، وفـــي قلـــب التقـــيّ رجـــاء

ويـــذوب مـــن ألـــم ضـــميرُ مُعـــذب ... ويسُـــرّ خـــاطرَه البئـــيسَ عطـــاء

والوجـــهُ أغرقـــه البصـــاقُ فلـــم يثـــرْ ... كـــلا ، ولـــم تـــكُ غضـــبة رعنـــاء

بـــل قـــال: إنـــي قـــد قبلـــتُ ، فجُـــدْ لمـــن ... يرجـــون منـــك لأنهـــم فقـــراء

قـــال: الـــذى ترجـــوهُ رهـــن إشـــارةٍ ... واصـــفحْ ، وســـامحْ ، إننـــي الخطـــاء

قـــال: اتفقنـــا ، والمَليـــكُ شـــهيدُنا ... وجميـــعُ وعـــدِك يـــا أخَـــيّ وفـــاء

ربـــاه فاقبلـــهُ ، وكثـــرْ مالـــهُ ... أحببتـــه ، ولـــه علـــيّ دُعـــاء

بقية من القيم

(نصحوه بأن ينافق من حوله ليعيش ، فقال: لأن أموت صادقاً مقبلاً على الله غير مدبر ، خيرٌ لي وأجدر بي من أن أعيش ذا وجهين. إنها بقية القيم التي أعيش من أجلها. وإن كان جُل الناس ، بل السواد الأعظم منهم قد قلاها فإني مستمسك بها ما حييت.)

هـــذي المقولـــة فـــي اعتقـــادي مُنكَـــرُ ... والقلـــب - مـــن ألفاظهـــا - يتفطـــرُ

تعـــس النفـــاقُ! وخـــاب كـــل منـــافق! ... وأراه للأخبـــار بـــئس المصـــدر!

يُبـــدي لنـــا شـــيئاً ، ويُضـــمر ضـــده ... ويعـــيش ذا وجهـــين لا يتغيـــر

فهـــل الحقيقـــة فـــي الـــذي يُبـــدي لنـــا؟ ... أم أن أنهـــا تحـــتج فيمـــا يُضـــمر؟

ومَـــن الـــذي يرضـــى بزيـــف مقالـــهِ ... ضـــدان مـــا اجتمعـــا: الثـــرى والجـــوهر!

شـــتان بـــين الصـــدق يرفـــع قيمـــة ... والكِـــذب يخفـــض قيمـــة ويُـــدمّر!

يُـــزري النفـــاق بمـــن ينـــافق مثلمـــا ... يـــزري الفجـــورُ بمـــن يَـــزل ويَفجـــر

ولأن أمـــوت فـــدا العقيـــدة صـــادقاً ... بـــالخير والقـــيم الكريمـــة أذكَـــر

خيـــرٌ مـــن العـــيش الرغيـــد منافقـــاً! ... مَـــن بالنفـــاق ومَـــن ينـــافق يَفخـــر؟

ســـأموتُ يومـــاً ، تلـــك سُـــنة ربنـــا ... ولطالمـــا - فـــي المـــوت - عشـــتُ أفكـــر

ولقـــد حرصـــتُ علـــى الرحيـــل موحّـــداً ... والله يعلـــم مـــا أخـــاف وأحـــذر

وبقيـــة القـــيم الجليلـــة مـــوئلي ... انـــا لســـتُ عـــن نصـــر الهُـــدى أتقهقـــر

حسْـــبي مـــن الـــدنيا اتبـــاعُ شـــريعتي! ... وجميـــعُ مـــا قـــدمت هـــا أنـــا أحقِـــر

فأنـــا علـــى الأخـــرى العَزيـــزة مُقبِـــلٌ ... وأنـــا عـــن الـــدنيا الحقيـــرة مُـــدْبر

بلقيس (ملكة سبأ)

(إن (بلقيس) قصيدتنا هي الملكة العظيمة المحترمة ملكة (سبأ) ، بلقيس بنت شراحيل ، تلك المرأة التي لمّا علمت الحق اتبعت سليمان وأسلمت معه لله رب العالمين. أما بلقيس التي نعاها زوجها بقصيدة نال فيها من العروبة والإسلام نيلاً عظيماً ، وأهان الإنسانية والمرأة معاً ، فليستْ من هذا كله ولا من أصحابه في شيء. يقول الدكتور السرجاني عنها: (بلقيس ملكة سبأ من أشهر النساء في التاريخ ؛ فما نسبها؟ وكيف ملكت على بلاد اليمن؟ وما قصتها مع سليمان النبي – عليه الصلاة والسلام؟ بين صفحات تاريخ العرب قبل الإسلام ، صفحةٌ زاهيةٌ تُحدِّثنا عن ملكةٍ جليلةٍ راجحة العقل ، ملكت في اليمن ملكًا واسعاً ، ونهضت بأعباء مملكتها خير نهوض ، فشيَّدت قصورًا عوالي ، وخلفت بعدها مجدًا لا تُطمس معالمه على مدى الدهر ، لا تزال آثاره تنطق بعظمته وسناء منـزلته. فالملكة التي تحمل هذه الصفات هي بلقيس ابنة ذي شرح ، ملكة سبأ ، وقد اختلف أهل الأنساب بأنَّها ابنة اليشرح ، ويقول بعضهم: إنَّها ابنة إيلي شرح. ويقول بعضهم: ابن ذي شرح بن ذي جدن بن إيلي شرح بن الحارث بن قيس بن صفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب. وفي روايةٍ إنَّها بلقيس ابنة الهدهاد ابن شرحبيل بن عمرو بن غالب بن السياب...بن سبأ. فلمَّا وليت بلقيس الملك ازدرى قومها بمكانها ؛ لمـَّا كانت امرأةً وأنفوا من أن يلي أمرهم امرأة ، وبلغ ذلك عمرًا ذا الأذعار فجمع الجيوش ونهض إلى بلقيس فلم تكن لها طاقة ، فهربت مكتتمة بأخيها عمرو ابن الهدهاد وهما في زيِّ أعرابيَّين حتى أتت جعفر بن قرط الأسدي. ثم عملت على حيلةٍ دبَّرتها ، فدخلت على خصمها عمرو ذي الأذعار ، وقد بهره جمالها ، فأمر بالخمر يُنادمها كما كان يُنادم بنات الملوك ويفعل بهنَّ ، فلمَّا أخذت الخمر منه همَّ بها ، فقالت: أيُّها الملك سترى منِّي من المال أكثر ممَّا رأيت من الحرص ، حاجتي فيك أعظم من حاجتك فيَّ ، وسامرته أحسن مسامرة ، فألهاه ما سمع منها وما أعطته من نفسها من القرب وهي تعمل فيه بالخمر دأبًا ، حتى علمت أنَّ الخمر عملت فيه ، فقَدِمَتْ إليه وسلَّت مُديَتَهَا من قرونها ، ثم نحرته ، فلمَّا مات جرَّته فألقته في ركن مجلسه وألقت عليه بعض فرش المجلس ، ثم خرجت إلى الحرس في جوف الليل ، وقالت لهم يأمركم الملك بفلان أن تأتوا به. فلمَّا أتوا به وكان يتبعه ألوفٌ من حِمْيَر ، فلم تزل تُرسل إلى ملوك حمير وأبناء الملوك المسموع منهم المتبوعين ، فلمَّا اجتمعوا إليها في قصر غمدان ، خرجت عليهم فقالت لهم: إنَّ الملك قد تزوَّجني على أنِّي برئت إليه من ملكي في حياته وأنتم تعلمون أنَّه لا يُولَد له ، فلمَّا علم منِّي الخضوع بحقِّه والاستسلام لإرادته والطاعة لأمره ، فوَّض إليَّ بعدَه ورآني أهلًا له ، وأمرني أن آخذ عليكم بذلك عهدًا. قالوا: سمعًا وطاعةً للملك فيما أراد ، فأخذت عليهم العهد أنَّ لها الملك بعد عمرو ، فلمَّا توثَّقت منهم قالت لهم: هل تسمعون من الملك فأدخلتهم المجلس. وقالت لهم: ها هو ذا. وكشفت عنه فرأوه قتيلاً ، قالوا لها: من فعل هذا به؟ قالت لهم: أنا وليُّ العهد عليكم بالملك بعد موته ، وهذا هو قد مات وعهده لكم لازم. قالوا لها: أنتِ أولى بالملك إذ أرحتنا من هذا الرجس الجائر. فوليت بلقيس ملكهم. ولمـَّا وليت بلقيس ملك حمير ، قالت حمير: رجع الملك إلى نجلته الأولى. ثم جمعت الجيوش العظيمة وسارت إلى مكَّة ، فاعتمرت وتوجَّهت إلى أرض بابل ، فغلبت على من كان بها من الناس ، وبلغت أرض نهاوند وأذربيجان ، ثم قفلت إلى اليمن. ومن الأعمال العمرانيَّة التي قامت بها بلقيس فرفعت مجدها إلى أبعد صيت ، ترميمُها سدَّ مأرب ، الذي كان الزمان قد أضرَّه وخلخل أوصاله ، وبلقيس هذه هي صاحبة الصرح الذي ذكره الله في القرآن العظيم في قصَّة سليمان عليه السلام ، ويُنسب إليها – أيضًا ـ قصر بلقيس الذي بمأرب ، وكان

سليمان ينـزل عليها حين تزوَّجها فيه إذا جاءها. وكان لبلقيس حرَّاس من الرجال الذين يُؤازرونها وبطانة من النساء ، وكان عندها ثلاثمائة وستُّون امرأةً من بنات أشراف حمير ، فكانت تحبس الجارية حتى تبلغ ، ثم تُحدِّثها حديث الرجال ، فإذا رأتها قد تغيَّر لونها ونكَّست رأسها ؛ عرفت أنَّها أرادت الرجال فسرَّحتها إلى أهلها ، ووصلتها وزوَّجتها وأحسنت إليها ، ولا تزوِّجها إلَّا من أشراف قومها ، وإذا رأتها مستمعة لحديثها معظِّمة لها أطالت النظر غير متغيِّرة اللون ولا مستحية من الحديث ؛ علمت أنَّها تريد فراقها وأنَّ الرجال ليسوا من بالها. وكانت بلقيس صائنةً لنفسها ، غير واقعةٍ في المساوي ، ولا غافلة عن المكارم ، وكانت لا أرب لها في الرجال ، فظلَّت عذراء حتى تزوَّجها سليمان عليه السلام. وأمَّا خبر بلقيس مع سليمان الحكيم عليه السلام: فلمَّا أُلقي إليها كتاب سليمان عليه السلام وسقط في حِجْرها ، قالت: إنَّه كتابٌ كريم ، وأشفقت منه فأخذته وألقت عليه ثيابها ، وأمرت بسريرها فأُخرِج ، فخرجت فقعدت عليه ونادت في قومها: {قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ * قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ}. فلمَّا أُعطِي سليمانُ الهديَّةَ ، {قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ * ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ}. وذكر ابن عبَّاس أنَّه كان معها ألف قيل ، وأهل اليمن يُسمُّون القائد قيلا ، مع كلِّ قيلٍ عشرة آلاف. وكان سليمان عليه السلام رجلًا مَهيباً لا يبتدئ بشيءٍ حتى يكون هو الذي يسأل عنه ، فخرج يومئذٍ فجلس على سريره ، فرأى رهجًا قريبًا منه ، فقال: ما هذا؟ قالوا: بلقيس يا رسول الله ، قال وقد نـزلت منَّا بهذا المكان (وهو بين الكوفة والحيرة قدر فرسخ) ، فأقبل سليمان على جنوده فقال: {أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ}؟ فأُتِيَ له بعرشها. ثم بعثت بلقيس لسليمان بهديَّةٍ ؛ اختارت أربعين رجلًا لم تَدَعْ في أبناء الملوك أجمل منهم ولا أعقل ولا أرشد ثقةً ولا أبعد غايةً ولا أعلى صوتاً ، وكانت الهديَّة التي أرسلتها لسليمان مائة وصيف ومائة وصيفة وُلدوا في شهرٍ واحدٍ وليلةٍ واحدة ، وأرسلت إليه بحُقٍّ مملوءٍ ذهبًا وفضَّةً ودرًّا وياقوتًا وزبرجدًا وزمرُّداً ، وختمت على الحُقِّ ، وألبست الوصائف والوصفاء زيًّا واحدًا ليُظنَّ من رآهم أنَّهم كلُّهم غلمان ، وأرسلت إليه بخيلٍ عتاقٍ ذكورٍ وإناث ، وقالت لرسلها: مُروه يُخبرْكم بفرقٍ بين الذكور والإناث من الخيل بعضها من بعض من غير أن يُخبره أحد ، ومُروه أن يُخبركم بما في الحُقِّ الذي لا اختلاف فيه ، وإيَّاكم أن يُجيب كلُّ واحدٍ عن نفسه فيقع الاختلاف فيرتاب منكم ، فمَضَوْا. وجمعت بلقيس أشراف حِمْير فقالت: خذوا في أهبَّة الحرب ، فجمعت الجيوش واستعدَّت للحرب ، وقالت لقومها: إنْ هو قَبِل الهدية ولم يُرِدِ الحرب ودعا إلى الله ، فهو نبيٌّ فاتبعوه ، وإن هو لم يقبل الهديَّة ولم يُعلِمْنَا بما سألناه ، فهو ملكٌ من ملوك الدنيا حاربناه ، فما لأحدٍ بنا طاقة ، وإن كان نبيًّا فما لنا بالله طاقة. ولمَّا رجعت الرسل إلى بلقيس بما قال سليمان ، قالت: قد والله عرفت ما هذا بملكٍ ، وما لنا به من طاقة ، وما نصنع بمكاثرته شيئًا. وبعثت إليه: إنِّي قادمةٌ عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو إليه من دينك. ثم سارت في مائة رجلٍ وعشرين رجلًا من أشراف قومها ورؤسائها وأخيارها، مع كلِّ رجلٍ من وجوه جنده وأفاضل أصحابه وقادة خيله مائة رجل ، ثم جمعت أبناء الملوك ثم قالت: معاشر حمير أنتم تلاد الله اصطفاكم من أول الدهور ، وفضَّلكم بأفضل الأمور ، وقد ابتلاكم بهذا النبيِّ سليمان بن داود ، فإن آمنتم وشكرتم زادكم الله نعمة ، وإن كفرتم سلبكم النعم ، وسلَّط عليكم النِّقَم. فقالوا لها: الأمر إليك.

وعلموا أنَّها شفيقةٌ عليهم ناصحةٌ لهم ، فخرجت إلى سليمان في مائة ألفٍ واثني عشر ألفًا وتركت جميع أجنادها بغمدان وبمأرب. وفي روايةٍ أنَّ بلقيس شخصت إلى سليمانٍ عليه السلام في اثني عشر ألف قيلٍ معها من ملوك اليمن ، تحت يدي كلِّ قيلٍ منهم ألوفٌ كثيرة. وتُوفِّيت بلقيس بعد قتل ولدها رحبعم بن سليمان بأنطاكية بسنةٍ واحدة ، وقد رثاها النعمان بن الأسود ابن المعترف بن عمرو بن يعفر الحميري بقصيدة عذبة طويلة ذكرها المؤرخون وكتاب السير والتراجم).هـ. إن كتابتي عن ملكة سبأ بلقيس بنت شراحيل إثراء لي ولصيتي وشرف كبير لي وإثراء للشعر وشرف ، ومَن مِن نساء الأرض اليوم يتمثل هذا الخضوع لله ولرسوله ، كما تمثلته بلقيس – عليها رضوان الله تعالى؟)

مَـن ذا يُضـاهي ـ فـي التقـى ـ بلقيسـا؟ أمّـنْ يُضـارعُ وَعيَهـا المَلموسـا؟

أمّـن يُحـاكي حزمهـا ورشـادها؟ أمّـن يُبـاري مجـدَها المأنوسـا؟

لمّـا رأتْ نـورَ العقيـدة أسـلمتْ واسـتلهمتْ ممـا تـراه دروسـا

شـرفٌ لهـا ولقومهـا أنْ أسـلموا فالسِـلم يَهـدي – للرشـاد ـ نُفوسـا

والسـلمُ خيـرٌ منهجـاً وطريقـةَ وكتابُـه خيـرٌ هُـدىً وأنيسـا

وسـجودُهم للشـمس برهـانُ الشـقا فجمـيعُهم أزجـى لهـا التقديسـا

واللهُ خـالقُهم وخـالقُ شمسِـهم عـدلوا بـه إذ عظمـوا إبليسـا

فأضـلهم إبلـيسُ عـن سُـبُل الهـدى فاسـتعذبوا التضـليلَ والتدنيسـا

عبـدوا الكواكـب فـي السـماء فأشـركوا وتصـوّروا ـ خلـف النجـوم ـ شموسـا

حتـى أتـاهم مِـن (سُـليمان) الهُـدى وهـدى المليـكُ ـ لدينـه ـ (بلقيسـا)

فاستسـلموا لقرارهـا فـي ذلـةٍ والـدينُ أصـبحَ ـ فـي الـدنا ـ محروسـا

ومَليكـة الأقـوام جمّلهـا التقـى وغـدتْ بموكبهـا المَهيـب عروسـا

بناء البيوت وبناء النفوس!

(مساكينُ في عقولهم وقلوبهم هؤلاء الذين ينشغلون في هذه الحياة ببناء البيوت على حساب بناء النفوس. إن بناء النفوس والقلوب والأرواح والضمائر والمشاعر والأحاسيس يكلف الشيء الكثير ، ويبطئ بالباني. بينما بناء البيوت أيسر بكثير من بناء النفوس. وإن النعل الذي يمتلئ بالماس لا تتغير قيمته ومسماه بل قيمته كما هي ، ومسماه كما هو: نعل! وليس تحفة أو نجفة أو أيقونة أثرية ثمينة. بل يظل نعلاً حقيراً! فكونه قد امتلأ بالماس لن يرفعه عن قيمته ، كما أنه لن يغير كنهه وحقيقته (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين). وإذن فالفرق بين بناء النفوس وبناء البيوت كالفرق بين السماء والأرض ، وإنْ هما التقيا في بعض المنعطفات ، إذ الاستخلاف في الأرض وإعمارها بمنهج الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم – رسالة كل مسلم ، وعبر تلك الرسالة بهذا الوصف وتلك الكيفية تبنى النفوس والبيوت معاً ، ولا يحدث التعارض ولا التضاد أبداً. ومن هنا نشأ جيلٌ لا نغالي إن قلنا أنه تحول عن عبادة الله إلى عبادة الدنيا! أكتب في هذا على البحر الوافر أقول:-)

بنـــاءُ الـــنفس ديـــدنُ مَـــن تســـامى ... وقـــام بحـــق خالقـــه قِيامـــا

وآثـــر أن يعـــيش لـــه فخـــارٌ ... وإن جهـــل المغفـــل ، أو تعـــامى

وجاهـــد ـ فـــي الحيـــاة ـ بـــلا مَـــلال ... وخـــط الـــدرب ، واجتـــاح الظلامـــا

ونُصـــبَ العـــين قـــد رســـم المعـــالي ... ولـــم يعبـــأ بتخـــذيل النـــدامى

وعلـــمَ نفســـه التقـــوى لترقـــى ... وصـــاحب مـــن تعفـــف ، واســـتقاما

وألزمهـــا اتبـــاع الحـــق نهجـــاً ... وفاصـــل ـ فـــي مســـيرته ـ الطغامـــا

وهـــذبها ، فلـــم تـــأت الـــدنايا ... وأدبهـــا ، فلـــم تكسِـــب حرامـــا

وروَّضـــها علـــى تـــرك الخطايـــا ... ولـــو لـــم تمتلـــك إلـــى الحُطامـــا

وأصـــحاب البيـــوت لهـــم سُـــعارٌ ... وإن ملكـــوا المـــدائن والزمامـــا

ولـــو بالـــدُّر قـــد ملئـــتْ نعـــالٌ ... وإن وطئـــتْ بثروتهـــا الغمامـــا

ســـتبقى رغـــم ســـطوتها نعـــالاً ... وتجتـــرّ النجاســـة والرّغامـــا

ويومـــاً فـــي القمامَـــة ســـوف تُرمـــي ... وقـــد تُهـــدى تِباعـــاً لليتـــامى

وإن الجُـــودَ – بـــالأموال ـ فضـــلٌ ... ويحيـــا ـ مـــن يجـــود بهـــا ـ هُمامـــا

فرح بنات الثرى ببنات الثريا

(إن فرحة الأرض - بما عليها وبمن عليها – بالمطر لا يمكن تخيّلها فضلاً عن وصفها. (اهتزتْ وربتْ وأنبتتْ من كل زوج بهيج). وأنا هنا أعبر عن مدى فرحة كائنات الأرض بالمطر! فهو احتفاءٌ واحتفالٌ تزجيه بناتُ الثرى لبناتِ الثريا! الماء يحيي به الله كل شيء ، {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ}. وهو فرحة عظمى للناس بعد جدبهم ، {فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}. وهو سبب رزقهم ، {وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ}. وهو سببٌ لإحياء الأرض ، {وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا}. وهو سُقيا للناس ، {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ }. وهو صحة الأجواء ، وطرد الأدواء. وهو الغيث ، {يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ}. وقليلة هي الأشعار التي تصف المطر ، فآثرت أن أصف المطر وآثاره علينا!)

إنمـــــا الغيـــــث معجـــــزاتٌ وآيـــــة ... تغمُـــــرُ الـــــنفسَ بـــــالتقى والهدايـــــة

يُـــــبهجُ الأرضَ والعـــــوالمَ حتـــــى ... ترفـــــعُ الســـــعدَ – فـــــي الخلائـــــق - رايـــــة

فبنـــــاتُ الثـــــرى يقمـــــنّ احترامـــــاً ... لتـــــؤدى – للاحتفـــــاء - البدايـــــة

والـــــزروعُ تهـــــدي الأنـــــامَ جمـــــالاً ... وكـــــأن الجمـــــال قصـــــدٌ وغايـــــة

والثمـــــارُ تختـــــالُ زهـــــواً وفخـــــراً ... لـــــتقصّ – للنـــــاس – بعـــــضَ الحِكايـــــة

والنباتـــــاتُ تنتشـــــي وتغنـــــي! ... يـــــا تـــــرى هـــــل أمســـــى الغِنـــــاءُ هوايـــــة؟

والطيـــــورُ – فـــــوق الغصـــــون - تنـــــاغي ... بعـــــدما كانـــــت تســـــتغيث شِـــــكاية

والحقـــــولُ تفـــــيضُ حُســـــناً وخيـــــراً ... فـــــالغيوث جـــــادت لهـــــا بالكِفايـــــة

والأزاهيـــــرُ – فـــــي الريـــــاض - سُـــــكارى ... بعـــــدما خصـــــتْ بالعطـــــا والرعايـــــة

وبنـــــاتُ الثـــــرى يُـــــردّدْن شـــــكراً ... للمليـــــك إذ غيثـــــه الآن آيـــــة

فـــــي احتفـــــاءٍ يُطـــــري بنـــــاتِ الثريـــــا ... ثـــــم يُوصـــــي الأمطـــــار أغلـــــى وَصـــــاية

أن تعـــــود بـــــدون طـــــول فِـــــراق! ... إن طـــــول الفـــــراق أعتـــــى نِكايـــــة

والحيـــــاة - بـــــدون غيـــــثٍ - مَمـــــاتٌ ... قـــــد جهرنـــــا بقولنـــــا عـــــن درايـــــة

بـــــدأتْ باليُســـــرى بنـــــاتُ الثريـــــا! ... وبنـــــاتُ الثـــــرى خططـــــن النهايـــــة

مولد النور في عُرس بنت الأربعين

(ظلمها أبوها برفض كل عريس يتقدم لها ، وذلك بحجج واهيةٍ منها مثلاً المال والقبيلة والمكانة والوظيفة والجنسية ، حيث إنها مواطنة والعريس المتقدم وافد! ونحو ذلك! فتركَتِ البائسة بين مطارق الشهوات المجنونة وسُعار الفضائيات الملعونة! فلجأتْ إلى الله تعالى واعتصمتْ به وتعرفتْ إليه ، وعكفتْ على القرآن وتذرعتْ بالصوم وتسلحتْ بطلب العلم الشرعي واتجهتْ إلى مبدأ شغل الوقت فيما يفيد ، فكانت تعلم بُنيات جاراتها القرآن والسنة وبعض العلوم المدرسية ابتغاء وجه الله ، ومن هنا تعرفتْ على الكثير من معالم دينها. وجدّتْ في الدعاء وتحينتْ أوقات قبوله ، فعصمها الله ورزقها شاباً مؤمناً وذلك بعد موت أبويها في حادث سير (وقد كانا حجر عثرة في طريق عِفتها واستقامتها وزواجها)! والعجيب أن عمْر ذلك الشاب 25 سنة ، بينما كان عمرها 40 سنة. الأمر الذي يُذكّرنا بزواجه – صلى الله عليه وسلم – من أمّنا خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها -. والأعجب من ذلك أنه تزوّجها لدينها وأمانتها واجتهادها وأخلاقها ، الأمر الذي لم يعد وارداً على عقليات أغلب الشباب والشابات المتقدمين للزواج اليوم ، لفساد الناس والزمان والحال! فتخيلتُ نفسي أحدَ المدعوين لحضور عُرس بنت الأربعين ، وطلب مني الحضور أن أهنئ العروس شعراً ، فكانت هذه القصيدة!)

تمثلي الشرعَ بين الناس ، وارتفعي ... وحطمي هاجسَ الأعرافِ والجَزعِ

خلي التقاليدَ ، إذ قد خالفتْ ونأتْ ... وجاهرتْ ربها بسيئ البدع

ثم اهجري عادة – عن ديننا - شطنتْ ... وفاضلي من طغتْ ، والفاسقين دعي!

أعاد عُرسُكِ ذكرى عندنا عظمتْ ... ذكرى النبي التي طابت لمُتبع

علوتِ بالشرع - يا أختاه - في ثقةٍ ... مَن تلتزمْ بعُرى الإيمان تنتفع

في الأربعين تفوقين النجومَ ضِيا ... والجسمُ لا يشتكي شيئاً من الوجع

والنفسُ راضية ، بما المليكُ قضى ... والقلبُ يرفلُ في القنوع والشبع

والروحُ تنظر – في القرآن - صورتها ... فلا سبيل إلى الأوهام والهلع

في الأربعين لها مشاعرٌ طهُرتْ ... مِن التذرع – بين الناس - بالطمع

فبارك الله فيها طالما عملتْ ... بمقتضى الشرع في بيتٍ ومجتمع

وبارك الله في شهم تزوجها ... زوجُ التقية يحيا في ذرى المُتع

بُهلول

(سأل هارون الرشيد – رحمة الله عليه - أحد البهاليل أي المجاذيب فقال له: عظني يا بهلول. فقال من هذا (وأشار إلى القصر) يا أمير المؤمنين ، إلى هذا (وأشار إلى القبر). فبكى هارون حتى أغشى عليه. وعموماً البهلول وجمعه بهاليل هو السيد العظيم في قومه. ولربما أعطى الناس اسم البهاليل للمجاذيب لأن الله يُجري الحكمة على ألسنة بعضهم. ومن هنا كان المثل السائر الشهير الجهير: (خذ الحكمة من أفواه المجانين!) وإنْ هو إلا الافتراض الذي لم أتثبت فيه ولم أتحقق. فأنشدت في هذه المناسبة بين الرشيد والبهلول هذه القصيدة على البحر العروضي المنسرح.)

بُهلـــــــولُ فـــــــذٌ حكـــــــيمُ ... وواعـــــــظ مســـــــتقيمُ

جوابـــــــه لا يُبـــــــارَى ... واللفـــــظ ســـــام ســـــليم

لكـــــل حـــــرفٍ معـــــان ... منهـــــا تشـــــع العلـــــوم

ذي خطبـــــة مِـــــن خطيـــــب ... بهـــــا يُـــــداوَى الســـــقيم

فصـــــلُ الخطـــــاب رحيـــــلٌ ... فليســـــتعدّ المُقـــــيم

ولـــــيس يبقـــــى ســـــرورٌ ... ولـــــن يـــــدوم النعـــــيم

أيـــــن الألـــــي ســـــبقونا؟ ... أيـــــن القـــــرى والرســـــوم؟

وهـــــل ســـــيبقى جديـــــدٌ ... إذا تـــــوارى القـــــديم؟

وهـــــل ســـــيعلو أصـــــيلٌ ... إذا تـــــدنى الـــــذميم؟

وهـــــل ســـــيرقى بخيـــــلٌ ... إذا تهـــــاوى الكـــــريم؟

وهـــــل ســـــيدنو حقيـــــر ... إذا تنـــــاءى العظـــــيم؟

الموعـــــدُ القبـــــرُ حتمـــــاً ... وشـــــاهدي ذا الأديـــــم

وكـــــل جيـــــل ســـــيَفنى ... رجالـــــه والحَـــــريم

فاعمـــــل للحظـــــة مـــــوتٍ ... يَبكيـــــك فيهـــــا اليتـــــيم

بورك فيكِ يا (أم زكي)

(اعتاد ابنها (زكي) أن يعزم أصحابه الشرفاء في البيت. ولأنه الابن الأكبر ، وقد أخذ مكان أبيه بعد وفاته فكانت أمه تثق فيه ، وتدرّبه على الرجولة وتتعهده كثيراً. وذات يوم لاحظتِ الأم تعلق ابنتها بأحد أصحاب أخيها من الصالحين وتعلق الفتى بها. فعرضتْ عليه الزواج من ابنتها. وأنفقتْ من مالها وزوّجتهما. وكأني بها تستحضر حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عندما استفتي في التخيير بين رجلين كل منهما يريد الزواج من ذات الفتاة فقال: (زوّجوها بمن تحب ، ليس للمتحابيْن إلا الزواج!). فقلت لها: بورك فيك. وجنبت الأم الحكيمة ابنتها وصديق ابنها مهاوي العشق ومنعطفات الهوى وخطوات الشيطان ، ضاربة المثل الأعلى في التسامح والنظرة المستقبلية الرزينة ، تلك التي يعجز عنها كثير من الرجال ذوي الشوارب المبرّمة والذين يتصدرون المجالس! كما أنها رفعت من قدر ولدها الذي أعطته مكان أبيه في القوامة على البيت وساكنيه! ولمّا كنتُ واحداً من رفاق ذلك الابن ، فكأنني أحكي ذلك نثراً وشعراً بالرواية الذاتية. إذ إنني كنتُ أرقب ذلك كله عن كثب. وأثمر الزواج وكان له من ابنتها الأولاد والبنات. فرأيتُ بعد حين وعندما تذكرت جزءاً من ذلك الماضي الذي وددت لو عاد بأفراحه وأتراحه ، رأيت أن أصوغ تهنئتي لها ولابنتها شعراً. فلم تراع الأم أنه صعيدي ولا عشيرة له ولا قوم هنا! يقول أبو فيصل البدراني عن العصبية القبلية ما نصه: (في البداية يقول لوط ـ عليه السلام ـ كما أخبر الله تعالى عنه: "قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ" ، مسألة مهمة ينبغي التطرق لها بوسطية ، وهي أن القومية وروابط وأواصر النسب ربما انتفع بها المسلم بل قد ينتفع بها الكافر ، وقد تكون محمودة ما لم يخرج ذلك إلى تجاوز حدود ولاء المؤمنين والبراء من الكافرين ، كأن تقدم على أواصر الدين ورباط التقوى ، فإذا لم تتجاوز الحد وكانت خاضعة للرابطة الإسلامية وعرى العقيدة ، فلا إشكال وإنما الإشكال في استبدالها بها ، وعلى كل حال تظل لأواصر النسب والصلة فائدتها وأثرها حتى بين الكفار. قال الشيخ محمد الأمين في معرض نقده المتين للقومية العربية أثناء تفسير الآية التاسعة من سورة الإسراء: "نفع الله نبيه صلى الله عليه وسلم بعمه أبي طالب. وقد بين الله جلَّ وعلا أن عطف ذلك العم الكافر على نبيه صلى الله عليه وسلم من منن الله عليه. قال تعالى: "أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى". أي آواك بأن ضمك إلى عمك أبي طالب. وقد نفع الله بتلك العصبية النسبية شعيباً عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام كما قال تعالى عن قومه: "قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ". ونفع الله بها نبيه صالحاً أيضاً عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام. كما أشار تعالى لذلك بقوله: "قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِاللهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ". فقد دلت الآية على أنهم يخافون من أولياء صالح ، ولذلك لم يفكروا أن يفعلوا به سوءً إلا ليلاً خفية. وقد عزموا أنهم إن فعلوا به ذلك أنكروا وحلفوا لأوليائه أنهم ما حضروا ما وقع بصالح خوفاً منهم. ولما كان لوط عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام لا عصبة له في قومه ظهر فيه أثر ذلك حتى قال: "لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوي إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ".اهـ. ومن الضروري أن تكون هذه الوحدة القبلية دائرة في فلك الوحدة الإسلامية الكبرى ومغذية لها ، وعند أي تعارض بين الوحدتين تقدم الوحدة الكبرى ومصالحها على الوحدة الصغرى ، ولعل تحقيق هذه الوحدة القبلية الصغرى بهذا الفهم من الأسباب التي لأجلها أمر الإسلام بصِلة الأرحام وقد كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يصل ذوي رحمه وأقاربه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم ، وقد جعل الإسلام كثيراً من الأحكام تتعلق بالعشيرة مثل الميراث والعقل وغيرها. ومما يجب على المسلم أن

يتجنب من سلبيات القبلية التفاخر بالأنساب فقد قال النبي: "لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم أو ليكونن أحقر عند الله من الجُعلان". وفي تصفّح لذاكرة التأريخ – لا سيّما عصر صدر الإسلام ، وخصوصاً مع سيّد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم – نجد أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أرفعَ الناس قد تزوّج بزينب بنت جحش بعد مولاه زيد ، بل هو الذي زوّجها بزيد من قبل رغم أنها قرشيّة وأمها هاشميّة ، وأشار النبي لفاطمة بنت قيس القرشيّة أن تقبل بنكاح أسامة بن زيد الذي قد استفاض أنه وأباه من الموالي ولا أحد أنصح لفاطمة من رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وفي الحديث: «يا بني بياضة أنْكِحُوا أبا هندٍ وأنْكِحُوا إليه». رواه أبو داود. وأبو هند كان حجّاماً وبنو بياضة أسرة من أسر الأنصار وهم أزديّون من أشرفِ العرب).هـ.)

أم الفتـــــى خيـــــرٌ رؤىً ومُيـــــولا ... إذ كمّلـــــتْ معروفهـــــا تكمـــــيلا

ضـــمَّت - إلـــى الحِـــب - الحبيبـــة تبتغـــي ... عنـــــد الجليـــــل مثوبـــــة وقبـــــولا

لـــــم تـــــرض إلا بـــــالزواج لعاشـــــق ... حتـــى يُقـــيم - علـــى الغـــرام - دلـــيلا

لمـــــا رأت لهفـــــى يطيـــــر صـــــوابُها ... وفؤادُهـــــا يســـــتقبل البُهلـــــولا

قـــرأتْ علـــى الفـــور المســـائلَ وحـــدها ... ثـــم انبـــرتْ تســـتقرئُ المجهـــولا

قالـــت: أزوّج مـــن يـــداعبها الهـــوى ... أنـــا لســـتُ أرجـــو بـــالزواج بـــديلا

وأمـــدُّ كفـــاً - بالعطـــاء - رضـــيّة ... لتكـــون - فـــي بَســـط الجمائـــل - طـــولى

مـــا ضـــرّني أن قيـــل: أرخصـــتِ ابنـــة ... كانـــت تُـــرى بـــين البنـــات الأولـــى

مـــا فـــتّ - فـــي عضُـــدي - تطـــاولُ حاقـــدٍ ... أن قـــال: عقلـــي قـــد غـــدا مخبـــولا

مـــا عـــاقني عمـــا نويـــتُ مُخـــذّلٌ ... أمســـى يُخـــذل همتـــي تخـــذيلا

مـــا ردنـــي عمـــا عزمـــتُ مجـــادلٌ ... يزجـــي الهـــراءَ ، ويقـــذف التضـــليلا

بوركـــتِ يـــا أم الفتـــى مِـــن فـــذةٍ ... قـــد نفـــذتْ مـــا وافـــق التنـــزيلا

يـــا رب باركْهـــا ، وأعظـــمْ أجرهـــا ... واجـــز الكريمـــة بالجميـــل جمـــيلا

بورك فيك يا شوقي

(كان أحد الفقراء يسكن بيت (شوقي) ، وابتلي الساكن في ماله للحدّ الذي تصدق فيه عليه الآخرون بإيجار البيت. فلما عاد شوقي (صاحب البيت) رد الإيجار قائلاً: (ليسوا بأولى مني بالأجر والثواب. خُذ المال فإنه لك). وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله: "من ستر مسلماً ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة ، ومن نفس عن مؤمن كربةً من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسرٍ يسر الله تعالى حسابه". أخرجه البخاري ، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه ، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء. قال الإمام النووي: في هذا فضل إعانة المسلم ، وتفريج الكرب عنه ، وستر زلاته ، ويدخل في كشف الكربة وتفريجها من أزالها بماله أو جاهه أو مساعدته ، والظاهر أنه يدخل فيه من أزالها بإشارته ورأيه ودلالته. قال الإمام النووي: (وأما الستر المندوب إليه هنا فالمراد به الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس هو معروفاً بالأذى والفساد ، والستر على هذا يطمعه في الإيذاء والفساد وانتهاك الحرمات وجسارة غيره على مثل فعله هذا كله في ستر معصية وقعت وانقضت ، أما معصية رآه عليها وهو بعد متلبس بها ، فتجب المبادرة بإنكارها عليه.) ولما علمت بما كان من الأخ شوقي ذلك المتصدق الكريم الذي رد المال عندما علم بيقين أنه من أيادي المحسنين قائلاً: ليسوا بأولى مني بالأجر ، كما أنني لست الذي يزهد في أجر يسوقه الله لعبده! وما ارتضى لنفسه إلا مقام اليد العليا مثل الذين تصدقوا على المستأجر الفقير! ونسأل الله القبول لكل الأعمال الصالحة من كل موحد!)

إنـــي لأكـــرَمُ ممـــن جـــاء محتســـبا ... فخـــذ نقـــودك ، إنـــي أنشـــد القرَبـــا

جـــزى المليـــك الألـــي جـــادوا ومـــا بخلـــوا ... وفـــرّج الله عنـــك الضـــيق والكُرُبـــا

فـــانظر لحكـــم إلـــه النـــاس محتفيـــاً ... وادحـــر شـــكوكك والوســـواس والريبـــا

مـــن ذا رأيـــت بـــذي الـــدنيا بـــلا محـــن؟ ... كـــل يُعـــاني الـــبلا - يـــا صـــاح - والنّوبـــا

فقـــد يكـــون الـــبلا فـــي المـــال يَكنـــزهُ ... عبـــدٌ يضِـــنّ بـــه ، لـــم يـــأت مـــا وجبـــا

فلـــم يُـــزكِ ، ولـــم يجُـــدْ بعارفـــةٍ ... علـــى فقيـــر ، لـــذا فالمـــال قـــد ذهبـــا

وقـــد يكـــون الـــبلا فـــي ابـــن وصـــاحبةٍ ... لفقـــد أيٍّ يُقاســـي الثاكـــلُ النصـــبا

وقـــد يكـــون الـــبلا فـــي الـــدار قـــد رُفعـــتْ ... وبعـــدُ صـــارت ركامـــاً بَلقعـــاً خربـــا

وقـــد يكـــون الـــبلا فـــي الـــدِّين صـــاحبه ... إلـــى الضـــلالة مـــن بعـــد الهُـــدى انقلبـــا

وكسْـــرُ ديـــن الفتـــى لا شـــيء يَجبـــره لأنـــه عـــن جميـــع الخيـــر قـــد حُجبـــا

فـــاظفر بـــدينك ، أنـــتَ اليـــوم فـــي سَـــعةٍ وســـوف تمحـــق فقـــر الحـــال والودبـــا

ومـــن تكـــن فـــي ذهـــاب المـــال محنتَـــه فـــإن للصـــبر فـــي النهايـــة الغلبـــا

فعلـــل الـــنفس بالتصـــبير وارج لهـــا تقـــوى المليـــك وعـــش للأجـــر مرتقبـــا

وخـــذ جميـــعَ الـــذي أعطـــوك ، أنـــت بـــه أولـــى ، وأســـعدْ بـــه أولادك النجَبـــا

تبديدٌ متعنت!

(كان يأتمنه على ماله. فاعتاد أن يبعث بماله لهذا الرجل ليصنع مستقبلاً لأولاده الذين لم يكونوا غرباء عن الثاني. فإذا به يبدد المال ، فلما عاتبه الأول تلجلج واحتج بأنه لم يبدد. فكانت مغالطة. جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة فقال: "إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ، قال: وكيف إضاعتها؟ قال: إذا وسّد الأمرُ إلى غير أهله فانتظر الساعة". [البخاري]. وقال صلى الله عليه وسلم: "لا إيمان لمن لا أمانة له! ولا دين لمن لا عهد له". [صحيح]. قال أبو ذر: يا رسول الله: ألا تستعملني ـ يعني ألا تجعلني والياً أو أميراً أو رئيساً لك على إحدى المدن ـ قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال: "يا أبا ذر إنك ضعيف ، وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خِزي وندامة ، إلا من أخذها بحقها ، وأدى الذي عليه فيها".[مسلم]. فكتبت من الوافر!)

يقـــول النـــاس أنـــي اليـــومَ مِحجـــاجُ ... ولـــي ـ مـــن دقـــة البرهـــان ـ مِعـــراجُ

فضـــمّد مـــا تـــداعى مـــن علاقتنـــا ... فبـــئس علاقـــة تُـــردي ومِنهـــاج!

بهـــا ضـــاعت كرامـــاتٌ وأحـــلامٌ ... وآمـــــــــــــــــــــالٌ وأولادٌ وأزواج

وفيـــك خُـــدِعتُ ، والـــرحمنُ مُطلـــعٌ! ... كمـــا خُـــدعتْ مـــن الخـــلان أفـــواج

أتلعـــبُ بـــي؟ أتطعـــن ودّ صـــحبتنا؟ ... وهـــل مثلـــي لـــه رِقٌ وإحـــراج؟

أتهـــزأ بـــي ـ أمـــام النـــاس ـ دون حيـــا؟ ... وهـــل يأتيـــك ـ ممـــا قلـــت ـ إبهـــاج؟

أتطعـــن عِـــرض مُعتـــز بشـــرعته؟ ... وهـــل تبقـــى ـ مـــع الإذلال ـ أوشـــاج؟

فحاســـبْ نفســـك العجلـــى ، وكـــنْ فطنـــاً ... وأنـــتَ ـ إلـــى حســـاب الـــنفس ـ مُحتـــاج

فقـــد أشـــعلت نيرانـــاً تُحَرّقنـــا ... لهـــا فـــي البيـــت أشـــواظَ وتأجـــاج؟

وكـــم بـــدّدت أمـــوالاً شـــقيتُ بهـــا! ... وأنـــت تقـــول: إنـــي ـ اليـــوم ـ مِحجـــاج

ألا إنـــي لفـــي شـــكٍ يُمزقنـــي ... ويخنقنـــي ـ إذا فكـــرتُ ـ إنشـــاج

لمـــاذا اختـــرتُ ذل العـــيش بيـــنكمُ؟ ... ألـــمْ تـــكُ تفـــتحُ الأحضـــانَ (ســـوهاج)؟

أتمثيليـــــةٌ هـــــذي مُدبلجـــــةٌ ... لهـــا نـــصٌ وتمثيـــلٌ وإخـــراج؟

تعنـــتْ كيـــف شِـــئت ، فلـــن أعـــود لكـــم ... فعطـــرُ فراقنـــا – واللهِ ـ مِئـــراج

تجديد

(كان شاعراً يحافظ على جمال الشعر واللغة. ثم انزلق إلى هاوية اللاشعر المتفلت. فلما سُئل قال بكل سهولة ومكر واستهتار: تجديد. فأنشدت له من شعري على البحر المتقارب وقافية الضاد. ورحت أقرّع هذه اللهجة وأناشده العودة إلى الشعر الأصيل ، كما كان ينشد من ذي قبل. وكما تعوّدنا أن نسمع منه. إن الشاعر الأصيل ذا المبدأ قلباً وقالباً لا يمكن أن يتلون أو ينقلب بسهولة. وإن كانت منه هنة ، فإنه يرجع إلى ما كان عليه من قيم وأصول ومبادئ! وهذا النوع من الشعراء لا تتغير قيمه كما لا يتغير قالبه الشعري. ولا يتعلل بالتجديد المزعوم. وقد تكلمنا من قبل عن الهراء الذي يسمونه زوراً وبهتاناً بالشعر الحر وتفعيلة الشعر ، ولا نريد أن نكرر الكلام.)

أراكَ تشـــــوه حُسْـــــنَ القـــــريضْ ... بهـــــذا الهُـــــراء الســـــقيم البغـــــيضْ

وتفتعـــــل الـــــردّ فـــــي خفـــــةٍ ... لتفجعنـــــا بـــــالجواب المـــــريض

وتُشـــــعل حربـــــاً علـــــى ضـــــادنا ... وســـــيفُك ـ فـــــي الكيـــــد ـ مـــــاضِ عَضـــــوض

ألـــــم تـــــكُ تُنشـــــد مسترشـــــداً ... بعلـــــم القـــــوافي وعلـــــم العَـــــروض؟

وعشـــــتَ تصُـــــد هجـــــوم العِـــــدا ... علـــــى الشـــــعر كالناقـــــد المســـــتفيض؟

وكنـــــت تنـــــافح مســـــتلهماً ... مـــــن الضـــــاد يـــــا صـــــاح أنقـــــى ومـــــيض؟

فمـــــاذا جـــــرى لـــــك يـــــا صـــــاحبي ... لتصـــــبح محـــــتفلاً بـــــالنقيض؟

لمـــــاذا انحـــــدرتَ؟ ومِـــــن أجـــــل مَـــــن؟ ... وكيـــــف اســـــتبحت جـــــلالَ القـــــريض؟

لمـــــاذا تُفضِّـــــل هـــــذا الهُـــــرا؟ ... أبعـــــد الســـــمو ارتضـــــيتَ الحضـــــض؟

وبعـــــدُ تجـــــادل مســـــتنكفاً ... وتـــــرجم مَـــــن قـــــال لا بالقضـــــيض؟

فمـــــاذا أصـــــابك حتـــــى تـــــرى ... شـــــهيَ الحليـــــب كمثـــــل الخضِـــــيض؟

تقـــــول: أجـــــدّد ترنيمتـــــي ... ورِّبـــــك هـــــذا كـــــلامٌ مَهـــــيض

فقـــــم مِـــــن سُـــــباتك يـــــا غـــــافلاً ... فمِـــــن هزلـــــك اليـــــوم حـــــان النهـــــوض

وإن الحفـــــاظ علـــــى ضـــــادِنا ... أراه تحـــــتَّم مثـــــلَ الفـــــروض

من أتون ترجمة الوهم

(زوج ابنه من صعلوكة ساقطة لا دين ولا دنيا! وذلك بناء على طلب الابن الهازل الذي لم يكن يختلف عن زوجته. وتوهّم الأب أنه يمكن أن يصنع منها صالحة تقية تعمل بدين الله تعالى. فكانت ترجمة الوهم منها السب واللعن والفحش والبذاءة. فدفع الثمن من دمه وأعصابه ودموعه. فقمت بترجمة ذلك الوهم شعراً ليكون عِظة وعبرة لكل أب يفعل مثل هذا. إن دور الأب في مثل هذه المناسبات والظروف أن يأخذ موقفاً ، ويجعل ذلك الموقف في الله تعالى! حتى إذا ما وضعت الحرب أوزارها وأسفر الفجر عن صباح كان الأب قد أدى رسالته! أما أن يجاري ابنه في الباطل فلا ينصح له فهذا ما يتنافى صارخاً مع الأبوة الحقيقية. وإنني لأهمس في آذان الأبناء أن ينتصتوا لوصايا الآباء عندما يكونون حكماء! ذلك أن الآباء يرون بخبرة الحياة ما لا يراه الأبناء وأقرانهم! أما مبدأ التسرع والتهور واتخاذ القرارات العشوائية دون دراسة أو تمحيص فالأبناء وحدهم هم الذين يدفعون الثمن! ويكتشفون بعد حين أنهم لعبوا بالنار فاحترقوا وأضاعوا فترة من عمرهم!)

رِدِ المهالـــــكَ أشـــــكالاً وأنواعـــــا ... وحُـــز مِـــن الـــوهم أســـقاماً وأوجاعـــا

واجتـــرّ وهمَـــك فـــي ســـر ، وفـــي علـــن ... أنـــتَ الـــذي بـــالهوى زوّرت أوضـــاعا

أنـــت الـــذي اخترتهـــا ، وشِـــدْت عِزتهـــا ... وصِـــرت تُقنـــع مَـــن قـــلاك إقناعـــا

وكنـــت تنشـــد طينـــاً ســـوف تملكـــه ... عمّـــا قريـــب ، فـــردّ الـــوهمُ طماعـــا

وكنـــتَ تفتـــرضُ الصـــلاح يغمرهـــا ... خـــاب افتراضـــك ، والتخمـــينُ قـــد ضـــاعا

وكنـــت تبصـــر بـــالعيون كالحـــة ... ورغـــم ذلـــك مـــا أقلعـــت إقلاعـــا

خـــدعت قومـــك ، والحمقـــاءُ قـــد خـــدَعتْ ... وبعـــدُ خادعتمـــا أهـــلاً وأتباعـــا

مـــاذا عليـــك لـــو أن صـــارحت محتســـباً؟ ... كـــيلا تكـــون بمـــا زيّفـــت خـــداعا

ذقْ مُـــرّ ســـعيك ، والأيـــامُ ماضـــية ... وعـــانِ - بـــين الـــورى - حُزنـــاً وأوجاعـــا

واذرفْ دمـــوع الأســـى أنـــت الحَـــريّ بهـــا ... ودمـــعُ وهْمـــك - أمســـى اليـــوم - همّاعـــا

وادعُ المليـــك ، وحوقـــلْ ، عـــلّ حوقلـــة ... تُجيـــر مُكتئـــبَ الفـــؤاد مُلتاعـــا

ومَـــن فتنـــت بهـــا ربـــي ســـيهزمها ... حتـــى تـــردّ لهـــا مِـــن فِعلهـــا صـــاعا

يومـــاً ستنقشِـــعُ الأوهـــام صـــاغرة ... تتـــرجم الـــوهم - بعـــد الـــوهم - إمراعـــا

ترنيمة تتلو ترنيمة

(لقد كانت الترنيمة في أول عهدها همسة شعرية مجتزأة ، ثم تطورتْ إلى قصيد طويل يحكي ما كان من شأن الترنيمة وما أعقبها من تداعيات وأحداث! وكم كلفتني هذه الترنيمة في أول عهدها! وكم عانيت في سبيل تنميتها والسمو بها لتكون إيجابية تحيا بين الأحياء ، وترسم صورة لصاحبها ليواجه الحياة بها! إنها الرجولة في مواجهة المواقف ، وصدق الله: (من المؤمنين رجال)! (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى)! (....يُسبّح له فيها بالغدو والآصال رجال)! وصدق الدكتور الحوالي وهو يعرّف للرجولة في إحدى محاضراته إذ يقول: (للرجولة في القرآن وصف آخر فيه زيادة على مجرد الذكورة ؛ فالله تبارك وتعالى بدأ بأنبيائه في هذا المنصب ، فقال: (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ) والله تبارك وتعالى أرسل رجالاً مواقفهم الرجولية واضحة لمواجهة الفساد ، والشرك ، والطغيان ، والانحراف والجور ، والظلم وكل ما من شأنه أن يخدش أمراً مما أنزله الله ، ولذلك كانت تلك المواقف البطولية ، التي لا يقفها إلا أعظم الرجال وأقواهم وأشجعهم: مثل وقوف إبراهيم الخليل عليه السلام أمام النمرود ، ووقوف موسى عليه السلام أمام فرعون ، ووقوف نوح عليه السلام أمام أمةٍ عاتيةٍ ماكرةٍ ألف سنة إلا خمسين عاماً ، ووقوف هود عليه السلام أمام أمةٍ مستكبرةٍ متجبرةٍ يبنون بكل ريع آية يعبثون ، وإذا بطشوا ؛ بطشوا جبارين ، كما أخبر الله عنهم حكاية عن نبيه هود عليه السلام ، وكل الأمم لا يقف لدعوتها ويتصدى لجبروتها إلا رجال. وإن أعظم هؤلاء الرجال هو خيرة الله ومصطفاه من خلقه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولو استعرضنا المواقف الرجولية لانقضى العمر كله ، وما زلنا نتحدث عن موقف واحدٍ من مواقفه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! يكفيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مواقف الرجولة أن يقف وحده ، والناس كلهم قاموا ضده ، وأن يدعو إلى الله ويحطم الأصنام جميعاً ، ترتجف قلوب ملوك الروم والفرس منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولم يجف مداد صلح الروم بعد! كما ثبت ذلك في الصحيح وفي قصة هرقل. أية رجولة هذه التي عُلِّمَها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ربه ، وخَلَقَه وَجَبَلَه عليها ، ثم عَلَّمها أصحابه من بعده صلوات الله عليه وعليهم أجمعين؟! أية رجولة أعظم من قيامه على الصفا لينذر عشيرته الأقربين؟! ثم ذلك الموقف الشجاع الذي وقفه في هجرته).هـ. وإذن فهي الرجولة التي تصنعها المواقف وتزيدها صلابة وشجاعة.)

ترنيمـــــــــــــة الحـــــــــــــب الضـــــــــــــحوك علـــــــــــــى فمـــــــــــــي

طيـــــــــــــفٌ يُـــــــــــــداعبُ شـــــــــــــوقَ قلبـــــــــــــي المُغـــــــــــــرم

وأريجُهـــــــــــــا كالشـــــــــــــعر يســـــــــــــري فـــــــــــــي دمـــــــــــــي

ونســـــــــــــيمُها مثـــــــــــــلُ الصـــــــــــــدى المُتـــــــــــــنغم

ورضـــــــــــــابُها كالرشـــــــــــــد للعقـــــــــــــل الظمـــــــــــــي

وشـــــــــــــعورُها كالـــــــــــــدُر يُقـــــــــــــري مِرقمـــــــــــــي

وظلالها فـــي واحتـــي كـــالأنجُم

ترنيمـــة فـــي عـــالم متدمـــدم

تهـــدي القـــريض لشـــاعر متـــألم

وتقـــوده نحـــو المَعـــين المُكْـــرم

وتشـــد عـــزم كِيانـــه المتلـــوم

وتقـــيم هِمّـــة عبقـــري ضـــيغم

وتجـــرّع العُـــذال كـــأس العلقـــم

وتقـــول شـــعراً مُســـتبين المَعْلـــم

ترنيمـــة فـــي كـــل خيـــر تســـتمي

طرقـــتْ شِـــغاف القلـــب بعـــد تـــوهم

وتعطـــرتْ بالصـــبر لـــم تـــتجمجم

وتشـــوقتْ للنـــور ، لـــم تـــتظلم

وتناولـــتْ قلبـــي بِعِشـــق المســـلم

رســـمتْ أمـــامي الـــدربَ لـــم تتكـــتم

نفحـــتْ فـــؤادي بـــالغرام الحَضـــرمي

فـــإذا الفـــؤادُ كمـــا الهَـــزار الأفخـــم

تصابى الكهولُ ، ومات الصبآ

(إنْ عاش المرء في سِنه ، وأتى ما يليق به ، وانتهى عن الذي لا يليق به ، تكن مَكرُمة له ومَنقبة بين الخلائق. ولكنْ عندما يتصابى ويغشى الحرام ، فإن الحياء يموت فيه. ولقد نسي نفسه ذلك الأشيبُ الذي فاق الثمانين ، فراح ينحدر ويمارس التصابي الوقح ، ويراود فتاة عن نفسها مستغلاً أنها تخدمه وله زوجان! إن تصابيَه في هذه الحالة لعنة قتلتْ فيه الحياء والخوف من الله! وكنت أتصور أن الشيب يزجره فما زجره! فقلت: فالموت يردعُه فما ردعَه! وذلك بسبب تصابيه!)

تمـــــرّق - فـــــوق الأديـــــم - الإبـــــا ... وقـــــد أوشـــــك البـــــرّ أن يهربـــــا

فكـــــم وأدَ الحـــــبُ أشـــــواقه ... وفـــــاض الجـــــوى ، فغـــــدا صَـــــيّبا!

وهـــــاجَ الغـــــرامُ ، فعـــــجّ الصـــــفا ... وأصـــــبح - فـــــوق الثـــــرى - عقربـــــا

ومـــــات الهُيـــــامُ صـــــريعَ الخنـــــا ... وأضـــــحى علـــــى أرضـــــنا مُجـــــدبا

وعربـــــدَ - بـــــين الأنـــــام - الفنـــــا ... جَـــــزاءَ الزنـــــا ولِقـــــاء الربـــــا

وطاشـــــتْ مـــــوازينُ مَـــــن أعرضـــــوا ... تصـــــابى الكهـــــولُ ، ومـــــات الصـــــبا

وبنـــــتٌ علـــــى وجههـــــا شـــــامة ... وبـــــين البرايـــــا غـــــدتْ كوكبـــــا

تنـــــاغِي نعومـــــة أظفارهـــــا ... وإن لهـــــا - فـــــي الـــــورى - مأربـــــا

ووغـــــدٌ تعقـــــب خطواتهـــــا ... يُراودهـــــا لتُـــــرَى ثيّبـــــا

يفـــــوقُ الثمـــــانين قـــــيسُ الهـــــوى ... ويُمســـــي بمـــــا يَشـــــتهي مُعجبـــــا

لـــــه زوجتـــــان ، ولا يكتفـــــي ... ولـــــم يـــــكُ بينهمـــــا مُغضـــــبا

ألا قـــــد كفـــــاكَ ، فكـــــن راشـــــداً ... فنجمُـــــك - بـــــين الأنـــــام - خبـــــا

رفاقـــــك فـــــي القبـــــر قـــــد جُنـــــدلوا ... ويأتيـــــك أمـــــرُ القضـــــا مُعتبـــــا

فأحســـــنْ ، ولا تـــــكُ مســـــتلئماً ... يـــــراك المليـــــكُ ، فكـــــن طيبـــــا

وموتُـــــك أمســـــى وشـــــيك الصـــــدى ... فـــــلا تـــــكُ للعـــــيش مُســـــتعذبا

تصويب (لقصيدة الشابي: إذا الشعب)

(عندما يجعل شاعر صدر قصيدته إخضاع القدر للشعب تكون طامة كبرى! وطامة أكبر منها أن يردد الناس بجهل منهم: (إذا الشعب يوماً أراد الحيا ة فلا بد أن يستجيبَ القدرْ)! ومن ذا الذي يقهر القدر من البشر على أن يستجيب أو لا يستجيب؟ وقائل: (سخرية الأقدار) وقائل: (قدرٌ أحمق الخطا) وقائل: (لا حسلم بالمكتوب ، ولا حرضى أبات مغلوب!) ولكنني تأثرت أكثر بزلة الشابي أبي القاسم ، وأردت أن أصوّب له ما أراد. لأنها كارثة تحتاج إلى تقويم وتصويب. وذلك حتى يكون الشعب وإرادته والناس أجمعين خاضعين لقدر الله ومن هنا أصوب.)

(إذا الشـــــعبُ يومـــــاً أراد الحيـــــاة) ، وآمـــــن بالخـــــالق المقتـــــدرْ

وحقـــــقَ أســـــباب مـــــا يشتهيـــــهِ ، وسَـــــلّم طوعـــــاً لأمـــــر القـــــدر

ســـــيُدرك فـــــي ذي الـــــدنا المبتغـــــي وبـــــين الأنـــــام سيقضـــــي الـــــوطر

ويُصـــــبح قـــــدوة كـــــل الـــــورى وكـــــل الشـــــعوب بـــــه تفتخـــــر

ويهـــــزم بالـــــدين أعـــــداءه وإمـــــا قلـــــى الـــــدينَ لا ينتصـــــر

وكـــــل القيـــــود سيكســـــرها ويحيـــــا يـــــؤازر خيـــــر البشـــــر

إلا إنهـــــا سُـــــنـنٌ رتبـــــتْ فهـــــل مـــــن بصـــــير بهـــــا يَعتبـــــر؟

ســـــيُدركها مَـــــن تأملهـــــا وأرجـــــعَ فيمـــــا حوتـــــه النظـــــر

ولا لـــــن يـــــرى مـــــن فطـــــور بهـــــا ســـــينقلب البصـــــرُ المنحســـــر

جـــــرت سُـــــنة الله فـــــي خلقـــــهِ ودربُ الحيـــــاة بهـــــا مســـــتمر

فمـــــن جـــــدّ فـــــي العـــــيش نـــــال المُنـــــى ومَـــــن لـــــم يجـــــدّ إذن ينـــــدثر

ولـــــيس القضـــــاءُ لنـــــا خاضـــــعاً وهـــــل مســـــلمٌ مـــــن تحـــــدّى القـــــدر؟

ومـــــا خطـــــه الله يومـــــاً لنـــــا ســـــندركه فـــــي زوايـــــا العُمُـــــر

ومـــــا لـــــم يَخـــــط فلـــــيسَ لنـــــا! ألـــــيس لنـــــا الآن مـــــن مزدجـــــر؟

تغريدة في هجير الضياع

(حاولتْ أن تنتشلَ زوجَها من قاع الرذيلة وشلة الوهم والضياع. ولكن بعد فوات الأوان. فكتبتُ على لسانها وهي تنصح لزوجها بالمعروف والحسنى ، وتناشده العودة إلى عش الزوجية الوارف الظلال! وهذه اليمنية فاطمة حسن (85 عامًا) رفضت الزواج منذ أن كان عمرها 15 عامًا ؛ لكونها تزوجت باليمني سعيد أحمد من أهالي مدينة الحُدَيدة - غربي اليمن ، وعاشت معه يومًا واحدًا فقط ؛ لينتقل بعد ذلك إلى ربه بسبب غرقه في البحر وهي برفقته قبل 70 عامًا. ونقلت صحيفة الرأي الكويتية ، عن فاطمة: أنها رفضت كل العُروض للزواج بها وفاءً لوعدٍ قطعته على نفسها أمام عريسها قبل أن ينزل للسباحة بنصف الساعة ، وقبل أن يبتلعه البحر. وأضافت فاطمة أن البحر كان هائجاً ، وأنه قال لها سأنزل أسبح ، لكنها رفضت ذلك وقالت له البحر ليس مستقراً ، فرد عليها أنا متعود. ثم أضاف قائلاً لها مازحاً: أهم شيء تعديني أن لا تتزوجي من بعدي إن ابتلعني البحر ، فقالت له: والله لا ولن أتزوج من بعدك حتى لو تركتني أنت وطلقتني. والحقيقة أنها كانت جادة بكل ما تحمله الكلمة من معان! ومحال أن يكون مثل هذا في زماننا! وبقطع النظر عن جواز ذلك ، لكنها وفت وبقيت بلا زواج وفاء لزوجها!)

رُوْحِـــي الفِـــدَاءُ ، فَعُـــدْ لَنَـــا يـــامَوْئِلِي ... وَكَفَـــى نُـــزُولاً لِلْحَضِـــيضِ الأَسْـــفَلِ

أَقْصِـــرْ ، فَنِصْـــفُ العُمْـــرِ وَلّـــى مُـــدْبِرًا ... إِنَّ اتِّبَـــاعَ الشَّـــرْعِ أَمْنَـــعُ مَعْقِـــلِ

دَعْ عَنْـــكَ مَـــا فَرَّطْـــتَ فِـــي تَطْبِيقِـــهِ ... مِـــنْ أَمْـــرِ رَبِّـــكَ فِـــي الزَّمَـــانِ الأَوَّلِ

وَدَعِ النّـــدَامَى وَالسُّـــكَارَى والهَـــوَى ... وَاحْمِـــلْ كَلامِـــي اليـــوْمَ أَجْمَـــلَ مَحْمَـــلِ

إِنَّ النّصِـــيحَةَ دَيـــدَنِي وَطَبِيعَتِـــي ... فَاسْـــمَعْ هُـــدِيتَ نَصِـــيحَتِي ، وَتَأَمَّـــلِ

إِنَّ الرِّفَـــاقَ عَلَـــى ضَـــيَاعِكَ أَجْمَعُـــوا ... لِيكُـــوْنَ عَيشُـــكَ مِثْـــلَ لَيـــلٍ أَلْيـــلِ

لَيسُـــوا بِشَـــيءٍ كَـــي نَقُـــوْلَ: عَلَـــى الهُـــدَى ... بَـــلْ شـــلّةٌ فَجَـــرَتْ ، وَأَخْبَـــثُ جَحْفَـــلِ

وَحَيـــاتُهُم كَـــأسٌ يلِيـــهِ مُخَـــدِّرٌ ... وَزِنًـــا يَـــرُوْجُ ، وَفِتْنَـــةٌ لا تَنْجَلِـــي

زَوْجِـــي الحَبِيـــب ألا انْتَبِـــهْ لِشَـــقَائِهِم ... فَلَكَـــمْ طَعِنْـــتَ مِـــنَ العِـــدَا فِـــي مَقْتَـــلِ!

حَتَّـــى مَتَـــى كَيـــدٌ يـــرُوْحُ وَيغْتَـــدِي؟ ... وَإِلَـــى مَتَـــى حِيـــلٌ عَلَينَـــا تَنْطَلِـــي؟

أَعَجِـــزْتَ أَنْ تَحْيـــا تَقِيًّـــا مُؤمِنًـــاً ... يهْفُـــو إِلَـــى الجَنّـــاتِ أَكْـــرَمِ مَنْـــزِلِ؟

فَاعْمَـــلْ لَهَـــا لِتَكُـــوْنَ مِـــنْ أَصْـــحَابِهَا ... وَالأَمْـــرُ لَـــيسَ إِذَا اعْتَبَـــرْتَ بِمُعْضِـــلِ

تَغْرِيـــدَتِي هَـــذِي بِدَايـــةُ سَـــعْدِنَا ... وَهَـــي السَّـــبِيل لِنُصْـــرَةِ المُسْـــتَقْبَلِ

هِـــي ظَلّـــةٌ تَمْحُـــو الهَجِيـــرَ ، فَجَازِهَـــا ... خَيـــرَ الجَـــزَا ، وَهِـــي الصَّـــبَاحُ المُنْجَلِـــي

لَفَـــحَ الضَّـــيَاعُ حَيَاتَنَـــا وَعِيالَنَـــا ... يـــا صَـــاحِ تُـــبْ ، وَعَلَـــى المَلِيـــكِ تَوَكّـــلِ

تقوى الله نعمة

(سائق سيارة عمومية هنا في (دبي) يَنزل راكبُه ويعطيه أجرته ، ويغفل عن إحدى حقائبه في السيارة وكان فيها ما قيمته: (120000 دولار). وهنا انتصر السائق على شيطانه ، وذهب بالحقيبة بما احتوت إلى الشرطة ، وهناك تسلمها صاحبها وكوفئ السائق وكُرّم! والحقيقة أن تقوى الله نعمة عظيمة يدركها فقط من أنعم الله عليه بها. وأن يرجع رجل من أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – (من عوام أمة الإسلام) مبلغاً كهذا لصاحبه خوفاً من عقاب الله ، شيء يفتخر به. وكان بمقدوره أن يأخذه كاملاً. وبخاصة إن علمنا أن الوصول إليه واسترداد المبلغ منه أمر يتعذر بنسبة مائة بالمئة. ولكن الخوف من الله يصنع الأعاجيب! وإن هذا السائق ليستحق أن أشيد بتقواه وخوفه من الله ، ولا أزكي على الله ربي أحداً. فجزاه الله خيراً ، وشكر له ما صنع ، وعامله بالإحسان إحساناً ، وأصلح شأنه وأحواله ، وأكثر من أمثاله.)

أراكَ بما صنعتَ فتىً هُماما ... بتقوى الله جُنبتَ الحراما

يمينَ الله قد أحسنتَ صُنعاً ... تحوز به - من الناس - احتراما

وصُنتَ أمانة تغري وتطغي ... وتذهب بالبصير إذا تعامى

وأغراك الغَرور فقلت: كلا ... وقلبُك عن معاصي الله صاما

وحدَّثك الهوى فنصرتَ زهداً ... وقمتَ بما انتصرت به قياما

وبالآمال كم أغوتك نفسٌ! ... فقلت لها: أخاف غداً أثاما

وبالأحلام غرتك الأماني ... وجمّلت المقاصد والمُراما

وكم غالى بقلبك حب دنيا! ... فكنت برفض ما غالى هُماما!

وقلتَ: أعيش محتسباً فقيراً ... عن الحُرُمات والسوآى تسامى

لأن الظلم مرتعُه وخيمٌ ... ويومَ الحشر سوف يُرى ظلاما

وليس يُعمّر المسروق دهراً ... ولن نلقى لمغصوب دواما

يزول مِن الخزائن بعد حين ... كمثل الشمس إذ تمحو الغماما

وليس تدومُ أموالٌ حلالٌ ... فكيف الحال إن كانت حراما؟!

هي التقوَى بضاعتنا ليوم ... به الأيدي سترتصد الكلاما

تقوى الله هي السعادة

(أقسم الأستاذ / أبو بكر الجزائري في شريط له عن الحجاب في الإسلام ، أنه شاهدَ شباباً في فرنسا لا يكاد يَبينُ عليهم أثرُ الآدمية. فلقد شاهد القُمّل على ملابسهم! كل واحدةٍ بحجم الذبابة. ومُخاط الأنف يسيل ، واللعابُ ينزل من الأفواه ، والوسخ يشملهم بقذره من أعلى ذؤابة الرأس إلى أخمص القدم. فسألهم: ما شأنكم يا قوم؟ فقالوا: نحن جرّبنا البحث عن السعادة في كل شيء ، والآن نجرّبه في الوسخ والقذارة. فمن قائل: لم أستحم منذ ثلاث سنوات. ومن قائل: لم أغيّر ملابسي منذ عامين. وغير ذلك الكثير من الآراء التي اسمتع إليها الأستاذ منهم. فسأل الأستاذ: فهل وجدتم السعادة؟ فقالوا: لا. والعجيب أنهم صرحاء. وأعلموه أنهم جرّبوا كل شيء ، واقترفوا كل الملذات ومارسوا كل السخافات والموبقات والشهوات من فجور ودعارة وخمر وميسر ولعب ولهو ومجون وانتحار بصور شتى. والحقيقة المُرة التي يجب أن يدركها هؤلاء وأشباههم من الباحثين عن سعادة الإنسان في هذه الحياة: أن السعادة الحقيقية هي تقوى الله. ويجب أن يعلم الكل أن حضارة الرجل الأبيض الغربية لا تثمن ولا تغني من جوع. ولو كان فيها من خير مثقال ذرّة لنفعتْ أهلها في ديارهم بتلك الذرة. وإن هذه الحضارة قد احتوت أسباب دمارها بداخلها. إنني أوقن أنها ستنزوي وتندثر يوماً ستموت لا محالة. وأعجب كيف يُفتن بها اليوم خلق كثيرون؟ يقول (شبنغلر): (إن دورة أية حضارة لا يمكن أن تتعدى الألف عام ، ومعنى ذلك أن الحضارة الغربية كانت قد بدأت مرحلة الأفول الروحي بدخولها مرحلة الركود والراحة المادية ، والتي أطلق عليها (بالمدنية) وهي المرحلة التي تسبق انهيار الحضارة وزوالها ، وبهذا فالحضارة هي العطاء والازدهار الروحي حيث تمر في دَوْرها الأول أما المدنية فهي مرحلة الشيخوخة والهرم وفقدان الحضارة مناعتها ومقوماتها الروحية وقيمها الأخلاقية).هـ. ويقول إدغار موران: «إن سيادة التكنولوجيا تدمّر اليوم كل خصوصية حضارية وبهذا فقد أنتج الغرب ، ولأول مرة في التاريخ ، مقومات فنائه بسبب الانحلال والضعف وبمعنى آخر بسبب (إرادة الهدم). حيث سببت المدنية الصناعية (اجتثاثاً حضارياً) هو رديف للمغامرة والموت».هـ. ومن هنا فلنعلم أن حضارة الإسلام عائدة! وتحت عنوان: (الأزمة الحضارية في عالمنا المعاصر) يصف محمد صادق الإبراهيمي دور الإسلام القادم بقوله ما نصه: (يقف المسلمون اليوم أمام فرصة تاريخية عظيمة ، لخوض التجربة الحضارية من جديد وذلك للأمور التالية: * الفراغ المعنوي السائد في العالم المتمدن ، وحاجته إلى الدعم الإنساني. * اشتمال العالم الإسلامي على أهم مكامن القوة وهي من قبيل: امتلاكه ثلثي احتياطي النفط في العالم ، وأن أكثر من خمس سكان العالم من المسلمين ، وأيضاً الموقع الاستراتيجي المهم ، والثروة الفكرية والروحية. * التذمر من الفساد الإداري والأخلاقي وشيوع الأنانية وغيرها وحاجة المجتمع البشري إلى الطمأنينة النفسية والاجتماعية. * الإقبال الشديد نحو الإسلام ، وخاصة من قبل المرأة المضطهدة التي تحولتْ في الحضارة المادية إلى أداة لهو ومتاجرة).هـ.)

كـــم لأجـــل الأهـــواء راحـــتْ ضـــحايا وارتضـــتْ مـــا لا ترتضـــيه المَطايـــا!

ســـبرتْ أغـــوارَ الشـــقاء فضـــلتْ واستســـاغتْ طعـــمَ الخنـــا والـــدنايا

واســـتكانت للمُغريـــات ، فغاصـــت فـــي خضـــمّ الســـوآى وتِيـــه الخطايـــا

واســـــتلذتْ بالموبقـــــات ، فضـــــاعت ثـــم قصّـــت مـــا قارفـــتْ مـــن بلايـــا

غرقـــتْ ـ فـــي بحـــر الملـــذات ـ طوعـــاً مـــــن خمـــــور ومَيْســـــر وصـــــبايا

ومُجـــــون مُستبشـــــع وانتحـــــار وانحطـــــاطٍ مســـــتجَن وبغايـــــا

و(أبـــو بكـــر) يســـألُ القـــوم سُـــؤلاً يســـتثيرُ مـــا فـــي النهـــى مـــن بقايـــا

فـــإذا بـــالأقوام ليســـوا بشـــيء إنمـــا للأهـــواء بـــاتوا ضـــحايا

لـــم يـــذوقوا طعـــم الســـعادة يومـــاً إنمـــا عـــانوْا مِـــن مَـــرار الرزايـــا

غـــرّهم مـــا قـــد مارســـوا مـــن فجـــور والأباطيـــلُ حـــولهم كالشـــظايا

والإشـــاعاتُ بـــالعقول اســـتبدتْ والـــرواة بـــاحوا بمُـــرّ الخبايـــا

فـــالغواةُ كـــم روّجـــوا كـــل دعـــر دون خـــوفِ الجبّـــار رب البرايـــا!

كـــم تمـــادَوْا فـــي الغـــي دون اكتـــراثٍ؟ واســـتباحوا الحـــرامَ ، بـــئس الخزايـــا!

لا يُعـــابون بعـــد كفـــر وشِـــركٍ ذاك عنـــدي مـــن واضـــحاتِ القضـــايا

إنمـــا أعنـــي إمّعـــاتِ ديـــاري مَـــن عَنـــاهم ربـــي بخيـــر الوصـــايا

أنْ أنيبـــوا لـــربكم ، واســـتقيموا واســـتمُوا فـــي أخلاقكـــم والنوايـــا

واســـتجيبوا لله كـــيلا تـــذوقوا بالمعاصـــي والفســـق طعـــم المنايـــا

عِبْـــرة مـــا قـــد حـــلّ بـــالغرب قطعـــاً إنّ للتقـــوى مُتعـــة فـــي الطوايـــا

إن تقـــوى الله الســـعادة صـــدقاً والمَـــلاذ مِـــن ضـــنكِكُم والشـــكايا

وأحَيّـــي مَـــن تـــاب بعـــد اعتبـــار فلـــه ـ مـــن قلبـــي ـ رطيـــبُ التحايـــا

ثـــم أهـــدي مَـــن تـــاب نُصـــحي ووعظـــي إنمـــا النصـــحُ مـــن أجَـــلّ الهـــدايا

بـــين أهـــل الحـــق التناصـــحُ فـــرْضٌ والأهـــالي – لبعضـــهم ـ كالمَرايـــا

تكفي دمعة

(سأل قائلاً: كيف أتوب؟ فأجيب: بابُ الله تعالى مفتوحٌ ، ويدُه سبحانه مبسوطة بالليل لتقبل مسيء النهار وهي مبسوطة بالنهار لتقبل مسيء الليل. فاندمْ واعزمْ والزمْ وتبْ! وتكفي دمعة بين يدي الله صادقة في جوف الليل البهيم! وكم سَطرتْ قصائد عن التوبة وفضلها والحض عليها ومُشيداً بالتائبين. لكنْ لهذي القصيدة من الوافر مذاقٌ خاص! قال ابن باز: (قد بيّن اللهُ في كتابه أنه سبحانه يقبل التوبة من عباده مهما تنوعتْ ذنوبُهم وكثرت ، كما قال تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ). أجمع العلماءُ أن هذه الآية في التائبين ، وقد أخبر فيها سبحانه أنه يغفر الذنوب جميعاً لهم ، إذا صدقوا في التوبة إليه بالندم ، والإقلاع عن الذنوب ، والعزم على أن لا يعودوا فيها ، فهذه هي التوبة. ونهاهم سبحانه عن القنوط من رحمته وهو اليأس مهما عظم الذنب! فرحمة الله أوسعُ وعفوه أعظم! قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ).هـ.)

ألا لـــــيس الجـــــدالُ بمستســـــاغ ... إذا مـــــا أينعـــــتْ حُجـــــجُ الـــــبلاغ

وبـــــابُ التـــــوب مفتـــــوحٌ ، فأقبـــــلْ ... ودعـــــكَ مِـــــن التبـــــرّم والـــــرواغ

ولا تســـــــــتكثر الأوزارَ يومـــــــــاً ... دُفعـــــت لهـــــا بـــــإغراء الطـــــواغي

فكـــــم مِـــــن فتنـــــةٍ بلغـــــت مـــــداها ... بُليـــــت بهـــــا بداعيـــــة الفـــــراغ!

وكـــــم مِـــــن مزلـــــق بلـــــواه عمّـــــتْ! ... وكنـــــت تظنـــــه عـــــفّ المَســـــاغ

وكـــــم مِـــــن زلـــــةٍ ســـــحرَتك حتـــــى ... ســـــبتْ عقـــــلاً تـــــوطن فـــــي الـــــدماغ!

وراهنـــــك الصِـــــحابُ علـــــى المعاصـــــي ... وعشـــــتم عيشـــــة الإبـــــل الرواغـــــي

وبعـــــضُ الصـــــحب للتقـــــوى دليـــــلٌ ... وبعـــــضُ الصـــــحب يلـــــدغ كـــــالوزاع

وبعـــــضُ الصـــــحب يـــــنهش كالأفـــــاعي ... ومـــــا هـــــذا الفريـــــقُ بمستســـــاغ

وبعـــــضُ الصـــــحب كالأسْـــــد الضـــــواري ... وفـــــي الفكـــــين أســـــنانٌ شـــــواغي!

لتلـــــتهم الضـــــحيّة بـــــافتراس ... وقانـــــا الله هجمـــــة كـــــل طـــــاغ

وجنبنـــــا المهـــــيمنُ مَـــــن تـــــردي ... وبصّـــــرنا بنِيّـــــة كـــــل بـــــاغ

فثُـــبْ يـــا صَـــاح ، واغتـــنم الوصـــايا ... وأصـــغ إلـــى الهُـــدى يـــا خيـــر صـــاغ!

تيسٌ غيورٌ شريف

(في موسم الأضاحي اشترى زيدٌ تيساً ، وأدخله حظيرة الغنم التي بها بعضُ العنزات معهن تيس آخر. فدارت معركة مُرة ضارية بين التيس المضيف والتيس الضيف. وما ذاك إلا غيرةً على العنزات المحترمات الزوجات الحشيمات! فهل عقلَ هذا الدرس الديوثون من بني آدم ، مَن يُدخلون الرجال الأجانب على نسائهم أو يسمحون لنسائهم وبناتهم بمخالطة الرجال والتبرج المستهتر والتهتك المسعور؟ أوليس عيباً على رجولة أحدهم أن يكون التيسُ أغيرَ على حشمه وحريمه منهم؟! وبمعنىً أوضح: ألا يستحيي أحدهم أن يكون التيس البهيم أشرف منه وهو يأبى أن يكون ديوثاً يسمح لتيس آخر أن يدخل عليه وعلى حريمه بدون استئذان ولا سابق إنذار؟! صدق الله: (بل هم أضل!) فليستفيقوا مما هم فيه من الديوثية التي رفضها الحيوان البهيم الأعجم!)

لستُ أدري ماذا يقول القريضُ ... والنقيضُ يطغى عليه النقيضُ؟

والنفوسُ: نفسٌ تغارُ ، وأخرى ... ليس فيها - من الإباء - وَميض!

والمعالي ليست تُباع وتُشترى ... ذا صحيحٌ ، وذا سقيمٌ مريض

ما تساوى عبدٌ عفيفٌ بنذل! ... ذا سموٌّ - صدقاً - وذاك حضيض

وانظروا للتيس الذي حلّ ضيفاً ... والمُضيفُ إكرامُه مُستفيض

فالنِطاحُ أولى التحايا احتراماً ... كل قرنٍ سيفٌ مُبيرٌ عَضوض

فليدافعْ ضيفٌ - عن النفس - فوراً ... إن خذلان النفس شيءٌ بغيض

أو يعيشُ - بين التيوس - ذليلاً ... حقه مهضومٌ مُضاعٌ مَهيض

لن يعيشَ وسط القطيع مُعافىً ... بل طريداً يحسو دماه البعوض

إذ تغار على النِعاج كباشٌ ... غيرةً - حقاً - ليس فيها غموض

إذ تغار على المِعاز تيوسٌ ... ولذا قلبُ الضيف قلبٌ مَضيض

ليت ديوثاً يستحي ، ثم يَخزى ... أن تيساً - حرباً ضروساً - يخوض!

ذائداً عن مَعيزه بقرون ... إنْ تهاوتْ بالرأس قد يستعيض!

تيسٌ يرثُ نعجة

(أراد ذلك الزوج الجاهل الديوث أن يُرجع إلى عصمة الزوجية امرأته التي طلقها الثالثة ولم تعد تحل له إلا من بعد زواجها من غيره. فإن طلقها الثاني بدون إكراه ولا تدليس أو مات عنها ، وأراد الأول أن يتزوجها فإنها تحل له. وهذا حكم الله وتلك شريعته. ولم يكن ذلك منه حباً وتعلقاً بها بل حباً وتعلقاً بأموالها التي يتوقع أنها ورثتها عن أبيها الذي مات بعد طلاقها البائن بينونة كبرى! ولكن على عادة الجهلاء المتنطعين المعْرضين المتعمدين مخالفة أمر النبي – صلى الله عليه وسلم – في التحذير من المُحَلل والمحلل له ولعْنهما ، إلا أن هذا الزوج قد أتى لزوجته (زمزم) بالتيس المستعار (المحلل) حتى يُحِل هذه النعجة أقصد زوجته التي قبلت رغم عِلمها بحُرمة ذلك ومخالفته للقرآن والسنة. وعُقد للتيس على النعجة. وعندما بنى بها إذا بها تموت عند الفجر موتاً طبيعياً مخلفة أموالاً طائلة وثروة كبيرة ورثتها عن أبيها. الأمر الذى أطمع فيها زوجها الأول والثاني. وآلت الأموالُ إليها. وحُرم زوجها الأول من كل شيء باعتباره أجنبي لا قرابة بينه وبينها ولا نسب. ودار الصراع الطاحن بين الرجلين هذا يقول: أنا أرثها ، وذلك يقول: أنا أرثها. وحكمتِ المحكمة للزوج الجديد باعتبار العقد ، ورفضتْ دعوى التحليل حيث إن العقد معتبرٌ مشهودٌ عليه. كما رفضتْ دعوى اتهام الزوج الجديد بقتلها ، حيث إنها قد ماتت موتاً طبيعياً لا دخل فيه لأحدٍ البتة! وهذا درسٌ عظيم للمُحَللين الديوثيين في كل مكان وزمان. ونعوذ بالله تعالى من مخالفته. ** يقول الله عز وجل: (الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ). والمعنى: أن الطلاق الذي تحصل به الرجعة بين الزوجين مرتان (واحدة بعد الأخرى). وإذن فحكم الله بعد كل طلقة هو إمساك المرأة بالمعروف وحسن عشرتها ، أو تخلية سبيلها وآداء حقوقها كاملة. وأما إذا طلق الرجل زوجته الطلقة الثالثة ، فلا تحل له إلا إذا تزوجت رجلاً غيره زواجاً صحيحاً عن رغبة ، لا بنية تحليل المرأة لزوجها الأول. ثم بعد ذلك إن طلقها الزوج الآخر أو مات عنها كما قلنا ، وقد انقضت عدتها يمكن أن يتزوجها زوجها الأول بعقد ومهر على أنها أجنبية عنه تماماً. وأما نظام الديوثية المعروف عند كثير من الناس اليوم ، فقد أسمى رسول الله صاحبه بالتيس المستعار بل ولعنه. ولمّا كان التيس في بداهة العقل لا ينكح إلا نعجة من فصيلته ، عنونتُ لقصيدتي بـ (تيسٌ يرث نعجة) وذلك أن التيس يرثها إذا ماتت عنه ، كما أنها ترثه إن مات عنها. فلا غرابة في العنوان المضحك المبكي. وأصبح التيس المستعار ـ الذي كانت أجْرته ثمانين جنيها – آلافاً مؤلفة من الجُنيهات! وأدلل على تسمية النبي – صلى الله عليه وسلم ـ: * روى ابن ماجه بإسناد صحيح أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (هو المحلل. لعن الله المحلل والمحلل له). وأورد الدمشقي في الكبائر (طبعاً إن صحت النسبة إليه في التأليف وما هي عندي بصحيحة): عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما – أنه سئل عن رجل طلق ابنة عم له ثم ندم ورغب فيها. فأراد رجل أن يتزوجها ليحللها له. فقال ابن عمر: (كلاهما زان وإن مكثا عشرين سنة). وقال إبراهيم النخعي إذا كان نية أحد الثلاثة: الزوج الأول والزوج الثاني والمرأة التحليل فنكاح الآخر باطل ، ولا تحل للأول. ولمّا سئل الشيخ المنجّد عن هذا النوع من الزواج أجاب بقوله: (إذا طلق الرجل امرأته الطلقة الثالثة فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره ، لقول الله تعالى: (فَإِنْ

طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ). ويشترط في هذا النكاح الذي يحلها لزوجها الأول أن يكون نكاحاً صحيحاً ، فالنكاح المؤقت (نكاح المتعة) أو النكاح من أجل أن يحلها لزوجها الأول ثم يطلقها (نكاح التحليل) كلاهما محرّم وباطل في قول عامة أهل العلم ، ولا تحل به المرأة لزوجها الأول. انظر: "المغني". وقد صحت الأحاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم بتحريم نكاح التحليل. روى أبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لَعَنَ اللَّهُ الْمُحَلِّلَ وَالْمُحَلَّلَ لَهُ). وصححه الألباني في سنن أبو داوود. والْمُحَلِّلَ هو من تزوجها ليُحِلها لزوجها الأول. وَالْمُحَلَّلَ له هو زوجها الأول. وروى ابن ماجة عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالتَّيْسِ الْمُسْتَعَارِ؟ قَالُوا: بَلَى ، يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: هُوَ الْمُحَلِّلُ ، لَعَنَ اللَّهُ الْمُحَلِّلَ ، وَالْمُحَلَّلَ لَهُ). وحسنه الألباني في صحيح سنن بن ماجة. وروى عبد الرزاق عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال وهو يخطب الناس: (والله لا أوتى بمحلِّل ومحلَّل له إلا رجمتهما). وسواء في ذلك إذا صرح بقصده عند العقد ، واشترطوا عليه أنه متى أحلها لزوجها طلقها ، أو لم يشترطوا ذلك وإنما نواه في نفسه فقط. روى الحاكم عن نافع أن رجلاً قال لابن عمر: امرأة تزوجتها أحِلها لزوجها ، لم يأمرني ولم يعلم. قال: لا ، إلا نكاح رغبة ، إن أعجبتك أمسكها ، وإن كرهتها فارقها. قال: وإن كنا نعده على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سِفاحاً. وقال: لا يزالان زانيين ، وإن مكثا عشرين سنة. وسئل الإمام أحمد عن الرجل يتزوج المرأة ، وفي نفسه أن يُحِلها لزوجها الأول ، ولم تعلم المرأة بذلك. فقال: هو محلل ، إذا أراد بذلك الإحلال فهو ملعون).هـ. وأسْهل شيء عند الناس اليوم تضعيف الأحاديث التي لا توافق أهواءهم لذا أستشهد هنا بأحاديث صحيحة أربعة: [1] عن عبد الملك بن المغيرة بن نوفل أن ابن عمر - رضي الله عنهما - سُئل عن تحليل المرأة لزوجها ، قال: ذلك السفاح ، لو أدركك عمر لثكلكم. [2] عن عقبة بن عامر الجهني - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ألا أخبركم بالتيس المستعار؟" ، قالوا: بلى يا رسول الله ، قال: "هو المحلل ، لعن الله المحلل ، والمحلل له". [3] عن نافع قال: (سأل رجل عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - فقال: إن خالي طلق امرأته ثلاثاً فدخله من ذلك هم وأمر شق عليه ، فأردت أن أتزوجها لأحلها له ولم يأمرني بذلك ولم يعلم به فهل تحل له؟ فقال ابن عمر: لا ، إلا أن تنكح نكاح رغبة إن وافقتك أمسكت ، وإن كرهت فارقت ، وإلا ، فإنا كنا نعد هذا في زمان رسول الله - صلى الله عليه وسلم – سِفاحاً! [4] عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: "لعن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المحلل والمحلل له". وعموماً أنا أجعل هذه القصيدة رسالة عزاء للزوج الأول في زوجته (زمزم) الراحلة!)

أعزيـــكَ فـــي الموقـــف المُـــؤلمِ ... بفـــــرْح العـــــواذل واللـــــوَّمِ

لقـــد آل كـــل الـــذي خلفـــتْ ... لتـــــيس تـــــزوّج للـــــدرهم

وذاق العُســـــيلة مســـــتعذباً ... جمـــــالَ الصـــــبيّة والمَغـــــنم

ولـــم يـــكُ يحلـــمُ يومـــاً بهـــا ... فأصـــبح فـــي حِضـــنها يرتمـــي

أرادوه تيســـاً ، فمـــا لامَهـــم ... ولـــم يـــكُ - فـــي الأمـــر - بـــالمُرغم

ونعجـــــتهم أيّـــــدتْ مـــــا ارتـــــأوْا بلفـــــظٍ - عـــــن الكـــــل - لـــــم يُكـــــتم

وأمســـــــى زواجُهمـــــــا صـــــــفقة وكـــــــلٌ تجَـــــــرّأ ، لـــــــم يُحْجـــــــم

كمثـــــل البغـــــاء لـــــه أجـــــرة وبيـــــتٌ يقـــــومُ علـــــى قـــــيّم

وعقـــــدُ المُجـــــون لـــــه صِـــــبغة فهـــــذا - علـــــى الشـــــرع - لـــــم يُبـــــرم

نفـــوسٌ - علـــى الـــدين - قـــد راهنـــتْ ومهمـــــا تكـــــنْ للهُـــــدى تنتمـــــي

وكـــــم بـــــالزواجر كـــــم ووجهـــــتْ! كـــــأن خطيـــــب الغثـــــا أعجمـــــي

وكـــــم بالأدلـــــة كـــــم قوبلـــــوا! فهـــــل طغمـــــة القـــــوم لـــــم تفهـــــم؟!

مُحللهـــــم تـــــيسُ أغنـــــامهم ويلعـــــن ربـــــيَ مـــــن قـــــد عمـــــي

ونعجـــــتهم نفقـــــتْ بالقضـــــا وكـــــلٌ بأموالهـــــا يحتمـــــي

تبـــاكَوْا جميعـــاً علـــى مـــن ثـــوتْ وضـــمّتهمُ خيمـــة المـــأتم

وكـــــلٌ يغنـــــي علـــــى حصـــــةٍ مِـــــن المـــــال فـــــي الموقـــــفِ المُـــــؤلم

يريـــــد بعَبراتـــــه مـــــا انتـــــوى مـــــن المـــــال يُنفـــــقُ فـــــي المَنـــــدم

ويأمـــــلُ أن يســـــتجيب لـــــه حليـــــلٌ تبـــــاكى علـــــى (زمـــــزم)!

فهـــــاج ومـــــاج ، وصـــــاح بهـــــم ألا إن ذي قســـــمة المُـــــنعم

ورِثـــــتُ الـــــدنانير عـــــن زوجتـــــي وودّعْـــــتُ عـــــيش الشـــــقا المُعـــــدِم

أردتُ ثمـــــانين فـــــي تجـــــرةٍ فباتـــــتْ ألوفـــــاً كســـــيل طمـــــي!

فقـــالوا: صـــدقت ، ومَـــن يعـــشُ عـــن شـــــريعة رب الســـــما يُهـــــزم

جفّ الحب

(لكثرة جدالها ولجاجها ، وعدم طاعتها لزوجها المخلص لها ولأولادها وبناتها ، أحس الزوج فجأة بجفاف الحب والمودة. إن على الزوجة أن تطيع زوجها فيما فرض الله عليها من الطاعة ، وأن لا تتبرم أو تتذمر أو تعبس عندما يأمرها زوجها بالمعروف ، أي بما لا ينكره الشرع ولا تنكره الناس لأنهم تعارفوا عليه. إن الطاعة مع التبرم هي من أمارات النشوز ؛ جاء في (الروض المربع ج3/ص134): "النشوز وهو معصيتها إياه فيما يجب عليها. فكأنها ارتفعت وتعالت عما فرض عليها من المعاشرة بالمعروف. فإذا ظهر منها أماراته بأن لا تجيبه إلى الاستمتاع أو تجيبه متبرمة متثاقلة أو متكرهة ، وعظها ، أي: خوَّفها من الله تعالى ، وذكَّرها ما أوجب الله عليها من الحق والطاعة وما يلحقها من الإثم بالمخالفة ، فإن أصرت على النشوز بعد وعظها هجرها في المضجع أي ترك مضاجعتها". "وجاء في (الهداية على مذهب الإمام أحمد ، ص: 413):" إذا ظهر من المرأة دلائل النشوز ، مثل أن يدعوها إلى الاستمتاع فلا تجيب ، أو تجيبه متبرمة متكرهة ، وعظها الزوج وخوفها بالله تعالى. فإن أصرت على ذلك هجرها في المضجع والكلام فيما دون ثلاثة أيام ...". فأردتُ أن أعيدهما إلى كنف الحب وعش الحنان الذي أسسا حياتهما فيه بادئ الأمر! فأنشدتُ على البحر الطويل منذراً في عالم الغفلة وناصحاً في عالم التمويه!)

هـــو الحـــب يُجْلـــي مُـــدلهمَ الغياهـــبِ ... ويَبلـــغ بالأحبـــاب أرقـــى المراتـــبِ

وأخبـــار أهـــل الحـــب تنطـــق بالـــذي ... أقـــول ، ولا تُبقـــي مَلامـــاً لعاتـــب

وكـــل حبيـــبٍ يَرعَـــوي لمُحبـــه ... وهـــذي – وربـــي - مـــن عظـــيم المناقـــب

لنغلـــقْ علـــى الأحبـــاب خيمـــة حُـــبهم ... لنفـــتحَ أخـــرى صُـــفدتْ بالمصـــائب

فـــذي زوجـــة عصـــيانها بـــات سَـــمتها ... ولـــم تنتصـــحْ مِـــن مُـــدلهمّ التجـــارب

تـــرى فـــي النشـــوز المُـــر أســـعد مُتعـــةٍ ... وتجلـــبُ بالعصـــيان أعتـــى الكرائـــب

وتُخـــرب بيتـــاً كـــان بـــالأمس عـــامراً ... وتأمـــل أن يبقـــى رهـــين الغياهـــب

وتُـــزري بـــزوج ، ثـــم تطعـــن صِـــيتهُ ... وتـــأتي بجـــيش مـــن بغـــيض الأقـــارب

وجـــفَّ بهـــذا الكيـــد حُـــبٌ وعِشـــرةٌ ... وغـــاب الـــذي يُزكـــي وصـــالَ الحبايـــب

وترتجـــل الفتـــوى عـــدوةُ نفســـها ... تقـــول: ومـــا شـــأني بهـــذي النوائـــب؟

وأنـــتِ التـــي حكّمـــتِ فينـــا مـــن افتـــرى ... وأوجـــدتِ بالسُـــوآى عطيـــب الشـــوائب

وباعـــتْ بـــبخس كـــل ودٍ وخـــاطر ... لأهـــل أراهـــم لوّحـــوا بالمضـــارب

حَجّة مكتوبة

(استطاع ذلك الطبيب أن يدّخر المال الذي يؤدي به حَجَّته الأولى ، ذلك الأمل المنشود منذ سنين عدداً! فإذا به يُبتلى بطفل مريض فقير يحتاج علاجه ذلك المال الذي نذره لحجته. فضحّى بماله ذلك الطبيب الذي يعمل في عيادة خاصة ، وذلك بعد أن رفض المدير العام بالمستشفى علاج الطفل مجاناً. وشكرت أم الطفل الفقير هذا الجميل من الطبيب. واستقبلت المستشفى الخاصة الطفل ليستأنف العلاج. ودعا الله تعالى ذلك المتصدق بأن ييسر له الحج ، ولو من قابل إن شاء الله. واستجاب الله تعالى حيث قرر مدير المستشفى الحج مصطحباً معه طبيبه الخاص المرافق الذي اعتذر ليحل محله الطبيب المتصدق! فيا لها من مفاجأةٍ سارة! ويفرحُ المدير بموافقة الطبيب المتصدق هذا ، ويُصدر قراراً بعلاج الفقراء مجاناً على حساب المستشفى ، ويرد المال للطبيب المرافق المتصدق ، بل ويقرر المدير أن كل فقير يقدم أوراقه الثبوتية التي تستدل بها المستشفى على حالته وعجزه عن الإنفاق ، يعالج في المستشفى مجاناً ابتغاء وجه الله تعالى! فكانت حَجّة الطبيب المتصدق مكتوبة ومجانية وإن شاء الله مقبولة! وهذا أحد المسافرين رأى شاباً غضاً ممددًا على سيارته غائبًا عن شعوره لا يرى عليه أثرًا لحادث أو سببًا مباشرًا لهذه الحال لم يتح لنفسه كثيرًا من التساؤلات ، بل قطعها بإغاثة هذا المسكين ، فما أن أمسكه بيده ، حتى أحس بحركة بطيئة في يدي هذا الشاب ، يشير بيديه إلى أنفه وفمه ، مبينًا له بذلك أنه لم يعد له نفس يعيش به فرح صانع المعروف بحياته ، وأحس بأن الله أرسله إليه لينقذه على يده تحرك بسرعة لأخذه إلى طبيب حاذق في شأن أمراض الصدر بمدينة قريبة ، فما إن وصَل إلى هناك قام الطبيب بالأمانة الملقاة على عاتقه خير قيام ، وصانع المعروف واقف على رأسه يرقب ذلك النفس المتقطع والصدر المتحشرج نسي سفره الذي خرج من أجله وترك الدنيا من ورائه ، وأقبل على إنقاذ روح كادت أن تفارق صاحبها ، ليعيدها بأمرِ الله إليه ، لا لمعرفة سابقة ، ولا لمصلحة دنيوية لاحقة ، إنما حب صنيع المعروف الذي أكرمه الله به ، وما زال كذلك يرقب الشاب بعينيه ، ويحيطه برعايته ، ويلهج لسانه بالدعاء له ، أن يمُن الله عليه بالشفاء ، ويعيده إلى الحياة ، وشيئًا فشيئًا حتى سمع الأنفاس تتراجع ، والأزمة تِخف ، والأطراف تتحرك ، وبدأ نور العينين يخفق ببصيص من الحياة ، وصانع المعروف يحدق في وجه الطبيب يبحث عن الأمل في وجهه ، يتلمس ابتسامة النجاة على ثغره وبدأت الحياة تدب في أوصال ذلك الشاب ، وبدأت أسارير وجه الطبيب تتهلل بشرًا ، وتبشر بالحياة من جديد ، حينها تعرّف صانع المعروف على هاتف منزل أهل المصاب من المصاب نفسه ، واختفى من المستشفى حتى لا يتعرف عليه أحد ، وذهب ليتم معروفه بنجاح وحكمة ليتصل على أهل المصاب فأخبرهم خبر ابنهم ومكانه. ولكن: من أنت أيها المتحدث؟ من أنت وفقك الله؟ من أنت يا صانع المعروف ؟! أخبرنا باسمك ، دعنا نحدّث الناس بشهامتك ، دعنا نصف للناس معروفك ، دعنا نردُّ لك شيئًا من جميلك ، وأي جميل يمكن أن يُرد لمثلك وقد كنت سببًا في رد الحياة إلى ابننا بإذن ربه سبحانه ، أما لنا نصيب من إكرامك ، والإحسان إليك؟ فاعل خير. فقط. كلمتان أجاب بهما صانع المعروف محتسبًا أجره على الله الرحمن الرحيم ، ألا بوركت يا صاحب الخير كفاك ، وسددت خطاك ، وحفظك الله من كل سوء ورعاك ، وبارك الله لك في صحتك ، وحياتك ، وذريتك ، وجعل الجنة مأوانا ومأواك. ينبغي على المسلم ألا يتردد أن يقضي حاجة لأخيه ، ولو على حساب وقته أو جهده! إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ). رواه البخاري.

ويقول كذلك: (صنائع المعروف تقي مصارع السوء). رواه الطبراني وهو حديث حسن. ويقول كذلك: (وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ). متفق عليه. ونعود للطبيب الموفق!)

نفسُ جودي بالحمد في كل خطبِ ... واشفعي التقوى عن خشوع بتوبِ

واذكري حَجّاً فاتني باختياري ... بل يقيناً هذي إرادة ربي

(إن ربي لما يشاء قديرٌ) ... والمقاديرُ صُنعه دون ريب

إن يشأ فالأقدارُ تأتي تِباعاً ... ليس أمرٌ – على المليك – بصعب!

إنني قد نذرتُ مالي لحَجي ... كي أحجّ من حُر مالي وكسبي

والألوفُ تمَّتْ ، وتكفي لحَجِّي ... كي أرى حُلماً كان يسكن قلبي

من عقودٍ مرَّتْ كمثل قرون ... وأنا أسعى كي أحقق إربي

فابتليتُ بالطفل يخلعُ قلبي ... بأنين يأوي لغوثٍ وطب

فانتويتُ أن أخدم الطفل جهدي ... مُدلياً دَلوي مُخرجاً ما بقلبي

قد مددتُ كف العطاء احتساباً ... كي يزول - عن صاحبي - شر خطب

عندما المستشفى قلتْه بعيداً ... فاحتواني همّي وغمّي وكربي

أعلنتها: بالمال أفتح بابي ... والفقيرُ المعوذ لا يأتِ صوبي

قلتُ: كلا ، علاجُه بنقودي ... مع تقديري واحترامي وحبي

ليس حَجي مما يعاني بأولى ... ومداواة الطفل والله حسبي

وإذا بالمدير يقصدُ حجاً ... ويقول: أرجو رفيقاً بجنبي

وإذا بالرفيق يُبدي اعتذاراً ... فيقول المديرُ: قد طال دربي!

ثم أوصى تخيّروا لي رفيقاً ... وعليَّ الإنفاق في خير ركب

قِيـــل عنـــي: تصـــدّق اليـــوم طوْعـــاً وهْـــو أولـــى مـــن أي خـــل وتـــرب

فاصـــطفاني المـــديرُ مـــن دون غيـــري بقـــــرار فصـــــل ورأي عـــــذب

قلـــتُ: مرحـــى بمـــن يُحقـــق حُلمـــي قبـــل أن أمْنـــى - فـــي حيـــاتي - بشـــيب

يـــا مـــديري رفقـــاً بأهـــل البلايـــا لـــيس فقـــرُ الإنســـان يومـــاً بعيـــب

فـــارحم الطفـــل ، واحتســـبْ وتحمـــلْ حيـــث قـــال: الله المهـــيمن حســـبي

ويمضي حديث الزمن

(اعتاد على الوقاحة والتوقح في حق والديه. فعوقب العاق بذات العقوبة. حيث رزق بأولاد توقحوا في حقه وأفحشوا وحجلوا واسعاً ، فعقوه عقوقاً لم يخطر له ببال! وتعددت صور العقوق لتجعل منه مسخة بين الناس. وكانت زوجته أشد توقحاً في حقه ، حيث انضمت لأبنائها حيث صاروا الأقوى. ولعل هذا الذي ابتلي به ذلك الأب من أبنائه وأمهم من عاجل عقوبته في الدنيا بنص الحديث! فقد أَخْرَجَ الْحَاكِمُ وَالْأَصْبَهَانِيّ وَقَالَ الْحَاكِمُ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه مَرْفُوعًا: {كُلُّ الذُّنُوبِ يُؤَخِّرُ اللَّهُ مِنْهَا مَا شَاءَ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، إلَّا عُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يُعَجِّلُهُ لِصَاحِبِهِ فِي الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَمَاتِ}. وَفِي حديثٍ مَرْفُوعٍ عن أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ وَالْحَاكِمِ وَقَالَ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ: {مَلْعُونٌ مَنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ}. وَفِي حَدِيثٍ مَرْفُوعٍ عن ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ ابْنِ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ: {وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ سَبَّ وَالِدَيْهِ}. فكان الرجل بحالته تلك حديثاً يحكيه الزمنُ للعبرة. والعاقل العبقري هو من اعتبر بغيره واستلهم دروس الزمان والأحوال! وإذن فليتق الله تعالى كل عاق لوالديه ، وليبرهما قبل ندمه!)

أأخـــــرجُ للـــــورى فحـــــوى سِـــــجلي ... لعلـــــــي أردعُ الحمقـــــــى ، لعلـــــــي؟

فكـــــــم أودى بجبـــــــار عُقـــــــوقٌ ... تجبّـــــــر بالتســـــــلط والتـــــــولي!

أهـــــان الوالـــــدين ، فعـــــاش وغـــــداً ... وقضّـــــى العُمـــــر فـــــي ضـــــنكٍ وذل

وذاق مِـــــن المَـــــرارة كـــــل هُـــــونٍ ... ولـــــم يظفـــــرْ مِـــــن الـــــدنيا بخِـــــل

علـــــى أيـــــدي البنـــــين رأى البلايـــــا ... وذاق مِـــــن الحليلـــــة كـــــل غِـــــل

وعاقبـــــه المليـــــكُ علـــــى فعـــــال ... جناهـــــا بالتطـــــاول والتســـــلي

حـــــديثاً بـــــات ذاك النـــــذلُ غثـــــاً ... كمثـــــل الصَـــــهد زايـــــل كـــــل ظـــــل

ليحكيَـــــه الزمـــــانُ لكـــــل وبْـــــش ... يُصـــــفد والديـــــه بكـــــل غـــــل

وينشـــــره كتابـــــاً فـــــي البرايـــــا ... يُجسّـــــد كـــــل أوصـــــاف التخلـــــي

ألا إن الزمـــــان لـــــه حـــــديث ... مَشـــــوقٌ لـــــيس عنـــــدي بالمُمِـــــل

وإن الـــــدهر علمنـــــي كثيـــــراً ... وآنســـــني بترحـــــالي وحِلـــــي

وبصّـــــرَني بمـــــا يغتـــــالُ شـــــأني ... وأردفَ كـــــل مُعضـــــلةٍ بحَـــــل

وأخبرنـــــي بعُقبـــــى مَـــــن تعـــــدى ... حُـــــدود الله بـــــالعيش المُـــــذِل

حفظتِ القرآن بعد الثمانين!

(وتلك امرأة ذات همة عالية وعزم قوي ، أورد قصتها الخولي في موسوعته ًص 415. أم صالح ، امرأة بلغت الثمانين من عمرها تتفرغ لحفظ الأحاديث ، إنها نموذج فريد من أعاجيب النساء ، أجرتْ مجلة الدعوة حواراً معهما ، فقالت هذه المرأة: بأنها بدأت في حفظ القرآن في السبعين من عمرها. قالت هذه الحافظة الصابرة: (كانت أُمنيتي أن أحفظ القرآن الكريم من صغري! وكان أبي يدعو لي دائماً بأن أحفظ القرآن كإخوتى الكبار ، فحفظتُ ثلاثة أجزاء ، ثم تزوجتُ وأنا في الثالثة عشر من عمري ، وانشغلتُ بالزوج والأولاد ، ثم توفي زوجي ولي سبعة من الأولاد كانوا صغاراً ، فانشغلتُ بهم وبتربيتهم وتعليمهم والقيام بشؤنهم ، وحين ربّيتهم وتقدمتْ بهم الأعمار ، وتزوّج أكثرهم ، تفرغتُ لنفسي ، وأول ما سعيت إليه أنني بدأت أحفظ القرآن. واعتادت ابنتي التي تدرس في الثانوية على أن تعينني ، وكانت المعلمات يشجعن البنت على حفظ القرآن! عجباً لهذه الطالبة! إذ بدأت مع أمها كل يوم تحفظ عشر آيات. أما طريقة الحفظ: فكانت ابنتها تقرأ لها كل يوم بعد العصر عشر آيات ، ثم ترددها الأم ثلاث مرات ، ثم تشرح لها البنت بعض المعاني ، ثم تردد هذه الأم الآيات العشر ثلاث مرات أخرى ، وفي صباح اليوم الثاني تُعيدها البنت لأمها قبل أن تذهب إلى المدرسة ، وكانت هذه المرأة الكبيرة في السن تستمتع بقراءة الحُصري كثيراً وتكرر الآيات أغلب الوقت حتى تحفظ ، فإن حفظت أكملت ، وإن لم تحفظ فإنها تعاقب نفسها وتعيد حفظ الأمس ، تُعيده في اليوم التالي مع ابنتها. وبعد أربع سنوات ونصف حفظت الأم اثنا عشر جزءاً ، ثم تزوّجت البنت ، ولما عَلم الزوج بشأن زوجته مع أمها وطريقة الحفظ ، استأجر بيتاً بالقرب من منزل حماته ، وكان يشجع البنت وأمها ، وكان يحضر معهما أحياناً ويفسر لهما الآيات ويستمع لحفظهما ، واستمرت هذه البنت مع أمها ثلاثة أعوام أيضاً ، ثم انشغلت البنية بأولادها ، فبحثت عن مُدرّسة تكمل المشوار مع أمها ، فأتت لها بمُدرّسة ، فأتمت حفظ القرآن الكريم. ومازالت ابنتها تواصل الحفظ حتى تلحق بالأم الكبيرة في السن ، وقد حفظت القرآن بعد أكثر من عشر سنوات ، أما النساء حولها فتأثرن بها ، فبناتها وزوجات أبنائها تحمسن كثيراً وكن دائماً يضربن المثل بهذه الأم العجيبة ، وبدأن بحلقةٍ أسبوعيةٍ في منزل الأم للحفظ ، فصارت هي العالمة الحافظة بينهن. وقد أثرت هذه المرأة في حفيداتها ، فكانت تُشجعهن على الالتحاق بحلقات التحفيظ وتقدم لهن الهدايا المتنوعة ، أما جاراتها فأول الأمر كُن يحبطن عزيمتها ، ولما رأين استمرارها وصبرها ، بدأن يشجعنها. تقول هذه الأم المربية العجيبة التي حفظت القرآن بعد الثمانين: حينما علمتْ هؤلاء النسوة أني حفظت القرآن رأيت دموع الفرح في عيونهن ، وهذه المرأة تستمع كثيراً إلى إذاعة القرآن الكريم ، وتقرأ في صلاتها السور الطويلة. ثم لم تكتف هذه المرأة بحفظ القرآن فقط ، بل انتقلت إلى حفظ الأحاديث النبوية ، فهي تحفظ حتى إجراء الحوار تسعين حديثاً ، وتحفظ مع إحدى بناتها وتعتمد على الأشرطة ، وتسمّع لها ابنتها كل اسبوع ثلاثة أحاديث ، استمرت هذه المرأة أكثر من عشر سنوات في الحفظ ، تقول: أحسست بارتياح عجيب بعد حفظ القرآن ، وغابت عني الهموم والأفكار ، وملأت وقت فراغي بطاعة ربي ، اقترحت عليها بعض النسوة أن تدخل في دور تحفيظ القرآن ، فقالت: إني امرأة تعودت على الجلوس في البيت ولا أتحمل الخروج ، وتدعو كثيراً لابنتها التي بذلت معها الكثير والكثير. تقول: وهذا من أعظم البر والإحسان ، خاصة أن البنت كانت في مرحلة المراهقة التي يشكو منها الكثيرون ، فكانت البنت تضغط على نفسها وعلى دراستها لتفرغ نفسها لتعليم أمها بصبر وحكمة ، ثم ختمت هذه المرأة الصالحة وقالت: لا يأس مع

العزيمة الصادقة ، ولا يأس مع قوة الإرادة والدعاء ، واللهِ ما رزقت الأم بنعمة أحب إليها من ولد صالح يعينها على التقرب إلى الله عز وجل).هـ. فأنشدت فى ذلك عن (أم صالح) مثنياً على عزيمتها ورباطة جأشها وهي تتحدى الهرم والشيخوخة والكبر لتتم حفظ القرآن الكريم كاملاً في سن الثمانين ، إنها آية من آيات الله في الخلق ومعجزة من معجزاته – عز وجل –. وإنها لمَنقبة عظيمة أن يتحقق هذا المجد العظيم وهذا السبق الجليل لامرأة في هذا السن. والحقيقة أن قصتنا هذه قد احتوت على عبقري وعبقريتين فأما العبقري فهو زوج البنية ، ذلك الشهم المخلص الذي لم يضنّ بخدمة زوجته لأمها في مساعدتها على الحفظ ، بل شارك بنفسه في تحفيظ حماته القرآن. وأما العبقرية الأولى فهي الحاجة (أم صالح) ذات الثمانين ربيعاً ، وتقدم على هذا المجد متحدية الشيخوخة والهرم. وأما العبقرية الثانية فهي الابنة المخلصة الوفية البارة بأمها ، التي ما اكتفت بتحفيظ أمها والمراجعة معها ، بل بدأت هي الأخرى تحفظ معها القرآن الكريم.)

حفظـــكِ القـــرآنَ نعـــمَ المُطلـــبْ! ولنيـــل الخلـــدِ مِـــن أرجَـــى القـــرَبْ

إنـــه الخيـــرُ اســـتمى فـــي نفعـــه والـــذي يهـــواه نهجـــاً يَحتســـب

همّـــة بعـــد الثمـــانين اعتلـــتْ صـــهوة المجـــد اعتـــزازاً عـــن رغـــب

لـــم تســـوّف ، أو تؤجّـــل لحظـــة إنمـــا ســـارت علـــى درب النخـــب

لـــم يعقهـــا الشـــيبُ عـــن مقصـــودها إنمـــا الشـــيبُ اعـــتلالٌ ولُغُـــب

لـــم تقـــل: أوهـــتْ شـــبابي حالـــة مـــن أســـى الضـــعف إليهـــا المُنقلـــب

لـــم تقـــل: عقلـــي خبـــتْ أفكـــاره أيـــن لـــي عقـــلٌ بـــه بعـــض اللبَـــب؟

لـــم تقـــل: وحـــدي ، ومـــا لـــي رفقـــة تبـــذلُ العـــونَ إذا مـــا تصـــطحب

لـــم تقـــل: أعـــوامُ عُمـــري جُنـــدلتْ وانقضـــتْ ، يـــا قومَنـــا عَـــز الطلـــب

إنمـــا التقـــوى أعارتهـــا المَضـــا فـــانتفى الشـــك بتاتـــاً والرِيـــب

ذلـــك العـــز ، وهـــذي أهلـــه وأراهـــا ـ بالســـجايا ـ تختضـــب

رَبّ أكرمهـــا ، وثبّـــتْ حِفظهـــا وارعَهـــا بالـــذكر ، يـــا رب اســـتجب!

حقوق البخل محفوظة

(عندما يصبح البُخل ديدنًا وطبيعة وجِبِلَّةً ، ودمًا يجري في عروق صاحبه ، تكون حقوق البخل محفوظة ، ويكون لها رقم إيداع ، بل ويكون هناك دور نشر وتوزيع تقوم بنشر البخل والشح في العالمين مبتغية بذلك الترويج لأهل الشح والبخل ليسود كل منهما! ويكون هناك ترقيم دولي للحقوق! بحيث ينتقل البخل من طور المحلية الضيقة إلى العالمية الممتدة! والناس خلان الكرماء! والأسخياء أجود الخلق ولا شك!)

مَـن كـان يبخـلُ فـي وقـت السـخا نـدما ... والبخـلُ داء عُضـال يُوجـب النَّقمـا

جِبِلّـةَ خَبُثَـتْ ، وخـاب صـاحبُها! ... والخـذلُ يُـردي الـذي ببعضـه اتَّهِمـا

صـاحبتُ خلقًـا ، مليـكُ النـاس يعلمُهـم ... فكنـتُ أحتـرم التقـاةَ والكُرَمـا

وعشـتُ أحتقـر الضُّـلال والـبُخَلا! ... وأقـبحُ النـاس هـم بـين الـورى هِمـما

إن السـخيَّ كـرامُ الخلـق صُـحبتُه ... يسـمو بأفضـلهم ، ويبلـغ النّجُمـا

والجـودُ بالمـال يُعلـي شـأن باذلـهِ ... والشـحُّ يـزدرُ الأخـلاق والقِيمـا

سِـجيةَ الجـود فـي الأمشـاج قـد خلقـتْ ... وخالطـتْ نطفـاً ومُضـغةَ ودَمـا

والبُخـل عـارٌ بـه الأراذلُ التحفـوا! ... ولـن تـرى مُمْسِـكًا يَسـتدرج الشَّـمما

فجُـدْ بمـا خصَّـك المَنـانُ محتسـبًا! ... خـزائنُ الله ليسـت تشـتكي العَـدما

وابـرأ مـن الشـح ، واهتِـكْ وُدَّ مِـن بخلـوا ... وامـنحْ خيُـورك تغـدُ الـدهرَ مُحترَمـا

وانصـحْ لمـن بخلـوا كـي يصـبحوا كُرَمـا ... والجـودُ شـمسُ السـجايا ، تمحـقُ الظّلمـا

واضـرب بسـيف السـخا شُـح الألـى بخلـوا ... إن السـخاء يُبيـد البـؤسَ والنقمـا

كـم مُعسـرٍ مُعـدم أعيتـه حاجتـهُ! ... أزال عنـه السـخاءُ الـدمعَ والألمـا

وكـم فقيـرٍ سـعيرُ الفقـر أحرقَـهُ! ... حتـى أتـاه غنـىً ، فأخمـدَ الحُمَمـا

والأجـرُ عنـد إلـه النـاس مُـدّخرٌ ... رضـا الـرحيم يُبيـد الهـم والسـقما

حقيقة الشاعر

(سألني كثيرون لماذا لم تكتب الشعر في كذا وكذا ، وعدّدوا من المناسبات والظروف؟ فأجبت: لم تتحرك عندي عاطفة لما تسألون عنه! إن كثيرين يتصورون أن الشاعر كالنجار الذي يُمسك بقطع الخشب ليصنع منها كرسياً! أو كالحداد الذي يمسك بقطع الحديد ليصنع منها باباً! ولست أنكر أن في الساحة شعراء هكذا ، لكنهم ليسوا شعراء بل هم صناعون! وإنما الشعر شعور!)

فيم التساؤل عن شعري وعن أدبي؟ ... وكيف أقنعكم يا جوقة الرّيَبِ؟

ومذ متى وقريضي العذبُ يشغلكم؟ ... سؤالكم عنه أمرٌ بالغ العجب!

أهديتُ شعري دواوينا مزركشة ... والشعر - في أمّها - مُطهّم الطرب

وقد سطرْتُ كُليماتي أبجّلكم ... فيها البريقُ شدا كالماس والذهب

وقبلُ سطرتُ شعري ، والمِدادُ دمي ... ينِمّ عن قِيَم صُبتْ على الكتب

ناصحتُ فيه ، وقد دونتُ تجربتي ... والشعرُ أرجى من الأموال والحَسب

وما نقشتُ سوى ما هز عاطفتي ... ومِن عل قد هوى كالتين والعنب

ولم أكنْ بشعوري العفّ مرتزقاً ... شأن الألى رغبوا في المال والقرَب

ولم أطوّعْ قريضي للألى انحرفوا ... عن الحنيفة ، وانصاعوا إلى اللعب

وكم صدقتُ بما قصّدتُ محتسباً! ... وقصْدُ ربي به من أفضل الحِسَب

لو لم أعانِ لمَا فاض القريض جوىً ... على قراطيس مُلتاع ومُغترب

أعطيتُ للشعر مِن مالي ومن عُمُري ... حتى يراه الورى يختال في أرب

شتان بين قريض صِدقه علمٌ ... وآخر من كثير الكِذب مضطرب!

حَقيقة الشعر ما جاد اليقينُ به ... شتان شتان بين الصدق والكذب!

وكم قصيدٍ أهاجتهُ مناسبة ... حتى انقضت ، فثوى كالظل والسحُب!

حكاية بلا نهاية

(أورد صاحب (القصص الواقعية) الأستاذ الخولي ص 639 قصة فتاة تعتبر ضحية من ضحايا الاستخدام الخاطئ للإنترنت! حيثُ اتصلت بوغدٍ ساقطٍ مرذول ، فهدّدها بعد أن عرف كل شيء عنها ، أما كيف سارت الأحداث وكيف هي نهاية القصة فهذا علمه عند الله. كتبتُ في ذلك محذراً. إنه عندما تنعدم النخوة والشهامة في النفوس ، فتوقع أن الدناءة ستسيطر على البشرية فتجعل منها وكراً للرذيلة وانعدام الأخلاق ، وقبل أن أتحدث عن هذا الموضوع سأذكر لكمُ قصة حدثت لإحدى الفتيات والتي مازالت دموعُها على خديها إلى اليوم ، وسأذكرها لكم وبعد ذلك لي تعليقٌ عليها! وأتمنى من كل فتاة قراءتها ونشرها. (أنا فتاة أبلغ من العمر عشرين عاماً سمعتُ عن الإنترنت في الجامعة بين زميلاتي اللاتي قمن بذكر قصصهن فأخذني الفضولُ لمعرفة هذا العالم الجديد بالنسبة لي. وبعد أن أخذت عنوان دليل المواقع ، قمت بتصفحه فدخلت أحد المواقع بعد أن فقمت بتصفحها ، وسجلت في المنتدى ، وأخذتُ أتعلق به شيئاً فشيئاً ، حتى أصبحتُ لا أستطيع الابتعاد عنه أبداً. وفجأة راسلني أحد الأشخاص وقال لي: أنا معجبٌ بأسلوبك فهل تتكرمين بإضافتي لديك في الماسنجر؟! وبعد ذلك فرحتُ كثيراً خصوصاً وأن هذه الرسالة من فلان فقد كان مثالاً للأخلاق والاتزان ، وكان محبوباً في المنتدى ، فالكثير من الفتيات يحاولن التعرف عليه لأسلوبه ، ولمنطقه ، ولأخلاقه العالية ،و لقلمه الجذاب ، إلخ...وبعد ذلك كتبت له رداً على رسالته! وهذه كانت أول رسالة أتلقاها في حياتي وكتبت له: إنني لا أعرف الماسنجر أساساً. فأخبرني عن الطريقة وأعطاني عنوان إيميله ثم بعد ذلك قمت بعمل البريد والماسنجر ، وأضفته وليتني ما أضفته ، فقد كنت على موعد مع الموت حيث قال لي: يا فلانه أتوقع أنك شاب ولست بفتاة؟! فاستغربت من كلماته هذه فقلت: لماذا هذه الشكوك؟! فقال: هل بإمكاني أن أسمع صوتك حتى أتأكد؟ فقلت له آسفة ، فأخلاقي لا تسمح لي بذلك. ولستُ كغيري من الفتيات اللاتي بعن شرفهن! فقال: حسناً سأتصل عليك وأرجو منك الرد حالاً! بعد ذلك فاجأني باتصاله! فقال: ألو هل أنت فلانة؟! عندها ارتعش قلبي ، وأنا لا أعلم كيف علم برقم هاتفي؟ فسألته: كيف استطعت التعرف على رقم هاتفنا؟ فقال: أنا أعرف عنك كل شيء ، وسأفضحك أمام أهلك إذا لم تستجيبي لطلبي! وأخبرني أنه أخذ رقمي عن طريق الماسنجر حيث كتبتُ غباء مني رقم هاتف منزلنا ، وبعد أن ضغط على اسمي وجد رقم منزلنا. قلت لنفسي وأنا مصدومة هل حقاً هذا فلان الذي يدّعى الأخلاق؟ وبكيت بمرارة وحسرة. ولكن بعد فوات الأوان ، حيث تطورت الأمور للأسوأ!)

أقـــــولُ للتـــــي ترهلـــــتْ ، ولـــــم تكـــــن بصـــــيرة

تحمّلـــــي العـــــذابَ فـــــي دروب هـــــذه المَســـــيرة

وأنـــــتِ مَـــــن ســـــعتْ بتهمـــــةٍ خسيســـــةٍ حقيـــــرة

وأنـــــتِ أنـــــتِ مَـــــن مَشـــــت لحتفهـــــا بـــــلا جريـــــرة

وأنـــــتِ أنـــــتِ مَـــــن أطاعـــــتِ الغريـــــزة الضـــــريرة

وأنـــــتِ مـــــن لأجـــل ســـــاقطٍ مُفـــتن رَمـــت بصـــورة

وتابعـــــــتْ ســـــــقوطها وترهاتهـــــــا المبيـــــــرة

وواصـــــــلتْ مَســـــــيرَها وزعجلاتهـــــــا الجَهيـــــــرة

وخادعـــــتْ ، وراهنـــــتْ علـــــى المعيشـــــة القريـــــرة

ضـــــحيّة الهـــــوى ، ودُميـــــة تـــــئنّ مســـــتجيرة

ومَـــــن يُجيـــــرُ ذاتَ علـــــةٍ ـ كهـــــذه ـ خطيـــــرة؟

حكايـــــة بـــــلا نهايـــــةٍ ، وقصـــــة مُثيـــــرة

وطعنـــــة ، علـــــى الحيـــــا قضـــــت ، وزلـــــة مريـــــرة

وإننـــــي أحـــــذر البنـــــاتِ مِـــــن خطـــــىً كَسِـــــيرة

تقـــــودُ للضـــــياع فـــــي مســـــالك القـــــوى المُغِيـــــرة

وتجعـــــلُ الفتـــــاة مـــــن طليقـــــةٍ إلـــــي أســـــيرة

ليضـــــحك اليهـــــودُ مِـــــن ســـــقوط حُـــــرةٍ أميـــــرة

وإننـــــي هنـــــا أقـــــول فـــــي قصـــــيدتي الأخيـــــرة

مناوئـــــاً بكـــــل شـــــدةٍ بلهجتـــــي الشـــــهيرة

بلفظـــــةٍ أبيـــــةٍ بكـــــل طاعـــــةٍ جـــــديرة

بـــــأن دارنـــــا تحـــــنّ للفضـــــائل النضـــــيرة

وإنهـــــا بمـــــا يُضـــــيرُ جُـــــلّ أهلهـــــا خبيـــــرة

ولـــــن تعـــــيشَ عُمرهـــــا لكـــــل مـــــن طغـــــى أجيـــــرة

وأســـــألُ المليـــــك أن يُفيـــــق ســـــادة الجزيـــــرة

أنت خير من أمي (مرثية على لسان لقيطة)

(وجدتْ هذه المرأة الرحيمة لفافة بجوار جدار بيتها. وإذا فيها طفلة مولودة لتوها ، تتلبط في دمائها. فعلمتْ ببداهة الفطرة والمنطق أن خطيئة ارتكبتْ ، وأن طفلة لا ذنب لها في تلك الخطيئة ، إذ ليست طرفاً فيها! فأخذتْها إلى بيتها وأزالت عنها الأذى ، وادخرتْ لها ما تدخر لابنتها. واستصدرتْ لها شهادة ميلاد باسم عام وربتها ، وعلمتها من القرآن والسنة والثقافة بقدر ما استطاعت. فقالت هذي البُنية لها: أنت خير من أمي. فأنشدتُ من شعري هذي القصيدة على لسان هذه المسكينة اللقيطة التي لا جريرة عليها!)

وليّتـــان: فـــذي خيـــرٌ ، وذي شـــرُّ ... وهِمّتـــان: فـــذي ظـــل ، وذي جمْـــرُ

وغايتـــان: فـــذي المُجـــونُ ديـــدنها ... وتلـــك لـــيس لهـــا نهـــيٌ ولا أمـــر

وأنثيـــان: فـــأمٌ مـــا لهـــا شـــرفٌ ... وبنتهـــا اســـتحْيا مـــن طهورهـــا الطهـــر

وعالمـــان - ورب النـــاس – مـــا اســـتويا ... ولـــيس - للفـــرق - مقـــدارٌ ولا حصـــر

أنـــا البريئـــة ، والســـوآى تلاحقنـــي ... والعـــارُ والفحـــشُ والإيـــلامُ والقهـــر

جنـــبَ الجـــدار وُضـــعتُ اليـــوم دون حيـــا ... ضـــحيّة جـــاء بـــي للشـــارع الدعـــر

سِـــجني اللفافـــة ، والـــدماءُ تغمرهـــا ... يـــا ليتنـــي لـــم أكـــنْ! أو ضـــمّني القبـــر

أنـــنّ يجرحُنـــي أنـــينُ نـــازلتي ... إذ لـــيس - بعـــد الـــذي أصـــابني - ضـــر

وللنحيـــب نصـــيبٌ فـــي مُجاهـــدتي ... والســـوط يحملـــه المســـتقبل الوعـــر

وللنشـــيج جـــوىً يجتـــاح مقـــدرتي ... علـــى الثبـــات ، ومـــأوى كُربتـــي الصـــدر

وللعـــذاب ســـعيرٌ بـــات يَحرقنـــي ... والقلـــبُ يُســـأل؟ مـــا الـــدعوى؟ ومـــا الســـر؟

والـــدمعُ كـــالبحر بـــالأمواج أغرقنـــي ... كيـــف الحيـــاة إذا مـــا أغـــرق البحـــر؟

والحـــزنُ يلفحُنـــي بـــدون مرحمـــةٍ ... حتـــى وهـــى العـــزمُ والطاقـــاتُ والأزر

حتـــى أتـــت غـــادة تحنـــو شـــبيبتها ... علـــى الأنـــام فـــلا جفـــا ولا كبـــر

رقيقـــة الطبـــع ، والحنـــانُ ديـــدنُها ... والقلـــبُ يمـــلأه الإخـــلاصُ والخيـــر

لطيفـــــة الحـــــالُ والأخـــــلاقُ وادعـــــة ... وبالأصـــــيلة يحلـــــو المـــــدحُ والفخـــــر

كريمـــــة كرمـــــاً لا لفـــــظ ينعتـــــه ... ولـــــم يَجُـــــدْ جُودَهـــــا فيمـــــا أرى غيـــــر

مـــــدتْ يـــــديها إلـــــى لفـــــافتي بأســـــىً ... ودمـــــع مُحســـــنةٍ مـــــن حُرقـــــة يعـــــرو

وبســـــملتْ بحـــــروف جـــــدّ مؤمنـــــةٍ ... والخيـــــرُ يـــــأتي بـــــه الإيمـــــانُ والـــــذكر

وكفكفـــــتْ دمعتـــــي بكـــــفّ حانيـــــةٍ ... علـــــى اللقيطـــــة قـــــد أودى بهـــــا الضـــــور

وغسّـــــلتني مـــــن الـــــدماء قـــــد علقـــــتْ ... بعـــــد الـــــولادة بـــــي ، لـــــم يُخفهـــــا ســـــتر

وقـــــد نظـــــرتُ لهـــــا كالبـــــدر مشـــــرقة ... تضـــــيئ عمـــــري ، كمـــــا يمحـــــو الـــــدجى البـــــدر

وأحســـــنتْ عِشـــــرتي إحســـــانَ والـــــدةٍ ... ولـــــم يُـــــزل عزتـــــي ذلّ ولا فقـــــر

وعشـــــتُ مثـــــل بنيـــــاتٍ لهـــــا ، فخـــــرتْ ... بهـــــن دومـــــاً ، وعنـــــد الخـــــالق الأجـــــر

وجملتنـــــي بـــــآي الـــــذكر مِـــــن صِـــــغري ... ومِـــــن فـــــؤادي - لهـــــا - التقـــــديرُ والشـــــكر

وعلمتنـــــي أحاديـــــث النبـــــي لكـــــي ... يكـــــون عنـــــدي لقـــــرآن الهُـــــدى الفَســـــر

وأرشـــــدتني لـــــدرب الخيـــــر ، غايتُهـــــا ... رضـــــا المهـــــيمن ، نعـــــم البـــــذلُ والـــــذخر!

وناصـــــحتني بـــــإخلاص وتزكيـــــةٍ ... والنصـــــحُ يُثمـــــر إمّـــــا شـــــابه البِشـــــر

وأســـــمعتني مـــــن الأخبـــــار أصـــــدقها ... ولـــــم يخـــــنْ عزمَهـــــا جهـــــدٌ ولا صـــــبر

وأطعمتنـــــي طعامـــــاً مـــــا حلمـــــتُ بـــــه ... وكـــــان لـــــي - صـــــدّقوا - فـــــي بيتهـــــا خـــــدر

لـــــذاك قلـــــتُ لهـــــا: أمـــــي بـــــلا خجـــــل ... واللهِ ، تلـــــك - مِـــــن التـــــي رمـــــت - خيـــــر!

(أورد ابن القيم في (جلاء الأفهام) قوله: (إن عموم العالمين قد حصل لهم النفع برسالة النبي – محمد – صلى الله عليه وسلم. أما أتباعه: فقد نالوا بها كرمة الدنيا وشرف الآخرة. * وأما أعداؤه المحاربون له: فالذين عُجّل قتلهم فموتهم خيرٌ لهم من حياتهم ، لأن حياتهم زيادة في تغليظ العذاب عليهم في الدار الآخرة. وقد كتب الله تعالى عليهم الشقاء فتعجيل موتهم خيرٌ لهم من طول أعمارهم في الكفر. * وأما المعاهدون له: فعاشوا في الدنيا تحت ظله وعهده وذمته ، وهم أقل شراً بذلك العهد من المحاربين له ولا شك. * وأما المنافقون فحصل لهم إظهار الإيمان به حقن دمائهم وأموالهم وأهليهم واحترامه وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوراة وغيرها. * وأما الأمم النائية عنه: فإن الله رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض فأصاب كل العالمين الخير والأمن العام برسالته - صلى الله عليه وسلم).هـ. صدقت يا ابن القيم وعليك من الله رحمته الواسعة. ولقد أهديتُ لرسول الله - صلى الله عليه وسلم – قصائد شتى ، أذكر منها معارضتي للبوصيري في بردته ببردتين سلفتا ، وأوردتهما في ديوان السليمانيات حباً وكرامة للنبي - صلى الله عليه وسلم - وهما وغيرهما ليستا من باب الإطراء ولا من باب التبرّك به ودعائه والتوسل إليه - حاشا لله - بل هو من باب (توقيره التوقير المناسب له ، واحترامه الاحترام اللائق به). قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: "نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في ثلاثة وثلاثين موضعًا ثم جعل يتلو: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} ، وجعل يكررها ويقول: "وما الفتنة؟" ثم يجيب فيقول: "الكفر ، قال الله تعالى: {والفتنةُ أكبرُ من القتلِ}. فيدعون الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتغلبهم أهواؤهم إلى الرأي ، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ ، فيزيغ قلبه فيهلكه. وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: "فأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله ، وأعاد الفعل إعلامًا بأن طاعة الرسول تجب استقلالاً من غير عرض ما أمر به على الكتاب ، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقًا سواء كان ما أمر به في الكتاب أولم يكن فيه فإنه أوتي الكتاب ومثله معه" (اهـ). وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ من هذه الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ ولا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ ولم يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إلا كان من أَصْحَابِ النَّارِ» (رواه مسلم). وستشهد أمة محمد عليه الصلاة والسلام على سائر الأمم أن الرسل بلغتها الرسالات ، وهذا معنى كونهم شهداء على الناس كما روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُجَاءُ بِنُوحٍ يوم الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ: له هل بَلَّغْتَ؟ فيقول نعم يا رَبِّ. فَتُسْأَلُ أُمَّتُهُ هل بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: ما جَاءَنَا من نَذِيرٍ فيقول: من شُهُودُكَ؟ فيقول: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ فَيُجَاءُ بِكُمْ فَتَشْهَدُونَ ، ثُمَّ قَرَأَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم» {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً} ، وفي رواية لأحمد وابن ماجه: «يجيء النبي يوم الْقِيَامَةِ وَمَعَهُ الرَّجُلُ والنبي وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ وَأَكْثَرُ من ذلك فَيُدْعَى قَوْمُهُ فَيُقَالُ لهم: هل بَلَّغَكُمْ هذا؟ فَيَقُولُونَ: لاَ. فَيُقَالُ له: هل بَلَّغْتَ قَوْمَكَ؟ فيقول: نعم! فَيُقَالُ له: من يَشْهَدُ لك؟ فيقول: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ! فَيُقَالُ لهم: هل بَلَّغَ هذا قَوْمَهُ؟ فَيَقُولُونَ: نعم. فَيُقَالُ: وما عِلْمُكُمْ فَيَقُولُونَ: جَاءَنَا نَبِيُّنَا فَأَخْبَرَنَا أَنَّ الرُّسُلَ قد بَلَّغُوا». أنشد من الوافر هذه القصيدة اللامية!)

رســـــولَ الله يـــــا نـــــوراً تـــــلالا فبـــــدّدَ - فـــــي مـــــدائنا - الضـــــلالا

ويـــــا شمســـــاً تعقبـــــتِ الـــــدياجي وبـــــارك نورَهـــــا المـــــولى تعـــــالى

ويـــــا بـــــدراً توشّـــــحَ بـــــاللآلي ... ورب النـــــــاس قلـــــــدك الجمـــــــالا

بُعثـــــتَ فكنـــــتَ للـــــدنيا نجـــــاة ... فناولـــــــت المبـــــــادئ والكمـــــــالا

وأرشـــــدت الأنـــــامَ لكـــــل خيـــــر ... وكنـــــت - لكـــــل عارفـــــةٍ - مِثـــــالا

وأنقـــــذت الخلائـــــقَ مِـــــن دمـــــارٍ ... يُكلـــــف - مَـــــن يُخـــــامرُه - النكـــــالا

وأرســـــلك المليـــــكُ - لنـــــا - بشـــــيراً ... فعُلمنـــــــا الرشـــــــادَ والاعتـــــــدالا

وبـــــالقرآن جئـــــتَ ، فخيـــــرُ ذخـــــرٍ ... نتيـــــه بـــــه اعتـــــزازاً واختيـــــالا

وسُـــــنتك العظيمـــــة خيـــــرُ زادٍ ... بهـــــا اكتملـــــتْ ســـــعادتنا اكتمـــــالا

وسِـــــيرتك الجليلـــــة خيـــــرُ نبْـــــع ... لمـــــن يرجـــــو الهُـــــدى مـــــاءً زلالا

وشِـــــرعتك المنيـــــرة لا تبـــــارى ... فليـــــت النـــــاسَ تمتثـــــل امتثـــــالا!

ببعثتـــــك اســـــتفاد الكـــــل قطعـــــاً ... فمـــــن تبعـــــوك قـــــد شـــــدّوا الرحـــــالا

إلـــــى جنـــــات عـــــدن بعـــــد ســـــعي ... ونـــــالوا منـــــك - فـــــي المـــــأوى - الوصـــــالا

ومَـــــن عـــــادَوْك كنـــــت بهـــــم رحيمـــــاً ... وإن بـــــــدأوا المعـــــــامعَ والنـــــــزالا

فـــــإن مـــــاتوا فخيـــــرٌ مِـــــن حيـــــاةٍ ... بهـــــا اشـــــتغلوا - بكفـــــرهمُ - اشـــــتغالا

ومـــــن عاهـــــدت كنـــــت لهـــــم ظهيـــــراً ... فمـــــا عـــــانوْا ضَـــــياعاً أو قتـــــالا

ومـــــن هـــــم نـــــافقوا فقـــــد اســـــتفادوا ... فقـــــد أمِنـــــوا العـــــذابَ إذا تـــــوالى

بـــــدعوة (أحمـــــدٍ) خيـــــر البرايـــــا ... لأمتـــــه ، لـــــذا أمِنـــــوا الوبـــــالا

فصـــــلّ اللهُ مولانـــــا عليـــــهِ ... وصُـــــن عِـــــرض النبـــــيّ مِـــــن أن يُنـــــالا

دعَوْنـــــا الـــــرب نأمـــــلُ كـــــل خيـــــر ... ونحْـــــنُ إليـــــه نبتهـــــلُ ابتهـــــالا

رسالة إلى أمل

(أمل شابة في العشرين كان أحد اللصوص قد سرق في غفلة منها حقيبتها. ورأته فوعظته وعلمت منه أنه ذو حاجة وعيال ، فأعطته من مالها الكثير ابتغاء وجه الله ، شريطة أن يتوب إلى الله ففعل. قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. وقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾. وقال: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾. وقال: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. وقال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾. ولما خاض مسطح بن أثاثة فيما خاض فيه من حادثة الإفك ، وأنزل الله براءة عائشة رضي الله عنها ، وكان أبو بكر رضي الله عنه ينفق على مسطح لقرابته وفقره ، قال أبو بكر رضي الله عنه: "وَاللَّهِ لَا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ"! فَأَنْزَلَ اللَّهُ: (وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ). قَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي. فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا". رواه البخاري. ولقد روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا ، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ). وروى أحمد عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (مَا مِنْ رَجُلٍ يُجْرَحُ فِي جَسَدِهِ جِرَاحَةً فَيَتَصَدَّقُ بِهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ عَنْهُ مِثْلَ مَا تَصَدَّقَ بِهِ). صححه الألباني في "الصحيحة". وروى أحمد عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (ثَلَاثٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنْ كُنْتُ لَحَالِفًا عَلَيْهِنَّ: لَا يَنْقُصُ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ فَتَصَدَّقُوا ، وَلَا يَعْفُو عَبْدٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ يَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا ، وَلَا يَفْتَحُ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ). صححه الألباني في "صحيح الترغيب". وروى أحمد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: (ارْحَمُوا تُرْحَمُوا ، وَاغْفِرُوا يَغْفِرْ اللَّهُ لَكُمْ) .وصححه الألباني في "صحيح الترغيب". فكتبت لأمل الشابة العشرينية المسامحة الكريمة هذه الرسالة الشعرية مباركاً ، سائلاً الله أن يبارك فيها وفي مالها.)

قـــــد رفعـــــتِ عـــــن عائـــــل أثقالـــــهْ ... واحتملـــــــتِ فقـــــــراً أذل عيالـــــــهْ

واتخـــــذتِ الـــــوعظ البليـــــغ ســـــلاحاً ... عبقريـــــاً يفـــــوق ســـــيفَ الجهالـــــة

واســـــتميتِ فـــــي الرفـــــق يُـــــزري بعـــــاتٍ ... فالمتـــــابُ ـ عنـــــد الشـــــقيّ ـ اســـــتحالة

إن هـــــذا الأســـــلوب أمضـــــى وأجـــــدى ... إن فيـــــه للخصـــــم بعـــــضَ اســـــتمالة

ذو احتيـــــــاج وأســـــــرةٍ وعِيـــــــال ... وأظـــــن المســـــكين يشـــــكو البطالـــــة

أحرجتْـــــه هـــــذي الحيـــــاة كثيـــــراً بتكـــــاليفَ لـــــم تقمهـــــا عدالـــــة

ســـــربلتْه الأعبـــــاءُ حتـــــى تـــــردى وعليـــــه زاد احتمـــــالُ الكفالـــــة

كـــــل طفـــــل لـــــه مطالـــــبُ شـــــتى والظـــــروفٌ مســـــعورة لا محالـــــة

والـــــديونُ قـــــد أثقلـــــت كاهليـــــهِ كـــــم أتـــــى النـــــاسَ يشـــــتكي أثقالـــــه!

عنـــــدما لـــــم يُجْـــــدِ التســـــولُ شـــــيئاً مَـــــد كفـــــاً تســـــطو بكـــــل اســـــتطالة

تســـــرق النـــــاس - لا تبـــــالي - وتمضـــــي ثـــــم تـــــأوي - إلـــــى الحِمـــــى - فـــــي عُجالـــــة

ثـــــم جـــــاءت بنـــــتُ الكِـــــرام تـــــداوي جُـــــرح عبـــــد - علـــــى الخلائـــــق - عالـــــة

علمتـــــــه أن الحيـــــــاة كفـــــــاحٌ مـــــا اســـــتوى فيهـــــا صِـــــيدها والحُثالـــــة!

إن للصِـــــيدِ - فـــــي الـــــورى - خيـــــرَ دربٍ لـــــيس يقـــــوى عليـــــه أهـــــلُ الســـــفالة

(رسالة إلى عاق) بر الوالدين

(كم كتبنا عن عقوق الوالدين! ولا نزال نزيد الكتابة عن الترغيب في بر الوالدين والترهيب من عقوقهما! والأب ولو كان كافراً مشركاً فهو نعمة من الله لك أيها العاق ، لأنه كفاك إجابة سؤال الناس لك: من أبوك؟ والله لو حيزت لك الأرض كل الأرض وصرت مالكاً لها ، وكان الناس كل الناس عبيداً لك ، وملكت أضعاف الأموال التي كانت عند قارون ، وكنت ابن سفاح لا نكاح ، وسألك الناس من أبوك؟ لتمنيت أن تشتري لك نسباً بكل ما تملك! عن أبي هريرة- رضي الله عنه - قال: كنت أدعو أمّي إلى الإسلام وهي مشركة فدعوتها يوما فأسمعتني في رسول الله ما أكره فأتيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأنا أبكي. قلت: يا رسول الله إنّي كنت أدعو أمّي إلى الإسلام فتأبى عليّ ، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره ، فادعُ الله أن يهدي أمّ أبي هريرة ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «اللهمّ اهدِ أمّ أبي هريرة». فخرجت مستبشراً بدعوة نبيّ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلمّا جئتُ فصرت إلى الباب ، فإذا هو مجاف فسمعتْ أمّي خشف قدميّ ، فقالت: مكانك يا أبا هريرة ، وسمعت خضخضة الماء. قال: فاغتسلت ولبست دِرعها وعَجلت عن خمارها ففتحت الباب ثمّ قالت: يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله. قال: فرجعت إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأتيته وأنا أبكي من الفرح. قال: قلت: يا رسول الله أبشرْ فقد استجاب الله دعوتك وهدى أمّ أبي هريرة. فحمد الله وأثنى عليه وقال خيراً. قال: قلت يا رسول الله ادع الله أن يحبّبني أنا وأمّي إلى عباده المؤمنين ويحبّبهم إلينا. قال: فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «اللهمّ حبّب عُبيدك هذا- يعني أبا هريرة - وأمّه إلى عبادك المؤمنين وحبّب إليهم المؤمنين». فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلّا أحبّني. رواه مسلم. وعن أبي هريرة- رضي الله عنه - أنّ أمّه كانت في بيت وهو في آخر ، فإذا أراد أن يخرج وقف على بابها فقال: السّلام عليك يا أمّاه ورحمة الله وبركاته. فتقول: وعليك يا بُنيّ ورحمة الله وبركاته ، فيقول: رحمك الله كما ربّيتني صغيراً. فتقول: رحمك الله كما بررتني كبيراً). الأدب المفرد للبخاري. وعن أبي أمامة: «أن أبا هريرة كان يلي حمل أمه إلى المرفق وينزلها عنه ، وكانت مكفوفة كبيرة». البر والصلة لابن الجوزي. وعن عائشة أنها قالت: "كان رجلان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبر من كان في هذه الأمة بأمهما: عثمان بن عفان ، وحارثة بن النعمان ، فأما عثمان فإنه قال: ما قدرت أن أتأمل أمي منذ أسلمت. إنني أوجه أبياتي هذي لكل عاق لوالديه ليتوب إلى الله!)

أحسنْ إلى أبويك صاح كليهما ... حتى تؤديَ طائعاً حقيْهما

وابذلْ عطاءك كاملاً ومُكمَّلاً ... واشكرْهما - أبداً - على فعليهما

واحرص على استرضاء كل منهما ... واخفض جَناح الذل بين يديهما

وأطل دعاءك: يا إلهي ارحمهما ... إذ ربياني ، واغفرنْ لكليهما

هذي وصية ربنا وحدوده ... والفوز كل الفوز في بريهما

فهمـــا اللـــذان تجرّعـــا مُـــرّ الشـــقا ... وتحمّـــلا كُرَبـــاً مَحـــتْ صـــفويهما

وتكلفـــا مـــا لا ســـبيل لوصـــفه ... وتخضـــبتْ - بالمُعضـــلاتِ - يـــديهما

واليـــوم لقنـــك العقـــوقُ دروسَـــه ... وأراك تجحـــد - فـــي الـــورى - فضـــليهما

ناديـــت كـــلاً باســـمه ، وكأنمـــا ... نِـــدان قـــد بلـــغ السُـــوا رأســـيهما

أنســـيت كـــم ســـهرا عليـــك تولهـــاً! ... والنـــوم يُغـــري - فـــي الـــدجى – جفنيهمـــا؟

أغفلـــت عمـــا فـــي الطفولـــة مـــن ضـــنا ... كـــم كابـــداه بمـــا يشـــق عليهمـــا؟!

حتـــى يفعـــت ، وصـــرت ترفـــل فـــي الهنـــا ... أنكـــــرت دون مبـــــرر جهـــــديهما

تعـــسَ العقـــوقُ! فكـــم أذل ضـــحية! ... ذرفـــت دمـــوع المَعصـــيات لـــديهما

والبـــرُ أفضـــلُ مـــا اكتســـبت ســـجية ... وجنـــانُ ربـــك فـــي ثـــرى قـــدميهما

فاربـــأ بنفســـك أن تعـــقّ لحيظـــة ... واحـــذر ســـقوطك صـــاح مـــن نظريهمـــا

وكمـــا تـــدينُ تـــدانُ ، فاســـمعْ واعتبـــر! ... فـــإذا ابتغيـــت الخيـــر سُـــقه إليهمـــا

والكـــأسُ دائـــرة ، وهـــذي سُـــنة ... وتـــذكر الأبنـــاء فـــي إثريهمـــا

أوصـــيك بـــالأبوبين خيـــرَ وصـــيةٍ ... حتـــى تـــوفيَ قانعـــاً حقيهمـــا

أســـمِعْها طيـــبَ الكـــلام تعبـــداً ... كيمـــا تعطـــر بالصـــفا سَـــمعيهما

وأدمْ نوالـــك حِســـبة وتجمّـــلاً ... وأطـــلْ حـــديثك عـــن شـــذى بـــذليهما

واســـتروح النســـماتِ مـــن ذكـــرى الصـــبا ... واســـتنطق التـــاريخ عـــن جُوديهمـــا

واســـتجوب الأهلـــين والـــدار التـــي ... كانـــت تضـــم علـــى الهُـــدى نفســـيهما

يـــا صـــاح فـــاعلم ، والحقيقـــة مُـــرة ... كـــيلا تعـــذب بالجفـــا رُوحيهمـــا

يـــا رب ســـامحْ مَـــن تجـــاوز واعتـــدى! ... واغفـــر لمـــن أبـــواه سِـــئ إليهمـــا

رسالة إلى مُدمِن

(ظللتُ أنصحه بكل إخلاص ، وأحذره من خطورة المخدّرات والمُسْكرات والمُفتّرات ، ولكنه لم يستجب أبداً. وظل يتعاطى هذه السموم المهلكة حتى أصبح مدمناً. وعاونه على ذلك حمقه الشديد وشلة المفسدين الذين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف. وبات ذلك المدمن في حال لا يُحسَد عليه! وأجهزت المخدرات والمسكرات على صحّته ودمرتْ رئتيه وكبده. وزرته قدراً وهو مريض قد لزم الفراش فإذا به بعد تدهور صحته أشبه ما يكون بالشبح. قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ}. وأخرج الإمام مسلم والإمام أحمد وابن حبان عن ابن عمر رضي الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كل مسكر خمر وكل مسكر حرام". قال الله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ} ، وقال في سورة الأعراف في وصف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: {يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ}. وعن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كل مسكر ومفتر ، ومعلوم أن المخدرات من المفترات ، ولما في المخدرات من الأضرار العظيمة البالغة قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: كما في سنن ابن ماجه في كتاب الأحكام ، ومسند أحمد بن حنبل: (لا ضرر ولا ضرار). وعن جابر ـ رضي الله عنه ـ: "أَنَّ رَجُلاً قَدِمَ مِنْ جَيْشَانَ ، وَجَيْشَانُ مِنْ الْيَمَنِ فَسَأَلَ النَّبِيَّ عَنْ شَرَابٍ يَشْرَبُونَهُ بِأَرْضِهِمْ مِنْ الذُّرَةِ يُقَالُ لَهُ الْمِزْرُ فَقَالَ النَّبِيُّ: أَوَ مُسْكِرٌ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ ، إِنَّ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ؟ قَالَ: عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ أَوْ عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ". رواه مسلم. وأسهل شيئ عند المدمنين – شأنهم في ذلك شأن كل العُصاة والمذنبين – تبرير ما هو فيه وتهوين جريمته وعصيانه! وما أشدّها كلمة تجري على ألسنة العصاة أجمعين: (الرقص ليس بحرام – الغناء ليس بحرام – التدخين ليس بحرام – الموسيقى ليست بحرام – التبرج ليس بحرام – أكل الربا ليس بحرام)! وكان الأحرى بهم أن يقولوا: (كل شيئ حلال!) ولما كتب أحد العلماء كتاباً أسماه: (الحلال والحرام في الإسلام) واستدرك عليه آخرون بعض الأخطاء الواردة في الكتاب والتي كان سببها المباشر هو فرط الليونة والميل إلى التمييع في الأحكام لاستمالة المدعوين من غير المسلمين! والأصل: (فقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر!) فقال للأستاذ: أرى أن تسمي كتابك: (الحلال والحلال في الإسلام) فقال له الأستاذ: إذن اكتب كتاباً آخر هو: (الحرام والحرام في الإسلام)!)

أفنـــى شـــبابَك يـــا جهـــولُ مُخـــدّرُ ... وجنـــى عليـــك بمحْـــض طوْعِـــك مُسْـــكِرُ

ومضـــت ـ علـــى الأيـــام ـ صِـــحّة فـــارس ... كـــم عـــاش يَطـــرب للحيـــاة ويَســـمر!

كـــم كـــان يحظـــى بـــاحترام عشـــيرةٍ! ... والعبقـــري ـ بحـــب أهـــل ـ يظفـــر

كـــم كـــان يغبطـــه الأنـــام لرشـــده! ... وبـــه جميـــعُ النـــاس – دومـــاً ـ تفخـــر

وإذا تكلـــــم أنصـــــتتْ لحديثـــــه ... أســـماعُ قـــوم تحتفـــي ، وتقـــدّر

حتـــى هزلـــت مـــع الـــذين ترهّلـــوا ... وعلـــى المعاصـــي والـــذنوب تســـتروا

شـــربوا الخمـــور مـــع المُخـــدّر جهـــرة ... أوَمـــــا درَوْا أن المخـــــدّر منكـــــر؟

أدمنـــت شـــمّ (الكوكـــايين) بـــلا حيـــا ... حتـــى غـــدوت إلـــى الحضـــيض تســـيّر

وطفقـــت تلـــتمسُ التمتـــعَ والهنـــا ... فـــإذا الســـرابُ مُخـــيمٌ ومُســـعّر

وقـــد اكتويـــت بنـــاره وجحيمـــه ... وأراك تهـــذي باكيـــاً ، وتثرثـــر

وأنـــا الـــذي لمّـــا نصـــحتك لمتنـــي ... وســـخِرت منـــي ، وانبريـــت تُنظـــر

وزعمـــت نفســـك واعيـــاً مستبصـــراً ... والحـــق أنـــك لا تعـــي ، أو تبصـــر

إن التعـــاطيَ ـ للمخـــدّر ـ مِحنـــة ... تنـــدُ العقـــول ، وكســـرُها لا يُجبـــر

تعـــسَ الألـــى ســـكِروا ، وخـــاب فـــريقهم ... مِـــن كـــل سِـــكّير بسُـــكْر يَجْهـــر!

ومخـــدّراتُ القـــوم تـــدحرُ دارنـــا ... إن الـــديار بشـــؤمها تتـــأخر

والله حرّمهـــا ، وجـــرّم أهلهـــا ... وبـــدونها كـــل الـــدنا تتحضـــر

يـــا صـــاحبَ الإدمـــان أقصـــرْ ، وارتـــدعْ ... كـــيلا نـــراك مُخيّبـــاً تتحســـر

الصـــحة الزهـــراء تـــاجٌ شـــامخ ... فـــوق الـــرؤوس مَهيبـــة تتبختـــر

حـــافظ عليهـــا ، أنـــت مرهـــونٌ بهـــا ... أم أنهـــا ليســـت ـ ببالـــك ـ تخطـــر؟

ولســـوف تُســـأل يـــا مفـــرّط ، فانتبـــهْ! ... يـــا مَـــن أراك ـ مِـــن المـــواعظ ـ تســـخر

والمـــال مســـؤولٌ ، فتـــبْ عـــن سَـــفكه ... واحـــذرْ مصـــائبَ صُـــحبةٍ بـــك تمكُـــر

وعســـاك تُنصِـــت للـــذي ســـطرته ... شـــعراً ، وإنـــي ـ بالبليـــة ـ أشـــعر!

ربـــاه فاهـــدِ المُـــدمنين ، ورُدّهـــم ... للحـــق ، أنـــت ـ بفعـــل ذلـــك ـ أجـــدر

ضـــعفوا أمـــام المُغرضـــين ، فـــأدمنوا ... فـــاغفرْ لهـــم ، وسِـــواك مَـــن ذا يغفـــر؟

أغـــراهم الشـــيطان ، فانصـــاعوا لـــه ... حتـــى غـــوَوْا ، وقـــد اســـتمرّ يُغـــرّر

فاســـترْ علـــيهم ، إنْ أنـــابوا حِســـبة ... وســـواك مَـــن ـ فضـــلاً علـــيهم ـ يَســـتر؟

رسالة يسطرها الحب!

(سَطرَ هذا الصاحبُ أولَ رسالةٍ لخطيبته بعد اغترابه. ولما شرحت (الشيماء) ما خطه لها (أحمد) أعجبني الأسلوب فرحتُ أصوغ هذه الرسالة شعراً! وما أدراك ما رسائل المحبين المؤمنين الصادقين التي تنبض بالصدق والإخلاص! ذلك أنها تكتب على هدىً من الله وكتاب منير! وهذا أيضاً يعطيها صفة الديمومة ، وإن لم يكن زواج ولا زوجية!)

منـــــي إليـــــكِ تحيـــــة زهـــــراءُ ... يـــا عَفـــة الأخـــلاقِ يـــا (شـــيماءُ)

يشـــدو بهـــا حـــبٌ تســـامى بيننـــا ... وتشـــــرفتْ بســـــموّهِ العليـــــاء

فـــي خيـــر يـــوم أشـــرقتْ أنـــوارهُ ... وترنمـــــتْ بجمالـــــه الجـــــوزاء

حتـــى يحـــين لقاؤنـــا يـــا غـــادتي ... فـــي مصـــرَ إن شـــاء الإلـــهُ لقـــاء

حيّـــاكِ ربـــك يـــا خليلـــة (أحمـــدٍ) ... مـــا اســـتقبلتْ شـــمسَ الـــدنا الغبـــراء

وســـلمتِ مـــن بـــدع تحيـــقُ بقومنـــا ... يأســـى - لهـــا ولهولهـــا - الصُـــلحاء

أحببـــتُ فيـــكِ رزانـــة ونجابـــة ... بهمـــا تـــدِلُ الغـــادة العصـــماء

ديـــنٌ وأخـــلاقٌ وعِـــزة مَجْتِـــدٍ ... وتعفـــفٌ وعَراقـــة وإبـــاء

ومحبـــة للحـــق يصـــعبُ وَصْـــفها ... تُـــزري بمـــا قـــد صـــاغه البُلغـــاء

وإذا نطقـــتِ فقـــولُ مؤمنـــةٍ ســـمتْ ... واللفـــظ يـــدرك ســـرهُ الفهَمـــاء

وإذا أخـــذتِ أخـــذتِ دون تـــذلل ... وإذا منحـــتِ شـــدا بـــك الكُرَمـــاء

وإذا وعـــدتِ الآخـــرين صـــدقتهم ... ونهايـــة الوعـــد الصـــدوق وفـــاء

وإذا اؤتمنـــتِ فـــلا تُمَـــسّ أمانـــة ... حتـــى اقتـــدى - بفعالـــكِ - الأمنـــاء

وإذا اختلفـــتِ ، فللخـــلاف أصـــوله ... والـــودّ محفـــوظ ، فـــلا شـــحناء

وإذا كرهـــتِ ، فللأمـــور لهـــا صـــوىً ... لمّـــا تُســـببْ كرهَـــكِ الأهـــواء

مـــن أجـــل ذا أحببتهـــا ، وأردتهـــا ... زوجـــاً بهـــا عَيشـــي الـــدجيُّ يُضـــاء

واللهَ أســـألُ أن يُبـــارك حبهـــا ... إن الـــزواج بمثلهـــا نعمـــاء

رضيعة الحاوية!

(رزق ذلك الأب بابنة وثانية ، (وفي كل مرة يتوقع الولد). وعندما رزق الثالثة قرر أن يضعها عند حاوية القمامة ويتزوج. وقد كان ، فأخذها بالفعل تتلبط في دمائها ، ووضعها عند حاوية القمامة ، والكلاب تعوي بضراوة. فأشفقت الأم على رضيعتها! وقامت بسرعة مذهلة رغم ضعفها وتهالكها ، وانتشلت ابنتها في رحمة وحنان ، غير عابئةٍ بالأب القاسي الذي انتزعت الرحمة من قلبه. أما هو فتزوج من أخرى ، ورزق منها ثلاثة أولاد. وشاء الله أن تموت الزوجة الأولى وابنتاها الأوليان في حادث. بينما نجت الثالثة: (رضيعة الحاوية). وتمر الأيام والسنون ، ويذوق الأب الهوان على أيدي الأبناء الثلاثة. وأشفقتْ رضيعة الحاوية على أبيها ، وأخذته ليعيش معها بعد استئذان زوجها الذي لم يُمانع بل اعتبر صهره كأبيه. فلقد كان زوجها صالحاً ورعاً. وعاش الشيبة أسعد أيامه في المشيب في بيت ابنته ، التي كان يريد التخلص منها يوماً عندما رماها للكلاب ، فصار يبكي وينتحب. فسألته ابنته: هل قصّرتُ وزوجي في حقك حتى تبكي هكذا يا أبتاه؟ هل يزعجك الأولاد الصغار؟ فقال: لا. فسألتْ: ففيم بكاؤك إذن بهذه الطريقة؟ فأبى أن يُجيبها! فمازالت بإلحاحها المتلاحق حتى أخبرها بالحقيقة. وصدق الله: (آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً). فلم تتغيرْ معاملتها لأبيها من الإشفاق إلى الانتقام ، بل زادت في إشفاقها وإحسانها – شأن كرام الناس - ابتغاء مرضاة الله. يقول الدكتور عمر عبد الله المقبل في تعليقه على هذه القاعدة القرآنية ما نصه بتصريف: {آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا}. إن بعض الآباء قد تكون خَلْفته من الذرية بنات فقط! فيضيق لذلك صدره ، ويغتم لهذا الابتلاء ، فتأتي هذه القاعدة لتسكب في قلبه اليقين والرضا، وكم من بنتٍ كانت أنفع لوالديها من عددٍ من الأبناء؟ والواقع شاهدٌ بذلك. أعرف رجلاً لما كبرت سنه، كان أولاده بعيدون عنه في طلب الرزق ، فلم يجد هذا الوالد الذي خارت قواه وضعفت بنيته أكثر حنواً ورعاية من ابنته الوحيدة التي قامت بحقه خير قيام من جهة النفقة ، والرعاية الصحية، وصدق الله: {آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا}. هذا في الدنيا ، أما في الآخرة فالأمر أعظم ، والموقف أدل وأجل ، قال ابن عباس: (أطوعكم لله من الآباء والأبناء أرفعكم درجة يوم القيامة ، والله تعالى يُشَفِّع المؤمنين بعضهم في بعض ، فإن كان الوالد أرفع درجة في الجنة رفع إليه ولده ، وإن كان الولد أرفع درجة رفع إليه والده لتقر بذلك أعينهم).هـ. ومن المؤسف أن نسمع ونقرأ عن أناسٍ رزقوا عدداً من البنات ، يتذمرون بل قد يهددون زوجاتهم إن هُنّ ولدنَ لهم إناثاً ، وكأن الأمر بأيديهن ، وهذا من الجهل - في الحقيقة - إذ كيف يلام إنسان على أمر لا طاقة له به؟ ويا ليت من يقعون في هذا الأسلوب يتأملون في أمور منها: * هذه القاعدة القرآنية: (آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا). ليتهم يتأملون - أيضاً - قوله تعالى: {لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ، أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ}. قال ابن القيم : - معلقاً على هذه الآية -: "وكفى بالعبد تعرضاً لمقته - أن يتسخط ما وهبه". انتهى. ومما يحسن بمن ابتلي بالبنات أن يتذكر الأحاديث الواردة في فضل من عال البنات ورباهن حتى يبلغن. ومما يُذكر به المتضجر من الابتلاء بالبنات ، أن يقال له: هب أنك ضجرت ، وتذمرت ، فهل هذا سينجب لك ذكوراً؟ صحيح أن أغلب الناس جُبِلَ على حب الذكور ، لكن المؤمن ينظر إلى هذا الابتلاء بمنظار آخر ، وهو: عبودية الصبر ، وعبودية الرضا عن الله ، بل قد ينتقل بعض الموفقين إلى مرتبة الشكر ، لعلمه بأن خيرة الله خير من خيرته لنفسه ، وأن الله قد يكون صرف عنه شراً كثيراً حين حرمه من الذكور).هـ. وإذن فالله

وحده يعلم حقيقة الأبناء والبنات ومدى منفعتهم لنا! وصدق الله تعالى إذ يقول: (آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً)! فليتق الله تعالى كل أب وكل أم في أبنائهما! وإنني لما انفعلتُ بقصة رضيعة الحاوية أنشدت قصيدتي! فأنشدتُ من شعري حكاية على لسان الأب أقول فيها:)

ألا يـــــا بُنيـــــة لا تســـــألي ... وعـــــذر الإجابـــــة فلتقبلـــــي

وكيـــــف أبـــــثُ الجـــــوابَ الـــــذي ... أراه أمَـــــرَّ مـــــن الحنظـــــل؟

وكيـــــف أعبِّـــــرُ عـــــن قســـــوةٍ ... غزتنـــــي بأخـــــذ الهـــــوى المبطـــــل؟

وكـــــم تقتـــــل المـــــرءَ أهـــــواؤه! ... فســـــبحان - مَـــــن بـــــالهوى - يَبتلـــــي!

وكـــــم كنـــــت أرجـــــو بلـــــوغ الـــــذرى! ... فخـــــاب - بمـــــا أرتجـــــي - مـــــأملي!

وقـــــدّرتُ شـــــيئاً ، ولـــــم أنتبـــــه ... لمَـــــا خـــــط ربٌ قـــــديرٌ علِـــــي

فـــــلا تنكئـــــي الجـــــرح ، أو تعتبـــــي! ... كفـــــاني مؤاخـــــذة العُـــــذل

دعينـــــي بجرحـــــي ومَرثيتـــــي ... فـــــإن الـــــبلاءاتِ كالأجبُـــــل

ظلمتُـــــك دهـــــراً ، ولـــــم أكتـــــرث ... بمـــــا قـــــد تخبـــــأ فـــــي الغيـــــب لـــــي

ظننـــــتُ بـــــأني أصـــــبتُ ، لـــــذا ... ســـــعيتُ بـــــدرب الشـــــقا المُمْحِـــــل

ويومـــــاً حَملتُـــــكِ مســـــتكثراً ... عليـــــكِ المعيشـــــة فـــــي منزلـــــي

أردتُ لـــــكِ المـــــوت مســـــتغنياً ... بأختيـــــكِ عنـــــك ، ولـــــم أخجـــــل!

وألقيـــــتُ - بالمَهـــــد - مســـــتكفياً ... بثنتـــــين ، مـــــا لِـــــيَ مـــــن مَعْـــــدِل

ســـــوى أن ألـــــوذ بـــــزوج تفـــــي ... بأبنـــــاءَ - فـــــي النـــــاس - كالأشـــــبُل

يكونـــــون ردءاً يصـــــون الحِمـــــي ... ويبنـــــون - بـــــالعز - مســـــتقبلي

يـــــذودون عنـــــي إذا نـــــالني ... عـــــدوٌ بعدوانـــــه المُعضـــــل

وكـــــلٌ يهـــــب إلـــــى نصـــــرتي ... كـــــأني - بهـــــم - قائـــــدُ الجَحْفـــــل

فكـــــانوا عِقابـــــاً علـــــى فعلتـــــي ... بمســـــكينةٍ غـــــادةٍ عُطبُـــــل

فـــــذقت الأمَـــــرَّين مِـــــن كيـــــدهم ... ومـــــا الظـــــن بالشـــــيبة المُهمَـــــل؟

كـــــأن العقـــــوق حســـــامٌ ، لـــــذا ... أصـــــاب الكرامـــــة فـــــي مقتـــــل

لقـــــد جرّعـــــوني صـــــنوفَ الأذى ... وعشـــــتُ - عـــــن الخيـــــر - فـــــي معـــــزل

وآثـــــرتُ مـــــوتي علـــــى قـــــربهم ... فمـــــا نفـــــع قربـــــيَ مـــــن أرذل؟

وكـــــم بـــــتُّ - فـــــي الكـــــرب - مـــــن ليلـــــةٍ ... بقلـــــبٍ بنـــــار الجَـــــوى مُثقـــــل!

وكـــــم نمـــــتُ يعصـــــر بطنـــــي الطـــــوى ... لأن الهمـــــــوم غـــــدت مـــــأكلي!

وكـــــم عشـــــتُ أصْـــــلى بجمـــــر الأســـــى! ... كـــــأن العـــــذاب غـــــدا منهلـــــي

تواصَـــــوْا جميعـــــاً علـــــى نقمتـــــي ... فـــــآخرهم كـــــان كـــــالأول

وســـــاعَدَهم أننـــــي أشـــــيبٌ ... تعثـــــر فـــــي ليلـــــه الأليـــــل

وأنـــــي بـــــذلتُ الـــــذي اســـــطعته ... ولـــــم أبْـــــق لـــــو حفنـــــة القســـــطل

وأنـــــي ربطـــــتُ حيـــــاتي بهـــــم ... فعشـــــتُ - بخُـــــدلانهم - أصـــــطلي

وأنـــــي التمســـــتُ الهنـــــا عنـــــدهم ... فكـــــان هنـــــائي الشـــــقاءَ الجلـــــي

يمينـــــاً تحمّلـــــتُ مُـــــرّ الضـــــنا ... وقلبـــــي تميَّـــــز كالمِرجـــــل

وللشـــــيب حُكـــــمٌ ، فـــــلا تعجبـــــي! ... وإنـــــي رُددتُ إلـــــى الأرذل

فهـــــل قـــــد علمـــــتِ لمـــــاذا البُكـــــا ... بـــــدمع يفطـــــر قلـــــب الـــــولي؟

وكنـــــتُ احتفظـــــتُ بســـــري الـــــذي ... أعيـــــذكِ منـــــه ، فـــــلا تســـــألي

ألا فاصـــــفحي عـــــن أب مُجـــــرم ... ومُنِّـــــي بعفـــــوكِ لا تبخلـــــي

عرفتـــــكِ أوّابـــــة بـــــرَّة ... فجـــــودي بعطفـــــكِ يـــــا مـــــوئلي!

رفقاً بنفسك يا أبتاه!

(تمردتْ هذه الزوجة على زوجها. ولها منه بُنيات وأولاد. فبات الزوج المغلوب على أمره بين خيارين أحلاهما أمرّهما. فإما أن يصبر ويكابد من أجل أولاده وبناته ، وإما أن يطلق ويتزوج من أخرى ويتشرد الأولاد. إن الأولاد والبنات همُ الضحية في هذا الخيار الثاني. فانتحى ناحية ، وغلبته دموعه فجاءت ابنته الصغرى وجففت دموعه قائلة: رفقاً بنفسك يا أبت واصبر ، إن وعد الله حق! ولمّا استشار أهل الخبرة والتجربة والعلم ، وجدهم يكادون يُجمِعون على مبدأ واحد جوهرُه ومَفاده وخلاصته أنْ تكلفْ لها لتبقيَ على بناتك وأبنائك مادام الأمر في دائرة المُباحات! وتنازلْ بعض الشيء عن أغلب حقوقك من أجل الإبقاء على هذه الأسرة وذلك البيت! والحقيقة أن هذا السلوك هو الأرشدُ والأحكمُ من أجل الحفاظ على الكل: (الزوج والأبناء والبنات والزوجة نفسها!) وإذن فالحكمة تقتضي التصرفَ بشيء من التوازن والتنازل والتوافق!)

لغيـــــــر الله لا تحلـــــــو الشـــــــكاية ... وذل الحُـــــر مِـــــن أعتـــــى النِكايـــــة

ولـــــيس يـــــدومُ – بـــــالمخلوق - حـــــالٌ ... وكـــــم لاقيـــــتُ - مِـــــن زوجـــــي - الإذايـــــة

زواجـــــي كـــــان أشـــــرسَ عائـــــداتي ... فقـــــد أضـــــحى يُـــــؤرّخ للبدايـــــة

تُخيّرنـــــي الحليلـــــة بـــــين مُكثـــــي ... أصـــــارعُ حُمقهـــــا حتـــــى النهايـــــة

وبـــــين طلاقهـــــا أشـــــفي غليلـــــي ... فقـــــد عانيـــــتُ مـــــا فيـــــه الكفايـــــة

ومثلـــــي لا يُحَطمُـــــه التحـــــدي ... لأنـــــي قـــــد رفعـــــتُ الحـــــق رايـــــة

ولكـــــنْ للعِيـــــال علـــــيّ حـــــق ... وهـــــم أولـــــى بعطفـــــي والرعايـــــة

ومـــــا ذنبـــــي؟ ومـــــا ذنـــــبُ الضـــــحايا؟ ... وهـــــل أمســـــت لأمهـــــمُ الوصـــــاية؟

لتجعلنـــــا نلـــــوكُ جـــــوى الرزايـــــا ... بـــــلا خطـــــأ كســـــبنا ، أو جنايـــــة

لمـــــاذا الكيـــــدُ مِـــــن زوج وطفـــــل؟ ... أم التـــــدمير صـــــار لهـــــا هوايـــــة؟

لمـــــاذا - للصـــــواحب - كـــــل رفـــــق ... وللجـــــارات ترتجَـــــلُ العنايـــــة؟

أســـــائلُ مـــــا الـــــذي أودى بزوجـــــي؟ ... جنـــــونٌ؟ أم ظنـــــونٌ؟ أم وشـــــاية؟

وأيـــــن الـــــود إن غـــــدتِ المنايـــــا ... وسُـــــوءُ الظـــــن والتكـــــديرُ غايـــــة؟!

رموزٌ وإشارات

(أحياناً يكون الرمز الشعري مَهرباً ، وأحياناً يكون لغزاً يشقى به الشعر والقراء ، وتعجُم به الفكرة ويخفي مراد الشاعر فيموت شعره. إنني أقول: إن الشاعر الذي يوغل في الرمزية ، يئد شعره بكل ما تعنيه الكلمة من معان. وأيضاً الشاعر الذي يعمد إلى المباشرة في أشعاره يصنع الشيء ذاته في شعره. (وابتغ بين ذلك سبيلاً). فالشاعر الذي يضع شعره بين الرمزية والمباشرة هو الذي يضيف إلى شعره كل أسباب البقاء والإعجاب على مدى الدهر. وعلى اختلاف هذه الأجيال التي تتعاقب ، أدركتُ من خلال دراسة الشعر في القديم والحديث أن الرمز يجب أن يكون في مكانه ، وكذلك المباشرة يجب أن توظف في مكانها. والشاعر الرمزي الموغل في جُب الرمز العميق السحيق يجعل القارئ لا يستطيع أن يخرج بشيء من خلال اطلاعه على أي قصيدة من قصائده التي قتلها الرمز غموضاً. وكذلك الشاعر الذي يباشر في شعره أكثر من الحد الذي يجعل القارئ لا يفكر ولا يستنتج ولا يُعمل الفكر والنظر. إن كل نفس بداخلها تصورات واعتبارات ، وأذواق وفهوم وقيم ومعايير ، وأبعاد وأسرار ، وتخيلات وحقائق ، وتقاليد ورؤى ، قد تبدي من ذلك كله ما تتسع له قلوب محدثيها ومستمعيها ، في وقت معين من الأوقات ، وفي ظرف من الظروف ، وقد تخفي البعض الآخر، ريثما تتهيأ ظروف مناسبة له ، وضمائر كذلك تلائم ما عندها. وقد تكلفها صراحتها في فترة من الفترات العنت الكثير ، وما لم تكن تحتسب من العذابات ، فتعمد آسفة نادمة إلى التلميح والرمز والإشارات والغموض والتعريج في اللفظ والقول والعمل والتصرف ، وترى أنه لا بديل عن ذلك ، ولكنها تتخذه لها أسلوباً في التعامل ، إلى أن يحين مناخ تسود فيه الصراحة والصدق ، وتحترم فيه الكلمة وتراعى فيه الأمانة ، ويُتبنى فيه الشعر ، وينشد هنا وهناك ، ليجد من يستمع وينقد وينصح ويقول للمحسن أحسنت لأنه يستحق الثناء والمدح والإطراء ، ويقول للمسيء أسأت لأنه يستحق الذم والتجريح والنيل بالحق. كم أتمنى أن تزول عبارة: (والمعنى لا يزال في بطن الشاعر!) من قاموس النقد الأدبي المعاصر. ذلك أن النقاد عندما يتناولون قصيدة موغلة في الرمزية والإشارة ، أو نصا غارقاً في الغموض والإبهام ، فإنهم يعمدون إلى وضع الاحتمالات للمعاني التي يقصدها الشاعر ، وبعد إيرادها وذكرها وتفنيدها يذيّلون نقدهم قائلين: والمعنى الدقيق المراد لا يزال في بطن شاعر هذا النص! الأمر الذي يجعل من الشعر الموغل في الرمز لغزاً من الألغاز الهيلوغريفية التي لا يستطيع أحد فك رموزها! وكأننا في خواتيم القرن العشرين بحاجة إلى شامبليون جديد ليفك لنا رموز حجر رشيد لأنها كتبت بغير العربية! نعم يتخيل الشاعر ، نعم يسمو على اللغة الدارجة السوقية ، نعم يُورد البيان والبديع والخيال والإيحاء. ولكن لا يكون ذلك طريقاً يُوصل إلى الغموض الذي لا تفهم معه مرادات الشاعر من النص. وإذا كان تخيير بين الرمزية الغامضة تلك والمباشرة الواضحة البينة (وكلاهما لا يصح) فليكن إذن مبدأ المباشرة على أنه لا يصح كما ذكرت. ولكنه يوصل إلى المراد من النص الشعري ذاته وهذا شيء مطلوب مرغوب لكيلا نقرأ ما لا نفهم من شعر الرمز والإشارة والغموض الذي تقذف به المطابع كل يوم!)

إن رمـــــزي فـــــي حروفـــــي منعطـــــفْ والجـــوى - فـــي القلـــب - يكـــوي والأســـفْ

ورداءُ الـــــــنفس رمـــــــزٌ خـــــــائفٌ وثيـــــــابُ الفكـــــــر تيـــــــهٌ مرتجـــــــف

ونـــــــزاعُ الـــــــروح أودى بـــــــالهوى وحنـــــــانُ الـــــــنفس عنـــــــي منصـــــــرف

وعـــــذاب القلـــــب أدمـــــى أضـــــلعي ونصـــــيبُ الصـــــدق فـــــي الـــــدنيا العَجَـــــف

ورمـــــاحُ الجُـــــبن فـــــي القلـــــب انـــــزوتْ وفـــــؤادي فـــــي كروبـــــي ينحســـــف

وخيـــــالُ الـــــوهم بالعقـــــل مضـــــى واحتـــــواني فـــــي مُلمّـــــاتي الشـــــغف

والرفـــــاقُ الصِّـــــيدُ خـــــانوا رفقتـــــي وإذا بالصـــــحب غـــــالوْا فـــــي الوَكَـــــف

ولـــــذا فـــــالرمز أمســـــى مركبـــــي ثـــــم بـــــات - اليـــــومَ - لـــــي الخـــــل الأَلَـــــف

قـــــد مزجـــــتُ الرمـــــز فـــــي شـــــعر العنـــــا فاســـــتوى رأيـــــاً ســـــديداً يـــــأتلف

ثـــــم أعطيـــــتُ يراعـــــي همّتـــــي فاســـــتوى دُرّاً يُحليـــــهِ الصـــــدف

والأمـــــاني فـــــي فـــــؤادي غضـــــة لـــــم يعـــــد بالقلـــــب شـــــيءٌ مـــــن أفـــــف

وإشـــــارات قريضـــــي مـــــوئلي مـــــن بحـــــار الشـــــعر كفّـــــي تغتـــــرف

وحـــــروفُ الشـــــعر صـــــحبي والحِمـــــى مـــــن معـــــين الشـــــعر قلبـــــي يرتشـــــف

أكتـــــب الرمـــــز ، أواري ثـــــورتي ثـــــم لـــــي مـــــن خلفـــــه كـــــل الهـــــدف

ثـــــم بـــــات الرمـــــز دأبـــــي والـــــردا إننـــــي بـــــالرمز - دومـــــاً - ألتحـــــف

فلقـــــد جرّبـــــتُ صـــــدقي والوفـــــا فوجـــــدتُ الصـــــدق يُـــــودي بـــــالحَنف

فاتخـــــذتُ الرمـــــز ســـــتراً لازمـــــاً فلقيـــــتُ الرمـــــز أنسِـــــي والتـــــرف

أنســـــج الرمـــــز خيـــــالاً جامحـــــاً ولبيـــــبُ النـــــاس يـــــدري المنعطـــــف

ولـــــيَ الأشـــــعارُ تُغضـــــي خجـــــلاً وبـــــذاك الفضـــــل إنـــــي أعتـــــرف

كـــــم ألان الله لـــــي مـــــن فكـــــرةٍ مـــــن خـــــلال الشـــــعر أضـــــحتْ تُستشـــــف!

لـــــيس كـــــل النـــــاس تـــــدري فكرتـــــي وســـــقيمُ الفهـــــم دومـــــاً يعتســـــف

جريدة الوحدة العربية - 2 مايو 1996م

رؤياك

(عاش ذلك الرجل مأزقاً عجيباً في بيته ، فدعا الله عز وجل ثم نام. فرأى أباه في المنام يرشدُه وينصحُه ، فقام في الصباح ، وفعل ما أمره به أبوه ، فجاء اليُسر وفرّج الله عنه. ورؤية الأب في المنام ممدوحة! ومن هنا رحتُ أنشد حكاية بالشعر عن ذلك الرجل وهو يتحدث لأبيه! في صحيح مسلم: (عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: «لاَ يَجْزِى وَلَدٌ وَالِدًا إِلاَّ أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ ». وَفِى رِوَايَةِ ابْنِ أَبِى شَيْبَةَ « وَلَدٌ وَالِدَهُ ». وفي مسند أحمد وغيره (أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - يُخَاصِمُ أَبَاهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا قَدِ احتَاج إِلَى مَالِي فَقَالَ: «أَنْتَ وَمَالُكَ لأَبِيكَ». وفي سُنن ابن ماجه قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - «إِنَّ أَوْلاَدَكُمْ مِنْ أَطْيَبِ كَسْبِكُمْ فَكُلُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ». وليس أحلى في حق الوالدين من الإحسان إليهما!)

جُبْـــت المســـافاتِ عبْـــرَ الليـــل مُحتســـبا ... لكـــي تُناصـــحَ مَـــن فـــؤادُه اضـــطربا

وذقـتَ مـا ذقـت مـن سـعي ومـن نصـب ... تقبّـــلَ الله منـــك الســـعيَ والنصَـــبا

وجئـــت تُرشـــد مَـــن كَلـــتْ بصـــيرتهُ ... فنـــام - مِـــن ثقـــل البلـــواء - مكتئبـــا

وبـــات يشـــكو - إلـــى الـــرحمن - حيْرتـــه ... وشَـــعرُ لحيتـــه - بدمعـــه - اختضـــبا

يبكـــي مِـــن الضـــنكِ قـــد طمّـــتْ دغاولـــه ... وقلبُـــه - مـــن أســـى شـــجونه - انتحبـــا

وظنـــــه أن رب النـــــاس مُنقـــــذه ... وســـوف يَصـــرفُ عنـــه الضـــيقَ والنوَبـــا

حتـــى أتيـــت فزالـــت كـــل كارثـــةٍ ... فقـــد وجـــدتك فيمـــا قـــد لقيـــت أبـــا

أشـــرت بـــالرأي - بعـــد الـــلأي - مُجتهـــداً ... فاغتـــال رأيُـــك مِـــن مَشـــاعري الكُربـــا

فبـــتُ أدعـــو - لـــك المليـــك - مرتجيـــاً ... غفـــرانَ ذنبـــك إذ جنبتنـــي التعبـــا

إذ فـــرّج الله مـــا عانيـــتُ مـــن غَصـــص ... وثبّـــت الله قلبـــاً خائفـــاً لجبـــا

رؤيـــاك كانـــت - مـــن القيـــوم - ميســـرةً ... فبـــاركَ اللهُ مَـــن قـــد جـــاء محتســـبا

قـــد جـــاء يحمـــل عِبئـــاً ضـــجّ حاملـــه ... وعـــاش مـــا عـــاش فـــي الـــدنيا أبـــاً حَـــدِبا

طـــوى الفيـــافيَ - عبْـــرَ الليـــل - محـــتملاً ... وَعْثـــاءَ ســـفْر يزيـــدُ الهـــمّ والوصـــبا

عافـــاك ربـــي مِـــن البلـــواء تعصِـــرني ... فـــي غربـــةٍ تحْـــرقُ الأبـــدانَ والعَصَـــبا

زفراتُ العذراء الخجلى بين الغموض والبيان

(تزوجتْ أشيبَ راغبة ، ثم تطلعتْ للحرام. ولكن كيف وهي مؤمنة؟ فكانت زفراتُها لُغزًا من ألغاز النفس. فهل كان الخطأ خطأها أم خطأ الأشيب؟ قال تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً * يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ * وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ) وقال: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ * وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا * إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِير) وقال: (وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ * أَفَلَا يَعْقِلُون) وقال: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا * وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ * وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ * إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ). وقال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ من بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا....) وقال: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا * وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ مِنْ قَبْلُ * وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون). ومن هنا كان عليه أن يرحم نفسه ويرحمها ويراعي مقتضى الحال! غير أنني تأثرتُ بالعروس أكثر!)

أَحَاسِيسٌ تُسَاوِرُنِي عِجَابُ ... وَقَلْبٌ فَوْقَ هَامَتِهِ الحِرَابُ

وَنَفْسٌ تَحْتَ مِطْرَقَةِ التَّدَنِّي ... وَذَاتٌ فِي جَوَانِحِهَا السَّرَابُ

وَرُوحٌ تَعْبُدُ الرَّحمَنَ صِدْقاً ... وَيعْصِمُهَا عَنِ العُهْرِ الكِتَابُ

وَعَاطِفَةٌ تُحَلِّلُ مَا تُلاقِي ... وَتَعْتِبُ ، ثَمَّ يطْعَنُهَا العِتَابُ

وَجِسْمٌ يشْتَهِي مِنْ كُلِّ شَيءٍ ... كَأَنَّ مُرَادَهُ شَهْدٌ مُذَابُ

وَعَينٌ تُبْصِرُ الشَّهَوات تَتْرَى ... ولا يُخْفِي مَكَامِنَهَا حِجَابُ

وَعَذْرَاءٌ تُحِبُّ الطُّهْرَ لَكِنْ ... تَدَاعَتْ حَوْلَ غُرْفَتِهَا الذُّئَابُ

تَبِيتُ اللَّيلَ تَنْشُدُ شَطْرَ زَوْجٍ ... يُعَوِّضُهَا إِذَا نَبَحَ الكِلابُ

وَيُتْرِعُ عَيشَهَا وُدًّا وَحُبًّا ... ليهْجُرُهَا إِلَى الأَبَدِ العَذَابُ

مَتَى آوِي إِلَى زَوْجٍ أَلِيفٍ ... يُوَدِّعُنِي إِذَا حَلَّ الضَّبَابُ؟

مَتَى ينْزَاحُ عَنْ قَلبِي غَمُوضٌ؟ ... مَتَى يا نَاسُ ينْقَشِعُ السَّحَابُ؟

لِمَاذَا تَحْطِمُ البَلْوَى طَمُوحِي ... وَيدْعُونِي إِلَى الدُّعْرِ الصِّحَابُ؟

لِمَاذَا لا أَرَى حَلاً لِلُغْزِي؟ ... أَمَا لِسُؤَالِ حَائِرَةٍ جَوَابُ؟

أَلا يوْمًا سَأَجهرُ بِالخَفَايَا ... وَسَوْفَ يُزَاحُ عَنْ جرْحِي النِّقَابُ

وَطَاعَةُ رَبِّيَ الرَّحْمَنِ أَوْلَى ... وَذَا حَقِّي ، وَلَو نَعَقَ الغُرَابُ

زمان الحب

(إنها قصة الزوج المبتلى البائس الذي استزله الشيطان ببعض ما كسب ، وما زال به حتى هدم عليه بيته وحطم أسرته! ولندعه يروي قصته لنا بنفسه حيث يقول: عشنا معا حبيبين في أسمى صور الحب والمودة. ورزقني الله منها الأولاد والبنات. ثم نزغ الشيطان بيني وبينها. ومازال يوسّع هوّة الخلاف حتى اتسع الخرق على الراقع. فطلقتها دون ذنب جنته. فلما لزمت دار قومها ، وتابعوها على ذلك. ولم تكن هناك أدنى محاولة للإصلاح. وإذا بأولادي بأمزجتهم ومراداتهم ، فأدركتُ أني عاجز عن تلبية مطالبهم وتعويضهم عن الأم التي فارقت ، وأنني أخطأت إذ تسرّعت في قرار يجلب الشقاء الأبدي لهذا البيت. فعدتُ إلى رشدي وانطلقتُ إلى دار قومها وراجعتها عازماً على أنْ لا أعود لمثل هذا العمل في حياتي! وتحت عنوان: (الخطأ وتصحيح المسار والتراجع في الرأي والقرار) يقول الأستاذ محمد بن محه الغويدي ما نصه: (إن الإنسان مهما علا شأنه وطال به زمانه ؛ لا بد وأن يقع منه الخطأ ؛ لأنها طبيعة البشر ؛ والإنسان العاقل هو الذي يستفيد من خطأه ولا يستمر في عناده ، إن العاقل الذي إذا وقع في خطأ سارع بالاسترجاع ، وحاول تصحيح الخطأ الذي وقع فيه سواءٌ كان ذلك الخطأ لفظياً أو كتابياً ، مع أنه ـ في الغالب ـ عزيز على النفس ، ويبقى الواحد منا في صراع نفسي بين التصحيح أو الاستمرار في الخطأ. إن الخطأ المحض قد بان ولا يمنعه من التراجع سوى العناد والكبرياء ، لهذا لا يقوم بالاعتذار والتصحيح سوى العاقل الذي وفقه الله لذلك. وكن كقاضي البصرة عبيد الله بن الحسن بن حصين التميمي العنبري حين أخطأ في مسألة جانب فيها الصواب وقال كلمته الشهيرة التي أصبحت حكمة عظيمة تتناقلها الأجيال ولم يمنعه من قولها كونه قاضياً فانظر ماذا قال: (لأن أكون ذنَباً في الحق ، أحب إلي من أن أكون رأساً في الباطل). ولما أصبح حماد بن أبي سليمان من المرجئة بعد أن كان من أهل السنة قال له معمر: كنت رأساً وكنت إماماً في أصحابك فخالفتهم فصرت تابعاً؟ قال حماد: إني أن أكون تابعاً في الحق خير من أن أكون رأسا في الباطل". سير الأعلام. ثم إنه ليس غريباً البتة أن يكون الواحد منا مناصراً لقضيةٍ ما ويدافع عنها بكل ما أُوتي من قوة ، ثم ما يلبث إلا أن يتراجع عن ذلك بعد أن يتبين له ، واستوضحت له دلالات توضح له أنه كان على خطأ ، وهذا هو التعديل السليم الذي لا يفعله إلا من ـ سدده الله عز وجل لذلك ـ ثم ما الذي يمنعنا من تغيير مواقفنا إن تبين لنا الخطأ؟ بل هو التغير الإيجابي للأفضل).هـ.
ومن هنا أنشدت على لسان ذلك الزوج المتهور الذي طلق زوجته ، ثم لمّا تبين له الحق ردّها آسفاً إلى بيتها!)

يـــا زمـــان الحـــب شـــاركْني الهمـــومْ ... واســـمع القصـــة مِـــن عبـــدٍ ظلـــومْ

مُـــذ تزوّجنـــا شـــدَتْ أفراحُنـــا ... وتمتعنـــا بـــألوان النعـــيم

وتســـامرْنا بأطيـــاف المُنـــى ... واهتـــدينا للصـــراط المســـتقيم

وكـــأن الحـــب لـــم يشـــهدْ ســـوى ... مســـتهامَين همـــا (ســـعدٌ ورِيـــم)

وعلـــى التقـــوى نمـــا أولادُنـــا ... وتغلبنـــا علـــى كيـــد الخصـــوم

لكـــنِ الأحـــوالُ هـــذي لـــم تـــدمْ ... ليســـتِ الـــدنيا علـــى حـــال تـــدوم!

وســـوسَ الشـــيطانُ ، فـــانزاحَ الهنـــا ... وتعـــيسُ الحـــظ أغـــواه الـــرجيم

أوقـــــدَ النـــــار فشـــــبّتْ فِتنـــــة ... فاصـــطلى البيـــتُ ببلـــوى فـــي الصـــميم

حيـــث طلقـــتُ التـــي كـــم أحســـنتْ ... وأعـــانتني علـــى الـــدرب القـــويم!

ودهـــــى الأولادَ حـــــزنٌ قـــــاهرٌ ... واعتـــراهم مـــن لظـــى الكـــرب الوُجـــوم

لقنـــوني الـــدرسَ وهّـــاجَ الســـنا ... أن فضـــل الأم - فـــي الـــدار - عظـــيم

قلـــتُ: يـــا أبنـــاءُ إنـــي مخطـــئٌ ... وأنـــا البـــادي علـــى وجـــه العمـــوم

وعلـــيّ اليـــوم تصـــويب الخطـــا ... عـــودة الأم ســـتجتث الغمـــوم

ثـــم مَـــنّ الله إذ راجعتُهـــا ... جـــلّ شـــأنُ الخـــالق البـــر الـــرحيم

وتســـابقنا - إلـــى البيـــت - معـــاً ... وطرقنـــا البـــاب ، فانجابـــتْ همـــوم

واحتفـــى الأولادُ فـــي اللقيـــا بنـــا ... وتعاهـــدنا علـــى الوصـــل الحمـــيم

أيهـــا اللـــوّامُ مـــا أحقـــرَكم! ... إنّ مَـــن يهـــوى التصـــافيْ لا يلـــوم

كـــلّ مَـــن يُكـــرمُ دومـــاً أهلـــه ... فهْـــو عنـــد الله مِفضـــالٌ كـــريم

والـــذي دومـــاً يُـــدَني أهلـــه ... فهـــو مـــرذولٌ ومبغـــوضٌ لئـــيم

هكـــذا أوصـــى النبـــي المصـــطفى ... قـــائلاً: يـــا نـــاسُ رفقـــاً بـــالحريم

وأنـــا أعلنـــتُ تـــوبي عازمـــاً ... أنْ أصـــونَ الأهـــلَ والبيـــت الحشـــيم

يـــا زمـــان الحـــب حَـــذرْ مَـــن طغـــى ... وارتـــأى التطليـــق حَـــلاً للكُلـــوم

أوصـــه بـــالحِلم فـــي أفعالـــه ... إنمـــا يفلـــحُ فـــي الطـــيش الحلـــيم

واخـــتلافُ النـــاس حَـــتمٌ لازمٌ ... لـــيس يســـمو فوقـــه إلا الحكـــيم

والطـــلاق اليـــوم أدمـــى جيلنـــا ... وإذا بالـــدار أمســـت كالصـــريم

رب أنقـــذنا ، وأصـــلحْ شـــأننا ... أنـــت بالســـر وبـــالنجوى علـــيم!

سارق الغنم

(ص 38 من (حدث في المحكمة) لسلمان العمري. تأتي قصة صاحب غنم ذهب ليبيعها. وفي الطريق التقى برجل افترض فيه الخير ليساعده على البيع! وفي النهاية سُرقت الغنم. خرج من بيته صباحاً على سيارته (الداتسون) ومعه غنم فلقي شخصاً من إحدى البلاد وأركبه معه ، ولأنه هو الذي طلب أن يركب معه فأذن له أن يركب بشرط أن يعينه على أن يمسك معه غنمه وينزلها في سوق الغنم في إحدى البلدان المحاذية لطريق الحجاز فاستجاب له ، فلمّا وصل إلى حراج الغنم وبدأ المحرّج أو الدلال ينادي على البيع ، وكان الدلال كلما وصل إلى رقم التفت إلى صاحب الداتسون وقال: أتبيع بهذه القيمة؟ فيلتفت صاحب الداتسون إلى الذي كان معه راكباً ويقول: لا يا أخي يرفض صاحب الحلال يريد أكثر ، فيلتفت إلى دورة المياه! وبقي الرجل الذي ركب معه ، فيقول: تبيع ، فيقول: لا ، أريد أكثر! واستمر على هذا الحال حتى ذهب إلى دورة المياه وبقى الرجل الذي ركب معه ، وأخذ الدلال ينادي عليها فالتفت إليه أخيراً وقال: تبيع؟ قال: نعم فأخذ القيمة وأدخلها في جيبه وولى هارباً ولم يعقب! ثم جاء صاحب الداتسون ، وقال: أين الغنم؟! قال: بيعت. فقال صاحب الداتسون: والقيمة ، قال: سُلمت لصاحبها ، ألم تقل: لنا قبل قليل إن هذا هو صاحبها ، وكل من في السوق يشهد عليك ، قال: إي والله قلت ذلك وكذبت طمعاً في زيادة المال! فأستحق هذه العقوبة! فذهب خاسراً نادماً على كذبه وهو يحوقل ويولول أنه كذب فجوزي بهذا العقاب ، وذهب ذلك الذى أخذ المال وعرض زاعماً لنفسه أنه كسب الغنمتين وصولاً لمشواره مجاناً والنقود التي أخذها وأدخلها في جيبه ، ونسي المسكين أنه يدخل في جوفه ناراً وأنه يطعم أهله من هذا المال الذي يكون لهم حلالاً وعليه حراماً وينوء بوزره وإثمه ، نسأل الله لنا ولكم العفو والعافية والسلامة ، ولهذا فإن الصدق منجاة ، وهو أعظم طريق يصل به المؤمن إلى الجنة! والصدقُ له قيمة عظيمة في ديننا! ولا يكون المؤمن كذاباً إذ الكذب يتنافى مع الإيمان! عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: (قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الناس أفضل؟ قال: "كل مخموم القلب ، صدوق اللسان" ، فقالوا: صدوق اللسان نعرفه ، فما مخموم القلب؟ قال: "هو التقي النقي ، لا إثم فيه ، ولا بغي ، ولا غل ، ولا حسد) (قالوا: فمن يليه يا رسول الله؟ قال: "الذي يشنأ الدنيا ، ويحب الآخرة" ، قالوا: ما نعرف هذا فينا إلا أبا رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: فمن يليه؟ قال: "مؤمن في خلق حسن"). والحديث صحيح. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لم يدع الخنا والكذب ، فلا حاجة لله - عز وجل - في أن يدع طعامه وشرابه". والحديث صحيح. وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: "ما كان خلق أبغض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ، ولقد كان الرجل يحدث عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكِذبة ، فما يزال في نفسه [عليه] حتى يعلم أنه قد أحدث منها توبة ". والحديث صحيح. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "التاجر الصدوق الأمين ، مع النبيين والصديقين والشهداء". والحديث صحيح. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق ، حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا". والحديث صحيح. ونسأل الله أن نكون من

الصادقين! ومن هنا أنشدتُ من شعري هذه الموعظة الشعرية لهذا الرجل الذي بكذبه أودى بماله وحلاله! فليعتبر بهذه الكذيبة ولينتهج الصدق درباً وليحذر الكذب والكاذبين!)

هـــدادِيكَ يـــا مـــن رميـــت الغـــنمْ ... وخـــلّ الجـــوى والأســـى والألـــمْ

أتفتـــرضُ الخيـــر فـــي ســـارقٍ ... بـــأعتى جرائمـــه مُـــتهم؟

أتجعـــل منـــه البـــرئ الـــذي ... قـــلا الفحـــشَ - بـــين الـــورى - واللمـــم؟

أتُعطيـــه سِـــرّكَ مُســـتغنياً ... عـــن النصـــح يـــدفع عنـــكَ الـــنقم؟

أتُلقـــي الأمـــان علـــى ظـــالم ... عـــديم الوفـــا خـــائن مجتـــرم؟

أتُكْبـــرُ مســـتلئماً غـــادراً ... وبـــين يديـــه تســـوق الغـــنم؟

ليســـلب منـــك القطيـــعَ ضـــحىً ... وتـــأتي المحـــاكم كـــي تختصـــم؟

ألـــم تســـأل الـــنفسَ عـــن جهلهـــا ... بسَـــمْت التعامـــل بـــين النســـم؟

ولـــم يكـــن الأمـــرُ مســـتغلقاً ... عليـــك ، ولـــم يـــكُ بـــالمنبهم!

لتســـأل عنـــه وعـــن دينـــه ... وتعلـــمَ مـــا عنـــده مـــن قـــيم

لأن الخلائـــق ليســـت سَـــوا ... ولا يســـتوي النـــذلُ بـــالمحترم!

طبـــائعُ فـــي النـــاس قـــد رُكّبـــتْ ... فســـبحان خـــالقهم مِـــن عـــدم!

فأوصـــافُ أغلـــبهم تُـــزدرى ... ويَلفظهـــا كـــل فـــذٍ فهـــم

وبعـــضُ المخـــاليق فـــي عِـــزةٍ ... لأنهـــمُ فـــي رفيـــعُ القمـــم

وبعـــضُ المخـــاليق فـــي ذلـــةٍ ... لئـــامُ الطبـــاع ، لئـــامُ السِـــيَم

فكيـــف تســـاوتْ معـــاييرُهم ... فلـــم تـــدر (كيـــف) ، ولـــم تـــدر (كـــم)؟

فلُـــمْ نفســـك الـــدهرَ مســـتعتباً ... لقـــد ينفـــعُ اللـــومُ قبـــل النـــدم!

سبق تقوى النفس الفجور

(ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها. وإن الذي يأخذ بأسباب التقوى تزكو نفسه. والذي يأخذ بأسباب الفجور تُدَسّى نفسه. وعبر الحافلة المسافرة ، أدار السائق الفيلم كعادته ، كما يفعلون في الطائرات والسفن. فلا تسْلم العيونُ لا في الأرض ولا في الجو ولا في البحر من النظرات الخائنة المحرّمة. ودار الجدالُ مع السائق فاقتنع. ولكنّ الركاب المسافرين هاجوا ، ثم أصرّوا على الفيلم. وانتصروا ، وأدير الفيلم رغم أنف من أنكر وقال ، يا قوم اتبعوا المرسلين! ويبين حقوق النفس على صاحبها الشيخ محمد بن إبراهيم السبر فيقول ما نصه: (الإسلام دين السَّماحة واليُسْر ، يُساير فطرة الإنسان وحاجاتِه ، فحين شاهدَ النَّبيُّ صلى الله عليْه وسلَّم الحبشةَ يَلعبون ، قال: (لتعلم يهودُ أنَّ في دينِنا فسحةً ، إنِّي أُرْسِلتُ بِحنيفيَّة سَمْحة) ؛ رواه أحمد. فبعضُ النَّاس لا يرى في الحياة إلا العملَ المُتواصِل ، وآخرون يَرَوْنَها فرصةً للمُتْعة المطلقة ، وتأتي النُّصوص الشرعية فيْصلاً لا يُشَقُّ له غبار ، فيشعر بعدها هؤلاءِ وهؤلاءِ أنَّ هذا الدِّين وسطٌ ، وأنَّ التَّوازُن في حياة المسلم مَطلبٌ ؛ قال ابن مسعود رضي الله عنْه: "كان النَّبيُّ صلى الله عليْه وسلَّم يتخوَّلُنا بالموعظة في الأيَّام ؛ كراهةَ السَّآمة عليْنا". رواه البخاري ومسلم. ذلك أنَّ السَّآمة والملَلَ يُفْضِيان إلى النُّفور والضَّجر، يقول علي بنُ أبي طالب: "إنَّ القُلوب تَمل كما تَمل الأبدان ، فابتغُوا لها طرائفَ الحِكم". ويقول أيضًا: "روِّحوا القُلوبَ ساعةً بعد ساعة ، فإنَّ القلب إذا أُكْرِه عمِي". ويقول أبو الدَّرداء: "إني لأستجمُّ قلبي باللَّهْو المُباح ليكونَ أقوى لي على الحقِّ". وقال عمر بن عبدالعزيز: "تَحدَّثوا بكتاب الله وتَجالسوا عليه ، وإذا مِلْتم فحديثٌ من أحاديث الرجال". وهذا نبينا عليه السلام يقول: (يا حنظلةُ ، ساعةٌ وساعة) ؛ رواه مسلم).هـ. وإذن فلا بد من تعهد القلوب بالمداومة على ذكر الله تعالى!)

تعـــودتِ القلـــوبُ علـــى الفجـــورِ ... فعشعشـــتِ المفاســـدُ فـــي الصـــدورِ

وأقبلـــتِ النفـــوسُ علـــى الخطايـــا ... وغرّتهـــا ألاعيـــبُ الغـــرور

وهبـــتْ فتنـــة بلغـــتْ مـــداها ... وهـــددتِ الخلائـــقَ بـــالثبور

ولـــم تســـلمُ عيـــونُ النـــاس منهـــا ... ولـــو ركبـــوا الســـفائنَ فـــي البحـــور

ولـــو طـــاروا بطـــائرةٍ تســـامتْ ... تشـــق الســـحْب شـــقاً كالنســـور

ولـــو كـــانوا بحافلـــةٍ تـــأذوا ... بمـــا يجـــدونَ مـــن خـــدْش الشـــعور

ســـفولٌ مـــا لـــه أبـــداً حـــدودٌ ... يجـــرّ إلـــى انحطـــاطٍ مُســـتطير

وهـــزلٌ قـــد تـــزرَّع بالتـــدني ... يقـــود إلـــى المهالـــكِ والســـعير

وقـــبحٌ لا يصـــوّره كـــلامٌ ... بمنظـــور السَّـــريِّ ، أو النثيـــر

وفحـــشٌ إنْ غـــزا أخـــلاق قـــوم ... لســـاقهمُ إلـــى ســـوء المصـــير

ومـــوتٌ للضـــمائر فـــي نفـــوس ... ومـــوتٌ الـــنفس مِـــن مـــوتٍ الضـــمير

ألـــيس هنـــاك مـــن رجـــل رشـــيدٍ ... علـــى التقـــوى - إذا انتهكـــتْ - غيـــور؟

يعـــيشُ لشـــرعة الإســـلام ليثـــاً ... وأنعِـــمْ بـــالتقيّ المُســـتنير!

وتُحْزنـــه الحـــدودُ إذا اســـتبيحتْ ... ويصـــدعُ بالوعيـــد وبالنـــذير

يُخـــوِّفُ - بالمليـــك - مَـــن اســـتطالوا ... فأنسُـــوا هـــولَ كارثـــة القبـــور

ويغضـــبُ - للعقيـــدة - فـــي اعتـــزاز ... وينصـــر سُـــنة الهـــادي البشـــير

ويقـــتحمُ الخَبـــارَ، ولا يبـــالي ... بصـــولة ذلـــك الجمـــع الغفيـــر

ويُلقـــي بالأدلـــة ســـاطعاتٍ ... وفـــي الإقنـــاع ذو خلـــق صـــبور

ويحلـــم - فـــي الجـــدال - علـــى البرايـــا ... ولـــيس يثـــورُ كالأســـد الهصـــور

ويـــدعو للفضـــائل والمعـــالي ... قلوبـــاً أصـــبحتْ مثـــلَ الصـــخور

عجبـــتُ لســـائق للحـــق أصـــغى ... وبشَّـــر بـــالقبول وبالســـرور

ووافـــقَ دون طعـــن فـــي النوايـــا ... وأبـــدى فرحـــة القلـــب القريـــر

ألا رُزقَ الســـلامة فـــي طريـــق ... ونـــال محبـــة الله الغفـــور

ولـــو رُكّابـــه رفضـــوا الوصـــايا ... وشـــطوا فـــي التخاصـــم والنكيـــر

ومـــا احترمـــوا الشـــريعة فـــي قليـــل ... ولا احترمـــوا المبـــادئ فـــي كثيـــر

بـــل احتقـــروا الـــذي للخيـــر يـــدعو ... وقـــال الـــبعضُ: ويحـــكَ مِـــن غريـــر!

وقـــال الـــبعض: يفـــرضُ مـــا ارتـــآه ... ورهـــط قـــال: يوغـــلُ فـــي الشـــرور

ورب النـــاس يعلـــم بالخفايـــا ... ولا يخفـــى الخبـــيء علـــى الخبيـــر

وإن الله ألهـــم كـــل نفـــس ... تُقاهـــا بعـــد إلهـــام الفجـــور

سجدة لله

(عندما لا يكون للإنسان غاية في حياته سوى جمع المال ، فينصرف بكل وجهته إلى حصد وتحصيل المال من حله وحرامه تصبح الحياة عدماً. وأناشد كل مرتزق - يبذل في سبيل المال كل ما يملك ابتداء من دينه ومعتقده وانتهاء بالناس من حوله – أن يتوب إلى الله! إن على المرتزقة أن يعلموا أنهم إن سجدوا لله سجدة واحدة خالصة ، ودعَوْا ربهم منيبين إليه ، فسوف يقبلهم! فلمَ لا يسجدونها؟ وباب التوبة مفتوحٌ ينتظر الداخلين ، فهل من مشمّر عن ساعد الجد؟ أما إذا استمروا في الارتزاق والتطويع فخسروا وخابوا!)

سجدة لله تمحو ... ما أتيتم من خطايا

أخلصوا التوحيد حتى ... تستفيدوا بالوصايا

واهجروا الأصنام هجراً ... واصقلوا هذي النوايا

واطرحوا الضُلال أرضاً ... قبل أن تمْسوا ضحايا

واعقِروا زيفاً تمادي ... إنه بئرُ المنايا

واقطعوا حيَل التردي ... واتركوا درب البغايا

ما كفاكم ما لقيتم ... من ضياع ورزايا؟

زمرة الحق تعاني ... وتصفيها البلايا

تحمل النور إليكم ... إنْ رجالاً أو صبايا

فاستجيبوا لنداها ... تربحوا خير العطايا

إنما المالُ سيفنى ... والدنانيرُ عرايا

جهلكم أمسى جهيراً ... والأباطيلُ خفايا

فانظروا الحق ، وجدّوا ... وابرحوا حمق المطايا

واقرأوا الهدْي مِراراً ... إنما الآيُ مَرايا

واقبلوا النصحَ ، وتوبوا ... وتساموا في البرايا

(عندما قسا عليه أبوه حاول الإصلاح فعجز. ثم صبر وعمد إلى الحيدة. وصاحب أباه بالمعروف. والتمس في سواه ما افتقده في أبيه ، فعانى وخذل. واستيقن أن خذلان أبيه كان أهون من نصرة سواه. فكانت سراديب من الأشجان ، وسلسلة من الأحزان يسوق بعضها إلى بعض. قال تعالى: (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ * بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ). قال البقاعي: ولما دلهم بآيات الآفاق ، وكانت كلها من أحوال السراء ، وكانت بمعرض الغفلة عن الإله ، (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاء مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ * أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ). ذكرهم بما في أنفسهم مما يوجبه تغير الأحوال الدالة بمجردها على الإله ، ويقتضي لكل عاقل صدق التوجه إليه ، وإخلاص النية لديه ، والإقبال عليه ، على ذلك ركزت الطباع ، وانعقد الإجماع فلم يقع فيه نزاع فقال: {أمن يجيب المضطر إذا دعاه} أي حين ينسيكم الضر شركاءكم ، ويلجئكم إلى من خلقكم ويذهل المعطل عن مذهبه ويغفله عن سوء أدبه عظيمُ إقباله على قضاء أربه. ولما كانت الإجابة ذات شقين ، جلب السرور ، ودفع الشرور ، وكان النظر إلى الثاني أشد ، خصه بادئًا به فقال: {ويكشف السوء} ثم أتبعه الأول على وجه أعم ، فقال مشيرًا إلى عظيم المنة عليهم بجعلهم مسلطين عالين على جميع من في الأرض وما في الأرض مشرفين بخلافته سبحانه ، ولذلك أقبل عليهم ، {ويجعلكم خلفاء الأرض} أي فيما يخلف بعضكم بعضًا ، لا يزال يجدد ذلك بإهلاك قرن وإنشاء آخر إلى قيام الساعة. ولما كان هذا أبين كرر الإنكار فيه مبكتًا لهم بالنسيان فقال: {أإله} أي كائن {مع الله} أي الملك الأعظم الذي لا كفوء له. {قليلًا ما تذكرون} أي أن من أنجاكم من ذلك وحده حين أخلصتم له التوجه عند اشتداد الأمر هو المالك لجميع أموركم في الرخاء كما كان مالكًا له في الشدة).هـ.)

فـــــــرّجْ يـــــــا رب الكربـــــــة ... وارحمنـــــــي مِـــــــن ذي الغربـــــــة

وأجِرنـــــــي ممـــــــا ألقـــــــى ... وأجُرنـــــــي فـــــــي ذي النكبـــــــة

طالـــــــت حتـــــــى أضـــــــنتني ... حتـــــــى كانـــــــت كالحِقبـــــــة

تحـــــــوي أشـــــــجانا تكـــــــوي ... قلبـــــــاً جافتـــــــه الدربـــــــة

والصـــــــحب انفضـــــــوا عنـــــــي ... سُـــــــحقاً يـــــــا هـــــــذي الصـــــــحبة!

لـــــــم يحـــــــزن مـــــــنهم خِـــــــلٌ ... لـــــــم يَقـــــــدر حجـــــــم الكُربـــــــة

كـــــــانوا صـــــــخراً فـــــــي دربـــــــي ... كـــــــانوا أســـــــياف الخيبـــــــة

كـــــــلٌ مـــــــنهم آذانـــــــي ... كـــــــانوا للأعـــــــدا حَربـــــــة

مـــــــاغطوا بلـــــــوى أهلـــــــي ... إنـــــــي أخطـــــــأتُ الحِســـــــبة

مـــــــنهم أكثـــــــرتُ الشـــــــكوى ... وحـــــــدي أدركـــــــتُ اللعبـــــــة

لـــــــم أغضـــــــب إذ بـــــــاعوني ... مـــــــاذا تعطينـــــــي الغضـــــــبة؟

هـــــــم أدنـــــــى مِـــــــن إقلاقـــــــى ... لكـــــــن تكـــــــويني الندبـــــــة

بينـــــــي والصـــــــرعى بَـــــــوْنٌ! ... عـــــــاتٍ تقـــــــديرُ النســـــــبة

مهمـــــــا حـــــــاكوْا مـــــــن كيـــــــدٍ ... مهمـــــــا قـــــــد كـــــــانوا عُصـــــــبة

مهمـــــــا اشـــــــتطوا أو زلـــــــوا ... مهمـــــــا صـــــــاغوا مـــــــن كِذبـــــــة

وحـــــــدي ألقـــــــاهم شـــــــهماً ... عبـــــــداً يســـــــتهدي ربـــــــه

للبـــــــاغي يـــــــومٌ آتٍ ... حتـــــــى إن زار التربـــــــة

مَـــــــن يظلـــــــمْ يلـــــــقَ العُقبـــــــى ... إلا إن كانـــــــت توبـــــــة

والعـــــــدلُ الحـــــــاني أولـــــــى ... مـــــــن جَـــــــوْر فيـــــــه الإربـــــــة

ضـــــــدٌ لا يلقـــــــى ضـــــــداً ... فاللقيـــــــا جـــــــداً صـــــــعبة

لا تحســـــــب حيفـــــــاً يبقـــــــى ... أو يحيـــــــا بالمرزبـــــــة

يومـــــــاً يمضـــــــي مـــــــدحوراً ... يجنـــــــي مِـــــــن طـــــــاغ ضـــــــربة

والعـــــــيشُ الهـــــــاني يفنـــــــى ... والـــــــدنيا تمســـــــي عطبـــــــة

والصـــــــيتُ الشـــــــادي يُـــــــزوى ... خلـــــــف الســـــــوآى والســـــــبة

والـــــــرفضُ الصـــــــادي يعلـــــــو ... يُـــــــودي جبـــــــراً بالرغبـــــــة

والطـــــــيشُ الغـــــــاوي يَخبـــــــو ... خلـــــــف الهيجـــــــا والجعبـــــــة

سراديب العاشقين

(حصنه الله بالزواج ، وبعد زواجه تطلع إلى الأخريات فأصيب بالعشق ، فكانت سراديب من العشق مريرة داجية. وللأسف لم يستطع بعدُ أن يخرج منها لشدة عمقها وقلة بضاعته. واستمر به الحال هكذا حتى أصبحت زوجته بقايا عروس ، وأصبح هو بقايا زوج ، وأصبحت قصة زواجهما خبراً من الأخبار ، وأصبح بيتهما أثراً بعد عين! إذ العشق من الأمراض المتعسرة العلاج! فعلى كل من ابتلي بداء العشق أن يتعهد نفسه ويردعها إن أراد أن يعيش سعيداً هانئ البال مستريح الضمير! إذ ليس للنفس الأمارة بالسوء إلا الردع وكبح الجماح ، ريثما يأتي التثبيت من الله – عز وجل -. وأعجب من رجال قد شرّفهم الله بالزواج ويسر لهم مؤنته وأعباءه وتكاليفه ، ثم هم يجعلون شكر نعمة الله عشق الأخريات على زوجاتهم! فكم من رجال حال بينهم وبين الزواج الفقر المدقع ، أو الاعتقال ظلماً دون ذنب أو جريرة ، أو طلب العلم وكفى به شرفاً عظيماً وسؤدداً مستقيماً وهدياً قويماً ، أو المرض العضال! وإذن فليحمد الله تعالى كل زوج وزوجة أعفهما الله وأحصنهما ، ومهد لهما سبيل الزواج ، وجمعهما تحت سقف بيت واحد ، وأكرمهما بنعمة الأولاد والذرية الصالحة! بدلاً من أن يسير كل منهما في سراديب العاشقين على مذهب الجاهلية القائمة!)

صَـــاحِ أفْصِـــحْ عـــن عِشْـــقِكَ الفَضَّـــاحِ ... بـــات جمـــرًا فـــي قلبـــك المِفـــراحِ

تعـــسَ العشـــقُ! كـــم أضـــلَّ قطيعًـــاً! ... ســـادرًا فـــي غِـــيٍّ خَليـــعٍ إبَـــاحِي

مَـــرَضٌ يُـــزري بـــالقلوبِ ، ويُخـــزي ... مَـــن تَـــرَدَّىَ فـــي ســـحرهِ الصَّـــدَّاحِ

لـــم يـــزل بـــالأقوام حتـــى ابـــتلاهم ... ثـــم تَـــلَّ العُشـــاق مثـــلَ الأضـــاحي

وأراق الـــــــدِمَاءَ دون اكتـــــــراثٍ ... مثـــل ســـاقٍ يَلْهُـــو بكـــأسِ الـــراح

كلمـــا مـــرتْ فـــي الـــدروب الصـــبايا ... شـــدّ «قيسًـــا» طيـــفُ القـــوام الـــرَّدَاح

ثـــم ســـال اللعـــاب حبًّـــاً وعشـــقًا ... ثـــم ســـار العَشِـــيقُ خَلْـــفَ المِـــلاحِ

لـــيس يقـــوى علـــى اللِحـــاظِ تَحـــدّ ... وســـلاحُ العيـــون أعْتَـــى ســـلاحِ

والرضـــابُ يُـــردي المَضـــا والتحـــدي! ... ثـــم يَفـــري بالشـــوق كـــل كِفـــاح

وانتهـــى العشـــقُ بالـــدمار يقينًـــا ... مثـــل عشـــق (الكـــذاب) حُســـنَ (سَـــجَاحِ)

لـــم يراقـــب ربًّـــا ، ولـــم يخـــشَ نـــارًا ... بـــل ســـعى ردحًـــا فـــي المُجـــون الصـــراح

وجنـــى هـــذا الانفـــلات عليـــهِ ... وانتهـــى بالوَلهـــان للأتـــراح

كـــأسُ ذلٍّ تجتـــاح كـــل إبـــاءٍ ... وانحـــدارٌ يَهـــدي لقعـــر السِّـــفاح

وســـراديبٌ مـــا لهـــا مـــن قـــرارٍ ... قـــد كُفينـــا سُـــعارها بالمُبـــاحِ

ودُروبٌ فيهـــا الـــدَّيَاجِيرُ تَتـــرَى ... والعفيـــفُ يـــأوي إلـــى المِصْـــبَاحِ

سلام الحبيب

(وقبل أن ينصرم عام 2018م ، أردتُ أن أختمه بالسلام على أم أولادي أم عبد الله ، وقد سافرت مع بعض أولادها إلى دمياط وتُركتُ وحدي في دار غربتي! فرُحتُ أسلم شعراً عليها وعلى أولادنا وأحبابنا وأصدقائنا! وذلك لئلا يُقال احتفلتُ بعام 2019م على عادة الجاهليين! فكانت هذه القصيدة سلاماً على من أحب! هذا وتعتبر روميات الشاعر أبي فراس الحمداني من أفضل أشعاره ، وذلك لما فيها من صدقٍ للعاطفة ، ووضوح للألم لا سيما في أشعاره المُوجهة إلى أمه ، والتي امتازت بأسلوب يمتزج بعواطف الشوق والحنين ، فالألم يعتبر مصدراً لروميات الأمير الشاعر ، وهو الذي أكسبها صبغة جمالية فريدة وبعداً نفسياً عميقاً ، فجعلها تُنوّع نزعاته النفسية من فخر وحنين إلى مناجاة وصبر وأنين ، وقد سجل أبو فراس في روملياته معاناته وعذابات نفسه خلال فترة حبسه ، وصوّر فيها حالة أسره ونفسيته المنكسرة ، وقدرته على التصبر وقوة إيمانه بالله تعالى ، كما ظهر جلياً فيها فتور همته الحربية فقد كان همه الوحيد هو الخلاص من سجنه المظلم ، والتحرر من أسره والعودة إلى الديار ولقيا الأحباب ، لهذا اتسمت قصائد الروميات بالرقة والسلاسة وببعدها عن التكلف والتصنع. (عايدة سعدي (2009م) ، شعر الروميات لأبي فراس الحمداني ، الجزائر: جامعة منتوري قسطنطينة ، صفحة 10،11. بتصرّف). ولقد كثرت الغزوات المتبادلة بين الروم والحمدانيين في زمن أبي فراس الحمداني ، فوقع في الأسر مرتين على إثر تلك الغزوات ، فقد وقع أول مرة في الأسر سنة (347هـ -959م) فاقتاده الروم إلى منطقة خرشنة وهي منطقة تقع على الفرات ، وكان فيها حصن منيع ، غير أنّ مدة أسره لم تكن طويلة ، ويقال إنّه تخلص من أسره عن طريق الفدية ، حيث افتداه سيف الدولة الحمداني ، كما يقال إنّه استطاع الهرب بنفسه ، وذكر ابن خلكان: (أنه ركب جواداً وقفز من أعلى الحصن إلى الفرات ، وهي شجاعة ما بعدها شجاعة). (فالح الكيلاني ، شعراء العصر العباسي (الطبعة الرابعة) ، صفحة 477-479 ، الجزء الأول- الثاني. بتصرّف). ولقد أُسر أبو فراس مرة أخرى حين سقطت مدينة منبج في أيدي الروم سنة (350هـ- 962 م) ، ونقل إلى القسطنطينية ، ومكث فيها طيلة فترة سجنه التي دامت أربع سنوات ، إلى أن استعاد سيف الدولة قوته وترتيب جيشه ، وشنّ هجوماً على الروم فانتصر عليهم ، واستطاع تحرير حلب واستعادة ملكه من الروم وأسر بعضهم ، وكان هذا سنة (354هـ- 966م) ، حينها قام سيف الدولة بافتداء أسرى المسلمين ومن بينهم أبو فراس ، وقد نظم أبو فراس أجمل قصائده الشعرية في فترة أسره وكان من أجملها قصيدته الرائية الشهيرة التي قال فيها: (أراك عصي الدمع شيمتك الصبر!) (فالح الكيلاني ، شعراء العصر العباسي (الطبعة الرابعة) ، صفحة 477-479 ، الجزء الأول- الثاني. بتصرّف). وكأنني تأثرت بدالية أبي فراس الحمداني: (سلام رائح غادي على ساكنة الوادي)! ولي شرف المحاولة الذي أدندن حوله دائماً! وإلا فمن أنا كشاعر إن قارنت نفسي بأبي فراس الشاعر؟! وقصيدة أبي فراس في ديوانه لا تتجاوز الأبيات العشرين! وأعرف وزني وحجمي في الشعر ، وأعرف حجم ووزن أبي فراس!)

سـلامٌ عـاطرٌ شـادي يُـداعِبُ أمّ أولادي

إلـى (دِميـاطَ) أرسِـلهُ لـدِلتا النيـلِ والـوادي

أحيّـــــــي مِـــــــن قرابتنـــــــا ... جميـــــــعَ لطيـــــــفِ أفـــــــراد

مَـــــــن اشـــــــتاقوا لرؤيتنـــــــا ... ومَـــــــن هـــــــم خيـــــــرُ قصّـــــــاد

ومَـــــــن يتطلعـــــــون إلـــــــى ... تلاقينـــــــا بمِرصـــــــاد

ومَـــــــن لـــــــكِ جـــــــاء مَعشـــــــرُهم ... بـــــــإكرام وإرغـــــــاد

أحيّـــــــيهم ، وأكْبِـــــــرُهم ... كمـــــــا حييـــــــتُ أجـــــــوادي

وأحبـــــــابي الألـــــــى ظفِـــــــروا ... بـــــــأرواح وأكبـــــــاد

وأصـــــــحابي الألـــــــى رحلـــــــوا ... وآبـــــــائي وأجـــــــدادي

وأخـــــــتِ عـــــــاميَ الحـــــــالي ... بشِـــــــعر مُطـــــــرب حـــــــادي

يُدنـــــــدنُ فـــــــي مســـــــامعهم ... صـــــــدىً يُـــــــزري بـــــــأعواد!

وأسْـــــــطرُهُ علـــــــى عَجَـــــــلٍ ... أعِيـــــــدُ قـــــــديمَ أمجـــــــادي

وأتْحِـــــــفُ مَـــــــن أتيـــــــهُ بهـــــــا ... بترجيـــــــع وإنشـــــــاد

وأذكـــــــرُ بعـــــــضَ مـــــــا ألقـــــــى ... ببُرهـــــــانٍ وإشـــــــهاد

فســـــــيفُ البـــــــين قسّـــــــمني ... وقسّـــــــم شـــــــعريَ الشـــــــادي

إلـــــــى نصـــــــفين قـــــــد رُصِـــــــدا ... ولـــــــم يخلـــــــدْ لإغمـــــــاد!

ففـــــــي (عجمـــــــانَ) نصـــــــفُ فتـــــــىً ... يُعـــــــالجُ طـــــــولَ تســـــــهاد

ونصـــــــفٌ بـــــــات فـــــــي (دِميـــــــا ... ط) يـــــــدفعُ سُـــــــقم إجهـــــــاد

هنـــــــا قلـــــــبٌ يُصـــــــارعُه ... عـــــــذابٌ رائـــــــحٌ غـــــــادي

وفـــــــي (دميـــــــاط) مُهجَتـــــــه ... وهـــــــذا غيـــــــرُ مُعتـــــــاد

وإنـــــــي احتـــــــرتُ بينهمـــــــا ... ولـــــــم يَـــــــلِ حَيرتـــــــي هـــــــادي

يمـــــــينَ اللهِ ســـــــربلني ... بـــــــلاءٌ وخْـــــــزه بـــــــادي

هنـــــــــــا رُوحٌ تُجنـــــــــــدِلها عيـــــــونُ عتـــــــيّ حُسّـــــــاد

فـــــــلا تنفـــــــك ترمُقهـــــــا وتحْقِرهـــــــا بإرصـــــــاد

وأســـــــألكِ الـــــــدعاء لنـــــــا بتعمـــــــيم وإفـــــــراد

وإلحـــــــاح وتســـــــريةٍ لتكْسَـــــــر شـــــــرّ أصـــــــفاد

ولا تنسَـــــــيْ مَودّتنـــــــا وتســـــــبيحاتِ عُبّـــــــاد

وذِكْـــــــراً كـــــــان يَجْمعُنـــــــا علـــــــى حُـــــــب وإســـــــعاد

تمـــــــرّ الـــــــذكرياتُ بنـــــــا وتتلـــــــو عـــــــذبَ أوراد

تحيـــــــاتي لمـــــــن رحلـــــــتْ بـــــــلا وعـــــــدٍ ومِيعـــــــاد

ألا عُـــــــودي لضـــــــيعتنا فـــــــإن العَـــــــودَ مـــــــيلادي

لأن الشـــــــوق ألهبنـــــــا بســـــــوطِ فراقِـــــــكِ الســـــــادي

فمـــــــا بـــــــي قـــــــوة كفتـــــــىً كعنتـــــــرةَ بـــــــنِ شَـــــــدّاد!

لأقهـــــــرَ مـــــــا أكابـــــــدُه بعـــــــزم الصـــــــائل العـــــــادي

أنـــــــا قلـــــــبٌ وعاطفـــــــة تضـــــــيقُ بشـــــــر أضـــــــداد

إذا التاعـــــــتْ مشـــــــاعرُها تحـــــــنّ لـــــــزوْر عُـــــــواد

و(عَـــــــزة) عِتـــــــرة وحِمـــــــىً و(عَـــــــزة) أمّ أولادي

شـــــــفاها الله خالقهـــــــا وألهمهـــــــا الهُـــــــدى الهـــــــادي

سلم اليراع ومن كتب

(هذه القصيدة أسطرها تحية لإدارة البحث والإعداد في مؤسسة الرسالة بإشراف الأستاذ / رضوان دعبول ، لإخراجها كتاب (تراجـمُ النساء) ذلك السفر العظيم. والكتابة عن تراجم النساء وربات الجود والفضل والكرم والعلم والأدب ، تحتاج إلى مضاعفة الجهود أكثر وأكثر! والسبب أننا وجدنا تراجم كثيرة للرجال! بينما تراجم النساء لا نكاد نجد ثلاثة مراجع أو أربعة! ومن هنا كانت لكتاب: (تراجم النساء) أهمية عظيمة وفائدة جليلة! ولقد طالعت ذلك المعجم كاملاً ، ووقعتُ على أخبار أفادتني كثيراً! الأمر الذي جعلني أسطر فيه قصيدة نادرة في إطرائه وشكر من ألفه! كتبتُ من المنسرح)

سِـــفرٌ أضـــاءَ الـــدروب مِقبـــاسُ ... كـــم تـــاق للنـــور فـــي الـــدجى النـــاسُ!

سِـــفرٌ لـــه فـــي القلـــوب تعبيـــرٌ ... شـــادي الصـــدى ، تحتويـــه أعـــراس

يراعـــة أخلصـــتْ لمَـــن رامـــوا ... حقـــاً تســـامى ، ونعـــمَ مقيـــاس!

فـــي عـــالمٍ شمسُـــه خبـــتْ حزنـــاً ... إذ بـــاع حـــواءَ فيـــه نخّـــاس

تنكَّـــر الـــبعض للهُـــدى عمـــداً ... ولـــم يعُـــد فـــي التقـــى لهـــم بـــاس

نعـيش عصـراً مِـن الـردى أدنـى ... يَحـار ممـا يـروْن أكيـاس

رأيـــتُ حـــواء ســـلعة بـــارتْ ... وعِرضـــاً ثـــوى ، والقـــوامُ ميـــاس

بيعـــتْ كرامتهـــا فمـــا احتجّـــتْ ... حتـــى علاهـــا أذىً وأرجـــاس

تنازلـــت عـــن ذرى معالمهـــا ... حتـــى طوتهـــا كُـــدَىً وأرمـــاس

وســـفرُ (عـــدنانَ) جـــاء تبيانـــاً ... فيـــه انجلـــتْ للرشـــاد أقبـــاس

لـــم يُخـــفِ حقـــاً ، ولـــم يـــدَعْ عِلمـــاً ... لأنـــه فـــي البيـــان نبـــراس

أعطـــى الحقيقـــة مـــا يُجليهـــا ... فضـــمّها للبقـــاء قِرطـــاس

ومَـــن يســـطرْ عـــن النســـا سِـــفراً ... فـــإن حبْـــرَ اليـــراع إحســـاس

حتـــى رأينـــا مَعـــينَ مِغـــوار ... ولليـــراع مـــدىً وأنفـــاس

يـــا رب بـــارك كتـــابَ مقـــدامٍ ... فيـــه العقيـــقُ السَّـــطوعُ والمـــاس

سلوك عواقبه وخيمة

(وُضعَ في غير مكانه. حيث عُين مديراً لأحد المصانع. فقام أولاً بتصفية الكوادر المهنية وذوي الضمائر والمواهب. وذلك حسداً من عند نفسه ليس إلا. واستبقى معه الإمعات من حارقي البخور وقارعي الطبول. فضاع المصنع. يقول الأستاذ محمد النغيمش: (الإدارة ببساطة هي «علم وفن» في آن واحد. إن المدير الذي لم يدرس آلية «التفويض» وشروطه وتداعياته ، سواء من خلال الدورات أو الدراسة الأكاديمية ، فسوف يكون مركزياً أي يفعل كل شيء بنفسه ، من طباعة التقارير والرد على المكالمات الواردة وانتهاءً بدقائق الأمور التي لا يُفترض في المدير تأديتها بمفرده. كما نسمع أيضاً عن شركات فاشلة إدارياً ومتعثرة في أدائها وتعاني من عزوف الناس عنها لأنها تواجه مشكلات إدارية لا يستطيع المدير أن يحلها).هـ. ولذا قلتُ في هذا من المقتضب.)

المـــــــــــديرُ مُعتســـــــــــفُ ... والســـــــــــلوكُ مُنحـــــــــــرفُ

والضـــــــــــميرُ فـــــــــــي عمَـــــــــــهِ ... والـــــــــــذنوبُ تُقتـــــــــــرَف

والنصـــــــــــائحُ انتحـــــــــــرتْ ... عنـــــــــــدما طغـــــــــــى الجنـــــــــــف

والحيـــــــــــاة قـــــــــــد أســـــــــــنتْ ... عنـــــــــــدما مضـــــــــــى الشـــــــــــرف

والقلـــــــــــوبُ مـــــــــــا اتعظـــــــــــتْ ... حيـــــــــــث غالهـــــــــــا التـــــــــــرف

والمشـــــــــــاعرُ انكســـــــــــرتْ ... عنـــــــــــدما الغُثـــــــــــا خلفـــــــــــوا

يـــــــا مـــــــديرُ كـــــــنْ فطنـــــــاً ... لـــــــن يُفيـــــــدك الصـــــــلف

كـــــــم قهـــــــرت مَـــــــن عملـــــــوا ... والوظـــــــائفَ احترفـــــــوا!

مـــــــا احترمـــــــتَ خـــــــاطرهم ... بـــــــل ظلِلـــــــت تعتســـــــف

كـــــــم بنـــــــوْا ، وكـــــــم ســـــــهروا! ... والجميـــــــعُ يعتـــــــرف

كـــــــم تحمّلـــــــوا مِحنـــــــاً! ... فـــــــالظروفُ تختلـــــــف

كـــــــم تجرّعـــــــوا غُصصـــــــاً ... حـــــــين طـــــــالهم شـــــــظف!

ثـــــــم أنـــــــت تحقِـــــــرُهم ... إنّ ذا هـــــــو القـــــــرف

لـــــــم يُقصّـــــــروا أبـــــــداً ... بـــــــل علـــــــى الـــــــذرَى وقفـــــــوا

نسمة في سماء الهداية

(عاش يبجل شعره ذلك الشاعر. وأعطاه الشعر من بعد الإيمان الأمل في الحياة. فاعتز بشعره لأنه صاغه منذ صاغه على منهج وفي سبيل قضية كرّس لها حياته وما يملك! إننا كثيراً ما نصدم عندما نهدَى دواوين لشعراء ، وعندما نهمّ بمطالعتها وتصفحها نجدها لا تحوي قضية ولا تعرض لموضوع ذي بال! ويكون أصحابها قد أنفقوا عليها الكثير من جهد ووقت ومال ، فإذا بها تقاطيع وأوزان هي إلى عزيف الجن أقرب منها للشعر! ومن هنا رحتُ أحيي ذلك الشاعر الصادق الذي سخر قلمه لقيمة غالية ولقضية ثمينة ، نذر لها حياته ووقته وماله لينفع القراء من بعده وينفحهم! فأنشدت عن نسمة الأمل التي يقذفها الشعر المؤمن الصادق في قلب المخلص الصادق.)

دعني مِن الأمل المُعطر أرتوي ... إن القريض يجوسُ بي الدربَ السوي

دعني أسامرُ بالقصائد خاطري ... وأداعبُ الإحساسَ يوماً بالروي

دعني وأنسامَ الأماني وحدنا ... إني لأنسام الأماني أرعوي

أحنو على الأمل الرطيب يَشوقني ... وإذا مضى أزرى بيَ الجزعُ الغوي

والشعرُ بلورَ فكرتي ومقاصدي ... ورؤايَ باللفظ الأديب التربوي

أطلقتُ للشعر العَنانَ ، فقادني ... لأواصر الأمل التقي الأخروي

لم يتخذ لغة الغموض وسيلة ... كلا ، وفاصلَ كل درب مُلتوي

سلسلتْ عبارته بدون تقعر ... وعلى الفضائل بات شعري يحتوي

وصفتْ قريحته بغيرِ تكلفٍ ... إن التكلف يقتلُ الشعر القوي

لمّا أردْ أبداً به دنيا الورى ... لا خير في شعر وضيع دنيوي

وحدي شقِيتُ به ليَسعد مَن تلا ... ونصَبْتُ بين الناس حتى يستوي

للقارئ الأنغامُ ، ثم ليَ الجوى ... فأنا الذي برموز شعري أكتوي

ولقد يُسَرّ القارئون بلفظه ... وأنا الذي بلظى القرائح أشتوي

هي نسمة الأمل المُعطر بالصدى ... تسعى لقلبي كي يدفّ ويرتوي

(ظل يذكرها لي كأنها الدنيا بأسرها ، وأنا أحاولُ أن أهوّن عليه عشقه الزائد عن الحد! ولكنه في كل مرّة يصر ويعدد لي الذكريات حتى قلت: ليته يكف عن هذا! واستجمعت المحطات التي ذكرها من حياة (سهام) ، ورحتُ أصف حبه لها وتولهه بها ككل عاشق تجاوز في عشقه الحدود ، واعتقد أنه بدونها لا يعيش ، وأن الحياة بدونها ضربٌ من ضروب العبث! يقول الدكتور عبد الناصر كعدان وهو طبيب اختصاصي في الجراحة العظمية – دكتوراه في تاريخ الطب العربي الإسلامي – ما نصه: (إن الأطباء المسلمين القدامى ، وعلى نحو مخالف للشعراء، قد نظروا إلى هذا المرض على أنه حالة مرضية كغيره من الأمراض العصبية أو النفسية كالصرع والصداع والسوداء له أسبابه المرضية وعلاماته وأعراضه وعلاجه. فأفاضوا في شرحه موضّحين أن لهذا المرض علاجات مختلفة تطبق حسب حالة المريض وحسب درجة ثقافته ، بالإضافة لطبيعة الظروف المحيطة به. ولعل أول من تكلم في مرض العشق من الأطباء هو الطبيب اليوناني أبقراط والملقب بأبي الطب. حيث قال واصفا إياه: "العشق طمع يتولد في القلب وتجتمع فيه مواد من الحس. فكلما قوي ازداد صاحبه في الاهتياج واللجاج وشدة القلق وكثرة السهر. وعند ذلك يكون احتراق الدم واستحالته إلى السوداء ، ومن طغيان السوداء وفساد الفكر يكون الفدامة ونقصان العقل ، ورجاء ما لم يكن وتمني ما لم يتم حتى يؤدي ذلك إلى الجنون. فحينئذ ربما قتل العاشق نفسه ، وربما مات غماً. وربما وصل إلى معشوقه فيموت فرحاً أو أسفاً. وأنت ترى العاشق إذا سمع بذكر من يحب كيف يهرب دمه ويستحيل لونه. وزوال ذلك عمن هذه حالته بلطف من رب العالمين ، لا بتدبير الآدميين". وقد وصف جالينوس هذا المرض بقوله: "العشق استحسان ينضاف إليه طمع ، والعشق من قِبَل النفس ، وهي كامنة في الدماغ والقلب والكبد. والعاشق يمتنع عن الطعام والشراب لاشتغال الكبد ، وعن النوم لاشتغال الدماغ بالتخيل وذكر المعشوق والتفكير فيه ، فتكون جميع مساكن النفس قد اشتغلت فيه. فمتى لم تشتغل فيه وقت الفراق لم يكن عاشقا". يقول ابن سينا في ذكر أسباب هذا المرض: "هذا مرض وسواسي شبيه بالمالينخوليا ، يكون الإنسان قد جلبه إلى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمايل التي له ، سواء أعانته على ذلك شهوته أم لم تعنه". وقد أضاف بعضهم إلى ذلك بأن هذا المرض يعتري العزاب والبطالين من أهل الرعاع. ويتحدث ابن هبل البغدادي عن آلية حدوث هذا المرض فيقول: "العشق مرض يعرض من إدامة الفكر في استحسان بعض الصور الحاصلة في الخيال وإدامة النظر إليها وتحريك النفس شوقاً إلى استحضار ما هي مثاله ، ويساعد على ذلك الحركات الشهوانية فيعرض من ذلك شيء من الجفاف واليبس المؤدي إلى المالينخوليا". من حديث البغدادي يمكن لنا أن نفسر لماذا أتى مرض العشق بعد مرض المالينخوليا في المؤلفات الطبية العربية القديمة).هـ. والحقيقة التي يجب التسليم بها أن العشق مرض رهيب قد يودي بصاحبه إذا هو لم يتغلب عليه ويلتمس له العلاج في مَظانه! والشاعر العاشق قد يثري الشعر من الناحية الجمالية ، ولكنه قد يصيب الشعر بالترهل إذا هو لم يبدأ بمعالجة قلبه من داء العشق! ويأتي النص الشعري ترجمة لما يمر به الشاعر من تجارب ولما يواجهه من محن وآلام! ومن هنا كانت العاطفة الشعرية انعكاساً لما يحس به الشاعر في حياته! وتحت عنوان: (عاطفة الشاعر في النص الشعري) يقول الأستاذ الناقد الأديب عبد العزيز الصعب ما نصه: (قديماً أبدع الشعراء بأروع وأعذب القصائد ، وخصوصاً العاطفية منها ، والتي

صاغوها بمنتهى الدقة والقوة البنائية ، اهتموا فيها بالصورة العاطفية ، وجسدوها بروح معاناتهم الصادقة والطبيعية. فعندما نقرأ لهم ، نذهب بعيداً عما نحن عليه الآن. نذهب إلى بيئتهم تلك العذبة التي عاشوا فيها بما فيها من الحب والصدق والنقاء. نذهب أيضاً إلى حيث مجالسهم وأماكنهم. نعم هي تلك الروعة التي يجسدونها لنا ، والتي استوطنت في داخلهم. وإذا نظرنا إلى شعراء اليوم وعاطفتهم ، لوجدنا أن هناك فرقاً كبيراً بينهم وبين الشعراء القدامى ، والسبب يكمن في البيئة بالدرجة الأولى ، لأنها هي التي يستوحي منها الشاعر معاناته وعاطفته ، فقديماً كانت عاطفة صادقة ممزوجة بالوجد والتوجد الحقيقي دون الوصف لمجرد الوصف ، بينما الآن لم يعد توجد العاطفة بشكلها الحقيقي المستوحى من معاناة صادقة ، وربما يكون ذلك لانعدام البيئة الحقيقية للشعر، بالرغم من ازدحام الشعراء وكثرة القصائد ولم نعد نستطيع أن نتلذذ بالنص الشعري المبدع ، وذلك لعدم وجود حافز قوي يدخل في إنتاج النص الشعري الجميل. ففي عملية القراءة للنص الشعري ، نجد القارئ ينظر أولاً إلى عاطفة الشاعر من خلال النص ، ومن ثم مدى إبداعه الذي يصل بالقارئ إلى ذائقته وهي الأهم هنا ، ومن هنا تأتي عاطفة الشاعر وهي تحتل مكانة كبيرة في النص الشعري. تلك المكانة التي بدورها تجعل النص أكثر جمالاً ورقة ، وتحكي موضوع النص الذي يريده الشاعر ، ولذلك نجد أغلب القصائد للشعراء القدامى ، تتسم بروح عاطفية صادقة تضفي على النص جماليات وروعة. والآن نجد أن المتابع للشعر الشعبي يبحث عن النص المشحون بالذات والغارق في الألم والحزن والآه والذي يعكس مدى تمكن الشاعر من نظمه بطريقة شاعرية وبإحساس متفرد، وهذا مانجده بالفعل في قصائد الشعراء القدامى التي بقيت قصائدهم عالقة بالإذهان ويرددها الغالبية في أحاديثهم).هـ. وإن كنتُ أنا شخصياً لا أوافق الأستاذ الصعب على مسألة اللجوء إلى ما يسمى بالشعر الشعبي وما هو بالشعر! ذلك أن المادة التي لا تكون على شرط العرب في شعرهم لا أسميها شعراً! والشعر الشعبي ليس مصاغاً ابتداءً باللغة العربية! بل باللهجات العامية المحلية!).هـ. وتحت عنوان: (منزلة العاطفة من الأدب) يقول الناقد الأستاذ علي علي مصطفى صبح ما نصه بتصرف يسير: (العاطفة القوية الصادقة هي التي تجعل الأدب قوياً والشعر نابضًا بالحياة ، فهي من النص الأدبي بمنزلة الروح من الجسد ، فيها يسمو الأدب ويخلد الشعر ، ولذلك تنبه لها النقاد القدامى ، وأشادوا بمنزلتها من الأدب ، وتحدثوا عن مصادرها القوية ، ومنابعها المندفقة ، وأوارها المتأجج ، فاختاروا لها أنسب الأوقات وأجملها وأصفاها ، وأجمل الأماكن وأهدأها ، ووضح أبو سهل في صحيفته وقت احتدام العاطفة ، ومنطلق صدقها ، وحرارتها ، ومنزلتها من الأدب ، حين تبعث فيه القوة والحياة قال بشر: "خذ من نفسك ساعة نشاطك ، وفراغ بالك ، وإجابتها إياك ، فإن قليل تلك الساعة حقيقة أكرم جوهرًا ، وأشرف نسبًا ، وأحسن في الأسماع ، وأحلى في الصدور ، وأسلم من فاحش القول ، وأجلب لكل عين وغرة ، من لفظ شريف ، ومعنى بديع ، واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكد والمطاولة والمجاهدة ، وبالتكلف والمعاودة. ينبغي على الأديب أن ينتقي أنسب الأوقات لكتابة الأدب أو إنشاد الشعر أو إلقاء الخطب ، ويمتنع عن الكتابة في وقت فتور العقل ، وخمود البدن ، وتبلد الإحساس وامتلاء المعدة ، فكما قالوا: إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة. وإنما يكتب الأديب أثناء النشاط في البدن ، واليقظة في العقل ، والحركة في الذهن ، وانفعال المشاعر ، ورقة الأحاسيس ، لتكون العاطفة صادقة ، والخيال خصبان فتتمكن منه الألفاظ الكريمة ، والكلمات الفصيحة ، والنظم البليغ ، والتراكيب القوية ، والمعاني البديعة ، والأفكار المبتكرة ، فإن مثل هذه الفترة ، مهما كانت وجيزة فهي أفضل من أيام خفتت فيها العاطفة الصادقة ، حين يعاني منها الأديب

أثناء الصياغة من آلام الكد والمطاولة ومتاعب الجهد والمحاولة. فالعاطفة الصادقة هي التي تؤجج في الأدب شعوراً متدفقًا ، وإحساسًا عميقًا ، ونشاطًا فكريًّا وذهنيًّا ، فينبض الأدب بالحياة ، والحياة فيه هي الصدق العاطفي والفني ، فيرتفع إلى سمو الغرض ، وشرف الهدف ، ووضوح المعنى ، وينقاد اللفظ خفيفًا سهلًا على اللسان ، ويجري رقيقًا عذبًا ، كالماء العذب الرقيق ، والينبوع الثر الصافي. وحرارة العاطفة لا تزج بالأديب في دروب الخطأ ، ومنحنيات التيه ، لأن العقل يوجهها ويسدّد خطاها ، وينظم شراراتها ، فلا تهبط في الشعاب المتوعرة ، أو تنزل في مخالق التعقيد ، الذي يلف المعنى في ضباب كثيف ، أو يدرج الغرض في أثواب قائمة ، فيكون الأديب في أسلوبه الذي اختفى فيه المعنى أسوأ حالًا قبل أن يكشف عنه. وأبو تمام الذي عاصر بشرًا تحدَّث عن وقت نشاط العاطفة ، وعن مصدر القوة والصدق في الأدب بما وصَّى به تلميذه البحتري: يا أبا عبادة تخيَّر الأوقات وأنت قليل الهموم ، صفر من الغموم ، واعلم أن العادة في الأوقات أن يقصد الإنسان لتأليف شيء أو حفظه في وقت السحر. فإذا عارضك الضجر ، فأرح نفسك ولا تعمل إلا وأنت فارغ القلب. وسار ابن قتيبة على نهج بشر ، متأثرًا به في حديثه عن العاطفة ، ووقتها وصدقها قال: "وللشعر أوقات يسرع أتيه ، ويسمح فيها أبيه ، منها أول الليل قبل تغشي الكرى ، ومنها صدر النهار قبل الغداء ، ومنها يوم شرب الدواء ، ومنها الخلوة في المجلس وفي المسير ، ولهذه العلل تختلف أشعار ورسائل المترسل". ويسير أبو هلال العسكري [م 395 هـ] في هذا الطريق الذي بدأه بشر ، فيذكر الأديب بالكف عن الأدب إذا شعر بفتور أو ملل ، ويحثه على العمل يقول فاعمل: "ما دمت في شباب نشاطك ، فإذا غشيك الفتور ، وتخونك الملال ، فأمسك ، فإن الكثير مع الملال قليل ، والنفيس مع الضجر خسيس ، والخواطر كالينابيع ، يسقى منها شيء بعد شيء ، فتجد حاجتك من الري ، وتنال إربك من المنفعة فإذا أكثرت عليها نضب ماؤها ، وقلَّ عنك غناؤها. وغيرهم من النقاد الذين تأثروا بالصحيفة مثل الآمدي ، والقاضي الجرجاني ، وعبد القاهر الجرجاني. وتحدث بشر عن قوة الوزن والقافية ، وتناسبهما ، وحسن موقعهما بين الألفاظ ، وتلاحم المعاني في الأبيات ، يقول بعد أن تحدث جودة الألفاظ: "والقافية لم تحل في مركزها وفي نصابها ، ولم تصل بشكلها ، وكانت قلقة في مكانها نافرة عن موضعها ، فلا تكرهها على اغتصاب الأماكن ، والنزول في غير أوطانها ، فإنك إذا لم تتعاطى قرض الشعر الموزون ، ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور لم يعبك بترك ذلك أحد وإن أنت تكلفتك ، ولم تكن حاذقًا مطبوعًا. عابك من أنت أقل عيبًا منك". ويتأثر أبو هلال بما ذكره بشر عن الوزن والقافية ، فيقول أبو هلال: "وإن أردت أن تعمل شعرًا ، فأحضر المعاني التي تريد نظمها فكرك وأخطرها على قلبك وأطلب لها وزنًا ، يتأتى فيه إيرادها ، وقافية يحتملها ، فمن المعاني ما تتمكن من نظمه في قافية ، ولا تتمكن منه في أخرى ، أو تكون في هذه أقرب طريقًا ، وأيسر كلفة منه في تلك ، وإذا عملت قصيدة فهذّبها ونقّحها بإلقاء ما غثَّ من أبياتها ، ورثَّ ورذل والاقتصار على ما حسن وفخم ، بإبدال حرف منها بآخر أجود منه ، حتى تسوّى أجزاءها ، وتتضارع هواديها وأعجازها". ويذكر ذلك أيضًا ابن رشيق – رحمه الله - فيقول: "ومنهم يحكم القافية في إنتاجه ، فينصب قافية بعينها لبيت بعينه من الشعر ، مثل أن تكون ثالثة أو رابعة أو نحو ذلك لا يعدو بها ذلك الموضع ، إلا أن انحلَّ عنه نظم أبياته ، وذلك عيب في الصنعة شديد ونقص بين ، لأنه أعنى الشاعر بصير على شيء واحد بعينه ، مضيقًا عليه ، وداخلًا تحت حكم القافية ، وكانوا يقولون: ليكن الشعر تحت حكمك ، ولا تكن تحت حكمه. ومنهم من إذا أخذ في صنعة الشعر كتب عن القوافي ما يصلح لذلك الوزن الذي هو فيه ، ثم أخذ مستعملها وشريفها وما سعد معانيه وما وافقها ، واطرح ما سوى ذلك ، إلا أنه لا بد أن يجمعها ، ليكرر

فيها نظره ، ويعيد عليها تخيره في حين العمل ، هذا الذي عليه حذاق القوم. ومن الشعراء من إذا جاءه البيت عفوًا أثبته ثم رجع إليه فنقحه ، وصفاه من كدره ، وذلك أسرع له ، وأخف عليه ، وأصح لنظره ، وأرخى لباله ، وآخر لا يثبت البيت إلا بعد إحكامه في نفسه ، وتثقيفه من جميع جهاته ، وذلك أشرف للهمة ، وأدل على القدرة. والصواب ألا يصنع الشاعر بيتًا لا يعرف قافيته ، غير أني لا أجد في ذلك طبعي جملة ، ولا أقدر عليه بل أصنع القسيم الأول على ما أريده ، ثم ألتمس في نفس ما يليق به من القوافي بعد ذلك ، فأبني عليه القسيم ، أفعل ذلك ، كما يفعل من يبني البيت كله على القافية ، ولم أر ذلك بمخلٍ عليّ ، ولا يزيحني عن مرادي ، ولا يغير علي شيئًا من لفظ القسيم الأول إلا في الندرة ، التي لا يعتدّ بها أو على جهة التنقيح المفرط". وصاحب الصحيفة أول ناقد تحدث عن القافية والوزن في ميزان النقد الأدبي ، ثم جاء النقاد بعده لينظروا فيها نظرة نقدية تقوم على التحليل والتعليل حينًا ، وعلى تجربة الناقد نفسه في الشعر حينًا آخر كابن رشيق في عمدته).هـ. وأعود إلى (سهام) وعاشقها الولهان البائس فأنصح لهما بأن يتحولا إلى الواقعية وأن يحاولا نسيان الماضي بما فيه! فعلى مثل هذا العاشق المتيم الولهان المعذب أن يعيش اللحظة! وربما تأتي هذه اللحظة الآنية المبتغاة المرتقبة لينسى ويتوب ننصت إلى عاشق سهام يقول:)

فـــي ضـــفة الـــوادي انطـــوتْ أخبـــارُ ... دُرســـتْ ، كمـــا دُرسَ الطـــوَى والـــدارُ

والـــدربُ قـــد بُلِيـــتْ معـــالمُ رَســـمه ... وعَفـــتْ – بـــرغم صـــمودِها - الآثـــار

وتبعثـــرتْ – فـــوق الطلـــول - طيوفنـــا ... وجْـــداً ، وعـــمّ الـــذكرياتِ بَـــوار!

وترنحـــتْ – فـــي الخـــافقين - شـــجوننا ... والحـــب عـــز ، وشـــط بعـــدُ جـــوار

وســـلي الســـواقي جـــفّ أعـــذبُ مائهـــا ... وبكـــتْ لفـــرط غِيابـــه الأنظـــار

وســـلي الحقـــولَ رثـــت رحيـــلَ زروعهـــا ... والقفـــرُ هـــيمن ، لـــيس منـــه فِـــرار

وســـلي شـــروقَ الشـــمس ســـربله الـــدجى ... والـــدجوُ ســـاد ، ولـــم تعـــدْ أنـــوار

وســـلي ســـرابَ غرامنـــا عبثـــتْ بـــه ... فـــي غفلتينـــا يـــا (سُـــهى) الأوزار!

وســـلي بقايـــا حبنـــا ذهبـــتْ بـــه ... رغـــم التحـــدي والمُنـــى الأوطـــار

وســـلي النـــدى – فـــوق المرابـــع والربـــا - ... تزهـــو بـــه الأصـــقاعُ والأشـــجار

وســـلي الطيـــورَ ، فكـــم لحبـــك غـــرّدتْ ... وشـــدتْ بعـــذب لحونهـــا الأوتـــار!

وســـلي الـــديار نعـــتْ جـــوى أعيانهـــا ... ولقلمـــا تنعـــي الكِـــرامَ - ديـــار

و(ســـــهامُ) مـــــاض لا يفـــــارقُ خـــــاطري ... والعقـــلُ – فـــي شـــأن الغـــرام – يَحـــار!

والعشـــــقُ يأســـــرُ قلـــــبَ كـــــل مُتـــــيّم ... ولعشـــــــق كـــــــل مُتـــــيّم أخبـــــــار

فيبيـــــتُ يـــــذكر مَـــــن ســـــبتْ إحساسَـــــه ... وشـــــعوره ، فلـــــه جـــــوىً وجُـــــؤار!

و(ســـــهامُ) أرســـــلتِ الســـــهامَ مُصـــــيبة ... صَـــــباً ، كوتـــــه – مِـــــن الحبيبـــــة - نـــــار

يـــــا صـــــاح رفقـــــاً ، واســـــتمعْ لنصـــــيحتي ... حتـــــى يصـــــيبَ فـــــؤادَك الإنـــــذار

هـــــوّنْ عليـــــك ، وخـــــلّ شـــــأنَ عشـــــيقةٍ ... لمّـــــا يَشُـــــقها حُبـــــك الجبـــــار

هـــــي لـــــم تبادلـــــك الهـــــوى يـــــا صـــــاحبي ... فاربـــــأ بنفســـــكَ أن يُصـــــيبَك عـــــار!

ســـــيقولُ أهـــــل الحـــــب: بـــــئس مُتيّمـــــاً ... ضـــــحكتْ عليـــــه الخـــــرّدُ الأبكـــــار!

ويقـــــول قـــــوم: ســـــاذجٌ فـــــي عشـــــقه ... وطـــــوى ســـــذاجة عِشـــــقه التيـــــار

فاصـــــمدْ ، ولا تـــــكُ – فـــــي المحبـــــة - وانيـــــاً ... إن الـــــــذي تأتيـــــــه الاســـــــتهتار

وأنـــــا بهـــــذا الـــــنص أعـــــذِرُ ناصـــــحاً ... فعســـــى يُفيـــــدك يـــــا أخـــــي الإعـــــذار!

شاعرٌ ، ولكنه إباحيٌ مُهتريء!

(القدرة على كتابة الشعر شيء ، والأغراض والموضوعات التي يتناولها الشاعر في قصائده شيء آخر. فكم من إباحي ولكنه شاعر! وإذن فلا بد لكل شاعر من منظومة قيم وأخلاقيات ينطلق منها إلى عالم الشعر. وقليل من الشعراء من أفلح في هذه المسألة. وإذا لم يحمل الشعر موضوعاً ومبدأ وقيمة للقراء فهو مجرد تقطيع وأوزان فقط. وكم من دواوين جاوزت الآلاف من الصفحات وهي لا تحمل موضوعاً ولا تساوي الحبر كتبت به ، ولا الأوراق دونت عليها ، ولا الأوقات يبذلها الناس في مطالعة قصائدها!)

أهـــازيجٌ صـــدحتَ بهـــا بـــلا معنـــى ... وقـــدمتَ الخنـــا والفحـــشَ والطعنـــا

وشـــوهتِ القـــريض العـــف دون حيـــا ... فقـــد شـــغلتك يـــا قـــيسَ الهـــوى (لبنـــى)

شـــغفتَ بهـــا ، وبالضـــحِكات تطلقهـــا ... وبالكلمـــات فـــي أجراســـها مغنـــى

فـــلا يعنيـــك غيـــر العُهـــر تكتبـــه ... ألســـت تـــرى سِـــوى الســـوآى بهـــا تُغنـــى؟

تقـــاطيعٌ وأوزانٌ قـــد اهتـــرأتْ ... يُغـــرُّ بهـــا غبـــيٌ يُحسِـــن الظنـــا

نعـــم بلغـــتْ - مـــن الإبـــداع - مرتبـــة ... وقـــد حـــازت - إلـــى إنشـــادها - لحنـــا!

نعـــم صـــيغتْ بألفـــاظٍ منمقـــةٍ ... وقـــد ملئـــتْ - لمَـــا كتبـــتْ لـــه - فنـــا!

نعـــم لانـــت لقائلهـــا ومنشـــدِها ... فأنشـــدها ، ومـــا ألغـــى ولا اســـتثنى!

نعـــم صـــبغتْ بـــألوان تجمّلهـــا ... فبـــات لهـــا بـــذلك منظـــرٌ أســـنى!

نعـــم حِيـــزتْ لهـــا طـــراً مباهجُهـــا ... لتـــذهب عـــن دنـــا قرائهـــا الحُزنـــا!

ولكـــنْ أيـــن مـــا فـــي الشـــعر مِـــن قـــيم؟ ... وأيـــن الخيـــرُ ، والأخـــلاقُ ، والحســـنى؟

وأيـــن الحـــق يُعطـــي الشـــعر رونقـــه ... وأيـــن النـــورُ فـــي أبياتـــه الـــدكْنا؟

وأيـــن الرشـــد يُعطيـــهِ مهابتـــه ... ويصـــرف كيـــد مَـــن يؤذيـــه ، والغبنـــا؟

وأيـــن البـــر يمنحُـــه نزاهتـــه؟ ... فـــلا يُـــزوى عـــن الأجيـــال ، أو يفنـــى؟

إذا كـــان القـــريض ســـبيل مفســـدةٍ ... فـــلا معنـــى لـــه أبـــداً ولا مبنـــى!

شاعر عصره

(لامَني أحد الجاهلين بأنني شاعر يُعاب شعري بعشوائية العناوين. فكانت صفعة لم أقبلها منه ، حيث إنه ليس عندي عنوان قط إلا وله رمزه ودلالته ، وإن لم يفهمه ذلك المتفيهق المتحذلق. وحصحص الحق عندما نما إلى علمي أن هذا الرأي ليس له ، بل هو رأي زوجه التي تخصصت في العربية التي لا تفقه شيئاً عنها ، وانصاع لها مردّدا كالببغاء ما ارتأته دون تمحيص! ولربما عوّل على تخصصها فقط زاعماً أن لها بالعربية شأنا وإن هي نالت فيها شهادة عليا! وعلمتُ بأن الرجل لا يعرف عن الأدب والثقافة والدنيا إلا ما تمليه زوجه ، ولا يمتثل أمراً إلا ما تأمره به ، ولا يعتد بفعل إلا ما تفعله! ولعلهما استندا إلى حال الشعر العامة وأحوال الشعراء بصفة خاصة في هذا العصر. فأنشدت من البحر الطويل في الرد عليه!)

أتوسِـعُ شـعري يـا عـديم الحيـا ذمّـا؟ وتـتـهمُ الألفـاظ والـوزن والأسـما؟

وتُفتـي بـلا علـم لتغتـال همتـي؟ وتهـدم مـا ألفـتُ يـا عـاذلي هـدما؟

وتطعـن فـي عنـوان كـل قصـيدةٍ؟ وفـي نحـر أشـعار الهُـدى ترسـل السـهما؟

وتوقـد نيرانـاً تصَـلّي قصـائدي؟ وتشـعل - فـي قلبـي - بهـا فتنـة عظمـى؟

ومـا دمـت يـا هـذا بمـا قلـت جـاهلاً وكـل الـذي تدريـه مـاذا أتـت (سـلمى)

ومـا دمـت عـن ضـاد الأعـارب غـافلاً لمـاذا التخـاريف التـي احتـوتِ السُّـما؟

هـو الشـعر رمـزُ فـي ثنايـا حروفـه وبعـض إشـاراتٍ أراهـا لـه نُعمـى!

وسـل عـن قـريض العُـرْب (أوْسـاً وخزرجـاً) وسـائل (قريشـاً) يـا جهـولاً ، وسـل (لخمـا)

يُخَبّـرْكَ أهـلُ الضـاد عـن عـذب شـعرهم لتـدرك أن الشـعر ممـا تـرى أسـمى

وتعلـم أن الشـعر فعـلاً تـذوقٌ ومثلـك لا يـدري لمعسـوله طعمـا

وشـاعر هـذا العصـر يشـقى بأهلـه فأجيالـه يـا صـاح لا تحمِـل الهمـا

طـوتْ أغلـبَ النـاس الجهالـة والهـوى فلـم يُـدركوا شِـعراً ، ولـم يُـدركوا عِلمـا

فأقصـرْ مـن اللـوم الجهـول تحفظـاً ولا تكثـر التجـريح والطعـن والـذما

كفـى الشـعر مـا يلقـي مـن الكيـد سَـاقه عُتـاة غفـاة أتقنـوا الـدس والظلمـا

شاعرٌ مُفترىً عليه

(فتح الله عليه في الشعر فتحاً مبيناً. فأجاد الكتابة والإنشاد على كل بحور الشعر العربية. وصقل الموهبة بالدراسة فأبدع ، فإذا بالمحيطين به يدفعهم حقدُهم عليه وحسدهم إلى النيل منه والتخرّص عليه والتشفي فيه. وكان الأحرى بهم أن يفاخروا ويفتخروا به ، أو حتى يغضوا الطرف عنه ، فلا يمتدحونه ولا يذمونه. أما أن يستطيلوا في عِرضه ، ويلوكون سمعته تشفياً وحقداً ، فهذا أمر لا تقبله النفس ، ولا يُقره الضمير. وتعظم البلوى عندما يهب لمواساة ذلك الشاعر رجلٌ من غير أهل ملته ، وليس له عِلم بالعربية نثراً ولا شعراً! فإذا بالشاعر يُسَر بهذا العامي الذي جلى حقد وحسد المثقفين هؤلاء! فكتبتُ منشداً أقول:-)

أرحْ - مـــــن لوْمِـــــك - الناســـــا ... ويكفيـــــك الـــــذي واســـــى

ودع إفكـــــاً رمَـــــوْكَ بـــــه ... فلـــــيس الإفـــــكُ مِقياســـــا

فقـــــد عُلمْـــــتَ مـــــا جهلـــــوا ... ألا فلتعـــــــــذر الناســـــــــا

وهـــــم كـــــالوا الأســـــى حســـــداً ... وجـــــرّوا الويـــــل والباســـــا

وأشـــــقاهم مَـــــن اســـــتعلى ... بباطلـــــه ، ومـــــا آســـــى

وأشـــــعل فتنـــــة طالـــــت ... فـــــؤاداً عـــــاش حسّاســـــا

وشـــــجّ بســـــيف صـــــولته ... فتـــــىً - فـــــي القـــــوم - نبراســـــا

وعـــــاب الشـــــعر دون حيـــــا ... ومـــــا قاســـــى الـــــذي قاســـــى

ونـــــال بجهلـــــه رجـــــلاً ... عزيـــــز الـــــنفس مئناســـــا

وشـــــن الحـــــرب مُرْعِـــــدة ... بأجنـــــادٍ ، وذا ساســـــا

وســـــاق الشـــــعر فـــــي قيـــــدٍ ... أبـــــاتَ الغِـــــرُ نخاســـــا؟

تـــــذم الشـــــعر يـــــا لكعـــــاً؟ ... فهـــــل أوتيـــــتَ قِسطاســـــا؟

شـــــعوري صُـــــغته شِـــــعراً ... يـــــذرّ الفـــــل والآســـــا

فكيـــــف تقـــــولُ: رُقعتـــــه ... يراهـــــا النـــــاس أكياســـــا؟

بين شاعر ومستشعر

(أخذ ذلك المستشعر يتقعر في الكلام ، ويتحذلق ليُثبت أنه شاعر. وظن أن صمت المخاطب الشاعر دليل على الإقرار له بذلك. والحقيقة عكس ذلك ، إنه الصبر عليه حتى ينتهي ذلك المستشعر ليلقنه الشاعرُ درسَ العُمر ويُفصحَ له عن تصوره! يقول الأستاذ زاهر واصف عن ادّعاء العلم والمعرفة ما نصه: (يشيع بين الناس الظهور بمظهر العالم أو المثقف الواسع المعرفة! ولعل انتشار خدمة الإنترنت ساهم في تعاظم هذه الظاهرة ، وإن كانت هذه الملاحظة لا تلغي حقيقة لا بد من الوقوف عندها ، وهي أن الشبكة العنكبوتية وسّعت آفاق الناس وجعلت المعلومات على اختلاف مجالاتها ومصادرها ومدى صحتها متاحة لشرائح متباينة من المجتمع. ولكن الأخطر في هذا الأمر أن هناك عقولاً وشخصيات تتشكل وتبنى على بعض المعلومات والأفكار الخاطئة).هـ. فكتبتُ لهذا المستشعر المتعالم الذي يزعم أن التقعر في الكلام واختيار الألفاظ المنمقة العذبة ، سوف يضفي عليه وصف المثقف النحرير!)

كم سبرتُ ما سقتَ مِن جاهليةٌ! ... يا عديمَ الإحساس والأرْيحيةَ

كم كتبتُ الأشعارَ في كل شأن ... مُفصِحاً عن شخصيتي والهوية

كم طرقتُ بالشعر أسمى القضايا ... لم تعُقني مما طرقتُ قضية!

كم تمرّستُ في القريض احتساباً ... عند ربي تمرّسي والنية!

ثم تأتي يا غِرّ تدْلي بدلو ... لا تطيقُ أرجاسَه البشرية!

تستطيل بالحذلقاتِ ، وتهجو ... مؤثراً ما تجيدُ مِن فوضوية

زاعماً أن الجُعر يُقنعُ عقلاً ... أو يُقوّي ما صغتُ مِن مَنهجية

إنما الاستشعار قُبحٌ وعارٌ ... تجتبيه كل النفوس الغبية

ما التقى الشعرُ بالتشاعر يوماً ... فاتبعني ، كيلا أراكَ ضحية

ليس صمتي الإقرارُ يا مَن تُلاحي ... إنما صمتي إذ دهتني البلية

لم يكنْ الاستشعارُ سهلاً يسيراً ... والأحاجي كانت عليّ عتية

صاح أقصرْ ، إن القريض برئٌ ... مِن سَخافاتٍ ، ما لها مرجعية

وارحم الناسَ مِن تخاريفِ غافٍ ... يُوهمُ القومَ أنها شاعرية

ادرس الشعرَ كي يُصاغ صحيحاً ... نابعاً فعلاً مِن مشاعرَ حَية

شاعرٌ يدافع عن نفسه

(اتهم ذلك الشاعرُ في شعره ، من أنه يصوغه تكلفاً ، فراح يدافع عن شعره بهذه الأبيات ليثبت عكس ذلك. والحقيقة أن أي شاعر يُتهم في شعره يجب أن يُدافع عن نفسه ليُظهر الحقيقة!)

إن شِـــعري ترنيمتـــي بعـــضُ نفسِـــي ... مثـــلُ فلْـــكٍ فـــي البحـــر تجـــري وترسِـــي

فيـــه بُحْـــتُ بكـــل سِـــرّي وفِكـــري ... عشـــتُ فيـــه غـــدي ويـــومي وأمســـي

وبـــذلتُ فـــي نظمِـــه كـــلّ غـــالٍ ... لتـــراه الـــدنيا بموكـــب عُـــرس

ليكـــون سِـــلماً لمـــن قـــد أنـــابوا ... وجحيمـــاً يغتـــال أخبـــث رجـــس

وانتقيـــتُ ألفاظـــه فـــي اعتـــزاز ... واصـــطفيتُ الأوزان مـــن كـــل جـــرس

واستشـــرْتُ أهـــل الصـــناعة حتـــى ... لا أكـــون يومـــاً ثـــأرتُ لنفســـي

واطلعـــتُ علـــى قـــديم تُـــراثٍ ... واستضـــأتُ بكـــل نجـــم وشـــمس

ونهلـــتُ مـــن طيّبـــات مَعـــين ... واضَّـــلعتُ مـــن كـــل شِـــرب وغـــرس

وارتويـــتُ مـــن زادِ مَـــن سَـــبقوني ... كنـــتُ أضـــحِي -لـــدى القـــريض- وأمســـي

ثـــم ســـجّلتُ بـــالقريض حيـــاتي ... خلجـــاتي وسَـــكنتي ، بـــل وهمســـي

وانثُـــدبتُ لكـــي أبيـــع قريضـــي! ... وحقيـــرٌ مـــن بـــاع شـــعراً بفلـــس

كـــم ســـهرتُ لكـــي أنقـــح شِـــعري ... ويراعـــي خـــلا طـــويلاً بطِرســـي!

كـــم أزلـــتُ مـــن القـــريض غموضـــاً ... وطعنـــتُ بحربتـــي كـــل لـــبس!

أبتغيـــهِ شـــعراً فصـــيحاً مُبينـــاً ... يُـــبهج القلـــب ، مـــا احتـــوى أي نحـــس

ليُضـــيف عُمـــراً جديـــداً لعُمـــري ... يـــومَ يُلقـــى - فـــوقي التـــرابُ - برمســـي

لم يبلغ شاعرُكم شأواً!

(أخذ بعض السفهاء يمتدحون شاعراً لهم يحبونه حباً جماً ، ويثنون عليه كأنه واحد من أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم. والأصل أنْ لا يسرف الإنسان في المدح. فقلتُ لهم: أسمعوني من شعره. ذلك أن شعر الشاعر دليلٌ على تصوره وأخلاقه ودينه ومبادئه! وأذكر أنني ناشدتهم أن يستشهدوا بأجمل وأحلى ما أنشد ذلك الشاعر حتى يُمكن الحكم عليه! فأنشدوا منكراً من القول وزوراً. فقلتُ: ليس بشيء ، وصرحتُ بأنه لم يذهب ذلك المذهب الذي نعتوه به من القيم والمثل. وفوق ذلك هو مستشعر إباحيٌ خليع. فلقد أوغل في الشعر الفاحش المنحل! ووجدتني أقول لهم مُنشداً على البحر المضارع أقول:-)

يـــــا نـــــاسُ ، فـــــيم التلاحـــــي ... عـــــن الســـــفيه الإبـــــاحي؟

مـــــازال يهـــــذي ، ويلغـــــو ... معرِّضـــــاً بـــــالمِلاح

وواصـــــفاً كـــــل حُســـــن ... وداعيـــــاً للسِّـــــفاح

ومُفرطـــــاً فـــــي التـــــدني ... بـــــالمنطق الفضـــــاح

أزال ســـــتر المعـــــالي ... لمـــــا رمـــــى بالوشـــــاح

ثـــــم ازدرى كـــــل حـــــق ... مثـــــل ازدراء (ســـــجاح)

فـــــي جـــــرأةٍ وانحطـــــاطٍ ... كالغـــــادر الســـــفاح

لـــــم يَبلـــــغ النـــــذل شـــــأواً ... يُغـــــري ســـــفيهاً يُلاحـــــي

فـــــلا تكيلـــــوا التحايـــــا ... تزينـــــتْ بامتـــــداح

لا يســـــتحق ، فرفقـــــاً ... ولا تزيـــــدوا جراحـــــي

والشـــــعرُ منـــــه بـــــريءٌ ... يـــــا جوقـــــة الأمـــــداح

مـــــا الشـــــعرُ إنْ لـــــم يُعـــــالجْ ... عَوارَنـــــا بالكفـــــاح؟

مـــــا الشـــــعرُ إنْ لـــــم يُشـــــخِّصْ ... أمراضَـــــنا بانتصـــــاح؟

مـــــا الشـــــعرُ إنْ لـــــم يُطبّـــــبْ ... داءاتِنـــــا بارتيـــــاح؟

مـــــا الشـــــعرُ إنْ لـــــم يُقـــــوِّمْ ... بـــــالمنهج الوضـــــاح؟

شايٌ بالنعناع

(في إحدى المُداعبات قلتُ لابني عبد الرحمن: اصنع لنا شاياً خفيفاً زائداً سُكّرُه! فقال: أكيد بالنعناع! وأنشد على الارتجال وبدون أدنى إعدادٍ منه أو تهيئة:

(نعنـــعْ كـــؤوسَ الشـــاي قبـــل شـــرابها لا خيـــر فـــي شـــاي بـــلا نعنـــاع!)

فقلتُ له: أكملْ فقال: إلى هنا فقط! أكملْ أنت! فوعدتُه بعد أن كتبتْ بيته من البحر الكامل بسرعة قبل أن يطير كالعطر! وكانت هذه القصيدة وفاء له بوعد قطعته على نفسي أن أكمل! ويحسن بنا أن نبين فوائد النعناع لمن كان لا يعلمها! بحيث إذا لم تعجبه القصيدة وهذا وارد ، فلينتفع بما توصل إليه العلم في بيان فوائد النعناع! أما عن النعناع وجماله وأثره الصحي الساحر ، فهناك في (موقع مستشفيات مغربية) وجدنا مكونات النعناع: تحتوي كل 100 جرام من النَّعْنَاع بحسب معلومات وزارة الزراعة الأمريكية على المواد الغذائية التالية: الدهون المشبعة: 0.24 ، والسعرات الحرارية 70 ، والدهون: 0.94 ، والكاربوهيدرات: 14.89 ، والألياف: 8 ، والبروتينات: 3.75 ، والبوتاسيوم ، بقيمة 458 مللي جرام ، والصوديوم ، بقيمة 30 مللي جرام ، والكالسيوم ، بقيمة 199 مللي جرام ، والماغنسيوم ، بقيمة 63 مللي جرام ، والحديد ، بقيمة 11.87 مللي جرام ، والزنك ، 1.09 مللي جرام ، وحمض الفوليك ، بقيمة 105 ميكروجرام ، وفيتامين (ج) ، بقيمة 13.3 مللي جرام ، وفيتامين (ب2) ، بقيمة 0.175 مللي جرام ، وفيتامين (ب) ، بقيمة 0.0781 مللي جرام ، وفيتامين (ب3) ، بقيمة 0.948 مللي جرام ، وفيتامين (ب6) ، بقيمة 0.158 مللي جرام ، وفيتامين (أ) ، بقيمة 4054 وحدة دولية).هـ. وفي موقع البوابة (الإليكتروني) ووجدنا أن لهذه النبتة فوائد كثيرة على صحة الإنسان ، ومن هذه الفوائد: (تسكيين الآلام العصبية ، ويعالج الاضطرابات المرارية ، ويسكن الآم أسفل البطن ، وآلام الحيض ؛ فيهدئ عضلات الرحم ، ويطرد الغازات المعوية ، ويعتبر النعنع مضاد للالتهابات ، وهو طارد لمرض الالتهاب الكبدي ، ويعمل النعناع على بث القوة والنشاط في الجسم ، ويستعمل لأمراض التهابات المفاصل والروماتيزم ، وشرب النعناع بشكل مستمر يعمل على تنشيط المخ والقلب والدورة الدموية ، ويقوي الكبد والبنكرياس ، ويليّن الأمعاء ، ويطرد الديدان والبكتيريا والطفيليات التي قد تصيب جسم الإنسان ، ويعالج المغص والإسهال ، ويقضي على الحموضة ، ويعمل على إزالة روائح الفم الكريهة ، ويخفف النعنع عند مضغه من آلام الأسنان واللثة ، وعند الغرغرة بماء النعنع يعالج ذلك التهاب الحنجرة ، وغلي أوراق النعناع أو إضافتها إلى الشاي تساعد من يعاني من الزكام ؛ بتوسيع الشعب الهوائية لمن يعاني من صعوبة في الهضم ، شرب النعنع يعمل على يساعد على الهضم ويخفف من التشنجات المعوية ، ويساعد على فتح الشهية ، ويعالج أمراض القولون العصبي عند الكبار والصغار ، ويسرّع عملية الشفاء من أمراض الانفلونزا ونزلات البرد ، ويعالج مرض السل وهو طارد للبغلم والسعال ، وأنزيمات النعناع تساعد على الوقاية من السرطان ، كسرطان الرئة و الجلد و البروستات ، يعالج الاكتئاب والتعب والقلق والتوتر ، وشمّ أوراق النعناع الطازجة تساعد من يعانون من الغثيان ، سواء غثيان السفر أو غثيان الحمل ، وشم أوراقه أيضاً يحسن من الذاكرة ويعزز النعناع المناعة ويقويها ؛ لاحتوائه على مواد مغذية كالكالسيوم ، الفوسفور ، وفيتامينات ي ، د ، سي ، ويساعد على تحفيز حرق الدهون في الجسم).هـ. وجزى الله خير

الجزاء من أمدونا وأفادونا بهذه المعلومات القيمة عن النعناع! ووالله أنا أحب النعناع على الشاي منذ صغري ، ولم أكن أتصور أن به كل هذه الفوائد الجمة! وما كنتُ أتصور أن الأطباء العرب الأقدمين كابن النفيس وابن البيطار وداود الأنطاكي والتركماني كانوا يعالجون مرضاهم بالنعناع ، أردتُ بهذه المقدمة المستفيضة تبيين فوائد النعناع الجمة!)

(نعنـــعْ كـــؤوسَ الشـــاي قبـــل شـــرابها ... لا خيـــرَ فـــي شـــاي بـــلا نعنـــاعِ!)

لا فَـــضَّ فـــوك الشـــعرُ غـــرّدَ باســـماً ... وأشـــــاد بالتقســـــيم والإبـــــداع

وتشـــــرّفتْ أبياتُـــــه وبحـــــورُه ... لمّـــا صـــدحت بجـــاذب الإيقـــاع

وصـــدقت فـــي تشـــخيص مـــا صـــورته ... مثـــل الأماجـــد صـــفوة الصـــناع

بيـــتٌ يُشـــع حـــلاوة وطـــلاوة ... ويزيـــل لوعـــة حـــائر ملتـــاع

ويبيـــد أوجـــاع الحيـــاة وضـــنكها ... إذ لـــيس يُبقـــي لاعـــج الأوجـــاع

فالشـــاي بالنعنـــاع أطيـــب مـــا احتســـى ... عبـــدٌ أصـــيب بغصـــةٍ وصُـــداع

والأمـــرُ مـــدروسٌ وبعـــدُ مجـــرّبٌ ... هـــو لـــيس محتاجـــاً إلـــى الإقنـــاع

واســـأل عـــن النعنـــاع قومـــاً طبّبـــوا ... فيمـــا مضـــى فـــي هـــذه الأصـــقاع

والتركمـــــاني الطبيـــــب دليلنـــــا ... فيمـــــا نخـــــط حقيقـــــة بيـــــراع

وابـــن النفـــيس لـــه بـــذاك مقالـــة ... أســـرتْ قـــرائحَ خِيـــرة الأتبـــاع

وجحافـــلُ الطـــب البـــديل كـــذا ارتـــأوا ... والأمـــرُ مشـــتهرٌ بـــدون نـــزاع

لا شـــيء كالنعنـــاع يُـــبهجُ خـــاطراً ... ويمـــد بـــالترويح والإمتـــاع

فأعـــدَّ كأســـك يـــا بُنـــي نديـــة ... ولتجعـــل النعنـــاع مثـــل شـــراع!

تطفـــو عليهـــا غضـــة أوراقـــه ... واذهـــب بهـــا للأهـــل والأشـــياع

إنـــي علمتُـــك للأوامـــر طيعـــاً ... أكـــرمْ بـــالابن الطيـــب المِطـــواع!

للهـــم وفقـــه ، وأصـــلحْ شـــأنه ... وارزقـــه أجمـــل عيشـــةٍ وطِبـــاع

واجعلـــه شـــهماً يحتـــوي إخوانـــه ... كـــي لا يـــذوقوا حرقـــة الأطمـــاع!

شب عن الطوق

(بنى علاقته ذلك النذل الخسيس الانتفاعي الحقير ، بالناس على أساس المنفعة. فلمّا تمكّن واستغنى تنكر لمن أكرموه ، فكان صورة مثلى وقدوة حسنة لمن حذا حذوه من الانتفاعيين الأخسة! والناس تعودوا أن يحبوا الكريم منهم ، ويمقتوا البخيل الشحيح. والأصل أن زيداً يحمل عمراً اليوم ليحمله عمر غداً! أما علاقة الانتفاع والمصالح فبئست العلاقة! ومن هنا كتبت هذه القصيدة على لسان كريم لكل نذل وضيع خسيس يعيش لنفسه ويحيا للمصالح ويصاحب للمنافع! لعلها ترد القوس إلى باريها ، وتضع الأمر في نصابه! ولعل الأنذال يعتبرون بها يوماً!)

ألا يـــا نـــذل عافتـــكَ القلـــوبُ ... وسَـــمتك بـــات يَكشـــفه اللبيـــبُ

ولـــيس الشـــهمُ يُنكـــر فضـــلَ شـــهم ... ويُنكـــر فضـــلَ مَـــن بـــذلوا المَعِيـــب

أتنكـــر مـــا بـــذلتُ مِـــن العطايـــا ... وتختـــرع الزيـــوف ، وتســـتريب؟

أطـــاب لقلبـــك البهتـــانُ مـــأوى؟ ... ويـــأمرك الغـــرورُ ، وتســـتجيب

تناســـيتَ الجميـــلَ بـــدون حـــق ... ألا هـــذا هـــو العجـــبُ العجيـــب!

وتنشـــد - بيننـــا يومـــاً - ســـلاماً ... وقـــد نـــاءت بكلكلهـــا الحـــروب

ألا خـــابَ انتفاعُـــك والنوايـــا ... وقـــد بعِـــدتْ بخلتنـــا الـــدروب

وعوْدتنـــا لمَـــا كُنـــا مُحـــالٌ ... وريـــحُ الشـــر أزكاهـــا الهبـــوب

وشـــمسُ لقائنـــا أغضـــتْ حيـــاءً ... وأطفـــأ نـــورَ طلعتِهـــا الغـــروب

لقـــد نزفـــتْ علاقتنـــا دمـــاءً ... وكفـــكَ مِـــن إراقتهـــا خضـــيب

مللـــتُ عتـــابكم واللـــومَ حتـــى ... تطـــاولتم فمـــا مـــنكم مُنيـــب

وكـــم يجنـــي العِتـــاب علـــى كـــريم! ... فتعـــروهُ المثالـــبُ والعُيـــوب

وقـــد شـــب الفتـــى عـــن طـــوق لـــوم ... وأمســـى البُعـــد عـــن دربـــي يطيـــب

خـــدعتُ بمـــا أبـــديتم مـــن رشـــادٍ! ... قضـــاءُ الله ، والبلـــوى نصـــيب

فسُـــبحان الـــذي خلـــق البرايـــا ... فـــذا نـــذلٌ ، وذا بطـــلٌ نجيـــب!

شرف

(كان يذكر من ماضيه مع الفقر ما جعل سامعيه الحمقى السفهاء والمغفلين البلهاء يتندرون عليه ويسخرون منه ويحتقرونه. فكتبتُ أبين بأن الماضيَ شرف ، وأن ذكره على حقيقته سؤدد. وجدير بمن يذكر ماضيه بهذه الطريقة أن يستلهم منه العِبرة تلو العبرة والعِظة تلو العظة. وإن نسيان الماضي أو تناسيه أو المزايدة عليه بتحريفه وذكر ما لا يمت له بصِلةٍ جريمة يجرمها في حق نفسه من يفعل ذلك! وأنا إذ أقول هذا فإنني أعني كل ماض يحتوي على المآثر والمناقب والأشياء المباحة التي أحلها الله وأقرتها الشريعة. وقد نذكر من الماضي صفحات مظلمة مخالفة للشريعة لتذكر نعمة الله علينا بما منّ علينا به من الإيمان به واتباع رسوله بعد أن كنا غير ذلك. كتذكر بعض أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم - لبعض ممارساتهم الجاهلية قبل إسلامهم. وكان ذلك منهم من باب تذكر نعمة الله عليهم عندما يذكرون ما كانوا عليه في الجاهلية مقارنين ذلك بما أصبحوا عليه في الإسلام. قال المنجد عن تذكّرنا للجاهلية: (يكون المرء مسلماً ويولد في الإسلام ، ويعيش بين المسلمين ، وربما يكون ضالاً فيهديه الله عز وجل ، فيغشى دور العبادة ويصحب الأخيار ، ويأتي الطاعات ، وينتهي عن كثير من المحرمات ، وربما شرع في طلب العلم ولكن يبقى في نفسه من آثار الجاهلية ما يبقى ، يدخل في الإسلام لكن دخولاً ليس بالكلي ، فتبقى معه آثار من آثار الجاهلية ، وبعضهم تظهر في نفسه بعد حين من الزمن من تلك الموروثات الأولى التي كان عليها أيام ضلاله ، ويدخل بعضهم في الهداية ، ولكن يبقى فيه من لوثات المجتمع الفاسد الذي كان فيه ، أو مما ورثه عن بعض أهله وعادات آبائه وأجداده مما يخالف شريعة الإسلام ، وهذا عيب كبير أن نكون مسلمين ولكن فينا من لوثات الجاهلية ، وأن تظهر علينا علامات الهداية وسمت الإسلام والتمسك بالسنة ، ولكن فيها رذاذ يصيبنا من الجاهلية. لقد جاء الله بالإسلام ، فمحا الجاهلية ، وتتبعت الشريعة كل أمر من أمور الجاهلية القبيحة لتنسفه وتحرمه ، وتعظ الناس ، لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم ، يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن أمور الجاهلية التي بقيت ، كما قال معاوية بن الحكم السلمي (أرأيت أشياء كنا نفعلها في الجاهلية ، كنا نتطير ، قال: ذلك شيء تجده في نفسك ، فلا يصدنك ، قال: كنا نأتي الكهان ، قال: فلا تأت الكهان). هكذا قال له: إنني حديث عهد بجاهلية ، كنا نفعل كذا وكذا فبيِّن لي ، فبيَّن له صلى الله عليه وسلم أن التشاؤم من الشيطان ، ولا يردنك عن قصدك ولا يصدنك عن حاجتك ، امض لمصلحتك ، ولا تتشاءم ، ولا تأت الكهان. وقال عليه الصلاة والسلام في قوم من العرب ، والعرب كانوا مشهورين بالفخر بالآباء ، وكانوا يتطاولون على بعضهم في ذلك ، وينشدون الأشعار في الفخر ، ويؤدي ما يؤدي إليه من احتقار الخلق والبغي والحرب بينهم ، قال عليه الصلاة والسلام: (إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عُبِّية الجاهلية ، وفخرها بالآباء ، مؤمن تقي ، وفاجر شقي ، الناس قسمان ؛ أنتم بنو آدم وآدم من تراب ، ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من جنهم ، أو ليكونُنَّ أهون على الله من الجُعلان التي تدفع بأنفها النتن). عُبِّية الجاهلية: فخرها ، ونخوتها ، وتكبرها ، أذهبه الله. محاه الله. حرمه الله ، ولم يبق الناس يتفاضلون إلا بالإيمان والتقوى ، ليدعن هذا الفخر بالآباء مع أن الآباء جاهليون كفرة ؛ من فحم جهنم ، لكن كان لا يزال هناك من يفتخر بآبائه وأجداده ، وإذا لم يترك هذا سيكون عند الله أهون من الجعلان وهي تلك الدويبة السوداء التي تدير الخراءة بأنفها ، صوَّر عليه الصلاة والسلام هذا الفخر بأقبح صورة لحشرة تدفع بأنفها العذرة ، هكذا قال

رسول الله محارباً هذه الرذيلة التي ربما تظهر في الأمة).هـ. ولنتذكر الماضي بأحداثه ودروسه ونستحضر الحاضر لنصلح المستقبل!)

ذكـــرُكَ الماضـــي افتخـــار وشـــرفْ ... كـــل مغـــوار بهـــذا يعتـــرفْ

لا ينـــل منـــك الألـــي لـــم يعقلـــوا ... كـــل مـــا قـــالوه هـــزلٌ وخَـــرَف

كـــن كـــأن لـــم تســـتمع يومـــاً لهـــم ... كـــي تـــريح القلـــب مـــن هـــذا القـــرف

أنـــت جـــزءٌ مـــن بقايـــا أمســـهم ... عنـــدك الأخبـــار عـــن مُـــر الشـــظف

عنـــدك الماضـــي الـــذي كـــم عضـــهم! ... إنهـــم صـــاروا بحـــال مختلـــف

يرتـــدون الكبـــر فينـــا حُلـــةً ... ولهـــم - فـــي العـــيش - ألـــوان التـــرف

إن ذكـــر الأمـــس كـــم يُـــزري بهـــم! ... إذ عقـــول القـــوم أعماهـــا الصـــلف

لا تجـــاملهم ، وكـــن مستبصـــراً ... والـــذي أخفـــوْه يومـــاً ينكشـــف

إنمـــا للحـــق يومـــاً صـــولة ... بأســـها يـــودي بجيـــل منحـــرف

لا تظـــن الشـــر يبقـــى شـــامخاً ... لا ، ورب النـــاس يومـــاً ينجـــرف

أنـــت لـــم تكـــذب لكـــي يســـتهجنوا ... فلمـــاذا الكـــل عمـــداً يعتســـف؟

أنـــت لـــم تـــذكر عزيفـــاً ســـاقطاً ... دون جـــدوى ، أنـــت حـــددت الهـــدف

أنـــت لـــم تفضـــحْ بمـــا أوردتـــه ... أنـــت لـــم تنشـــرْ كلامـــاً فـــي الصـــحف

إنمـــا للـــدرس ذكّـــرتَ الـــورى ... كحـــديث الأهـــل تعـــروه الطـــرَف

إنمـــا الماضـــي حـــديثٌ آســـرٌ ... ذكـــره - واللهِ - مجـــدٌ وشـــرف

شريد في زوايا العمر

(كثيرون هؤلاء الذين يغتربون عن أوطانهم ، وتختلف النية والهدف كما يختلف الأسلوب والمنهج ، فمِن مفارق لدنيا يُصيبها وآخر لامرأة يتزوجها ، وثالث للعبث الذي لا يسمن ولا يغني من جوع ، ورابع كان قد فر بدينه مخافة أن يُسأل: (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها؟) ومن هنا يشعر المفارق الفار بدينه بأنه شريد في أرض الله ودنيا الناس ، حتى يتغمده الله بلطفه ورحمته ، فيعبر هذه الهواجس إلى شاطئ الأمل الكبير في الله الخالق عز وجل الذي خلق ويعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ، ولكن مثل هذا الشعور لا يُدركه إلا من عبد الله حق عبادته وعاش في عذابات مَن آمنوا به. قال الإمام الشاطبي في (الاعتصام) ما نصه: (كان الإسلام في أوله وجدته مقاوماً بل ظاهراً ، وأهله غالبون ، وسوادهم أعظم الأسودة ، فخلا من وصف الغربة بكثرة الأهل والأولياء الناصرين ، فلم يكن لغيرهم - ممن لم يسلك سبيلهم ، أو سلكه ولكنه ابتدع فيه صولة يعظم موقعها ، ولا قوة يضعف دونها عباد الله المفلحون ، فصار على استقامة ، وجرى على اجتماع واتساق ، فالشاذ مقهور مضطهد ، إلى أن أخذ اجتماعه في الافتراق الموعود ، وقوته إلى الضعف المنتظر والشاذ عنه تقوى صولته ويكثر سواده ، واقتضى سر التأسي المطالبة بالموافقة! ولا شك أن الغالب أغلب ، فتكالبت على سواد السنة البدع والأهواء ، فتفرق أكثرهم شيعاً. وهذه سنة الله في الخلق ، أن أهل الحق في جنب أهل الباطل قليل ، لقوله تعالى: (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) ، وقوله: (وقليل من عباديَ الشكور) ، ولينجز الله ما وعد به نبيه صلى الله عليه وسلم من عود وصف الغربة إليه ، فإن الغربة لا تكون إلا مع فقد الأهل أو قلتهم وذلك حين يصير المعروف منكراً والمنكر معروفاً ، وتصير السنة بدعة والبدعة سنة ، فيقام على أهل السنة بالتثريب والتعنيف ، كما كان أولا يقام على أهل البدعة ، طمعاً من المبتدع أن تجتمع كلمة الضلال! ويأبى الله أن تجتمع حتى تقوم الساعة ، فلا تجتمع الفرق كلها على كثرتها على مخالفة السنة عادة وسمعاً ، بل لا بد أن تثبت جماعة أهل السنة حتى يأتي أمر الله ، غير أنهم لكثرة ما تناوشهم الفرق الضالة وتناصبهم العداوة والبغضاء ، استدعاء إلى موافقتهم ، لا يزالون في جهاد ونزاع ومدافعة وقراع ، آناء الليل والنهار ، وبذلك يضاعف الله لهم الأجر الجزيل ويثيبهم الثواب العظيم. فقد تلخص مما تقدم أن مطالبة المخالفة بالموافقة جار مع الأزمان ، لا يختص بزمان دون زمان ، فمن وافق فهو عند المطالب المصيب على أي حال كان ، ومن خالف فهو المخطئ المصاب ، ومن وافق فهو المحمود السعيد ، ومن خالف فهو المذموم المطرود ، ومن وافق فقد سلك سبيل الهداية ، ومن خالف: فقد تاه في طرق الضلالة والغواية!..... فقلما تجد عالماً مشهوراً أو فاضلاً مذكوراً إلا وقد نبذ بهذه الأمور أو بعضها ، لأن الهوى قد يداخل المخالف ، بل سبب الخروج عن السنة الجهل بها والهوى المتبع الغالب على أهل الخلاف ، فإذا كان كذلك ، حمل على صاحب السنة ، أنه غير صاحبها ، ورجع بالتشنيع عليه والتقبيح لقوله وفعله ، حتى ينسب هذه المناسب. وقد نقل عن سيد العباد بعد الصحابة (أويس) القرني أنه قال: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يدعا للمؤمن صديقاً: نأمرهم بالمعروف ، فيشتمون أعراضنا ، ويجدون في ذلك أعواناً من الفاسقين ، حتى والله لقد رموني بالعظائم ، وايم الله ، لا أدع أن أقوم فيهم بحقه. فمن هذا الباب يرجع الإسلام غريباً كما بدأ ، لأن المؤلف فيه على وصفه الأول قليل ، فصار المخالف هو الكثير ، فاندرست رسوم السنة حتى مدت البدع أعناقها ، فأشكل مرماها على الجمهور ، فظهر مصداق الحديث الصحيح).هـ. ومن هنا تخيلت غربة الإسلام وأنشدت عن غربة هذا الشريد!)

شـــــريدٌ - فـــــي زوايـــــا العُمْـــــر - يبحـــــث عـــــن ليـاليـــــهِ ومَـــــأواهُ

وتخمِـــــــــش جُرحَـــــــــه الأوهـــــــــامُ ، والآلامُ مأواهـــــــــا حنايـــــــــاه

بـــــــراه الخـــــــوفُ والتفكيـــــــرُ فـــــــي المجهـــــــول ، يخشـــــــى مـــــــن خطايـــــــاه

شـــــــريدٌ يكتـــــــبُ الأشـــــــعار ، والقـــــــرّاء بالأوقـــــــات قـــــــد بخلـــــــوا

فلـــــــم يقـــــــرأ قصـــــــائده ســـــــواد النـــــــاس ، فـــــــيم البـــــــذل والعمـــــــل؟

ولـــــــم يشـــــــكر لـــــــه أحـــــــدٌ عواطفـــــــه ، وقـــــــد أودى بهـــــــا الخجـــــــل

شـــــــريدٌ فـــــــي ظـــــــلال الحـــــــرف يكتبـــــــه ويرســـــــمه ولا يـــــــدري

أيُمســـــــي حرفـــــــه دربـــــــاً وأســـــــباباً توصّـــــــله إلـــــــى القبـــــــر؟

أم أنّ الحـــــــرفَ قنـــــــديلٌ يُوَصّـــــــل نـــــــوره للمجـــــــد والفخـــــــر؟

شـــــــريدٌ زادُه التقـــــــوى وحـــــــب الله والإيمـــــــانُ والعـــــــزم

تغـــــــرّب فـــــــي بقـــــــاع الأرض يصـــــــحب أهلـــــــه ، والعُـــــــدّة العلـــــــم

يفـــــــرّ بدينـــــــه مِـــــــن دار شـــــــقوته إلـــــــى دار بهـــــــا الهـــــــم

شـــــــريدٌ ينســـــــجُ الآهـــــــاتِ جلبابـــــــاً ، وفـــــــي أحشـــــــائه الجـــــــرح

علـــــــى التوحيـــــــد قـــــــد دمعـــــــتْ ســـــــرائره ، وطـــــــال الليـــــــلُ والشـــــــرح

وفـــــــي القرطـــــــاس دمـــــــعُ يراعِـــــــه حـــــــزنٌ وكربـــــــاتٌ بهـــــــا قـــــــرح

شـــــــريدٌ والـــــــورى مِـــــــن حولـــــــه شـــــــمتوا لمَأســـــــاة يُعانيهـــــــا

كـــــــأن همـــــــوم أمتـــــــه علـــــــى أعصـــــــابه ســـــــقطتْ بلاويهـــــــا

فـــــــإن لـــــــم ترحمـــــــوا يـــــــا قـــــــوم كفـــــــوا الخـــــــوضَ والتضـــــــليل والتيهـــــــا

تلك شريعة الغاب

(عندما يعيش المرء في مجتمع لا يستعفف أغنياؤه ، بل يأكلون حقوق الفقراء. فإنها إذن أخلاق الغابة! نعم أخلاق المبدأ القائل: (البقاء للأقوى!) والأصل أن يستعفف الأغنياء ، فلا يعرّضون أنفسهم لسَخط الله وغضبه بأكل حقوق الفقراء والمساكين والمحتاجين والمعوذين. وإن مجتمعاً يؤدي أغنياؤه زكوات أموالهم بتداولها بينهم لمجتمع بئيس رهين انتقام الله وأخذه! إذ الزكاة حق الفقراء والسائلين والمحرومين! (والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) (إنما الصدقات للفقراء والمساكين..). فكيف بأغنياء يأكلون حقوق الفقراء بتداول الزكاة بينهم؟)

خففـــوا الظلـــم ، وارحمـــوا الفقـــراءَ ... خـــاب قـــومٌ لـــم يرحمـــوا البؤســـاءَ!

كـــم أكلـــتم حقـــوقهم دون حـــق! ... ثـــم بـــاتوا - مِـــن ظلمكـــم - أشـــقياء

مـــا تـــورّعتم عـــن شـــريعة غـــاب ... القـــويُّ يســـتعبدُ الضـــعفاء

أغنيـــاءُ ، والبخـــلُ يُضْـــفي علـــيهم ... كـــل شـــح يُزجـــي الأذى والعـــداء

والقلـــوبُ - بالشـــحّ - أمســـتْ صـــخوراً ... تحقِـــرُ الجُـــودَ ، والوفـــا ، والعطـــاء

كيـــف يحيـــا الفقيـــر بـــين الضـــواري؟ ... يســـأل القـــوت ، ويســـتدرّ الســـقاء

يخفـــضُ الـــرأس بـــين مـــن قـــد تعـــامَوْا ... ثـــم جـــرّوا ثيـــابهم خـــيلاء

فيُـــواري هـــذا الفقيـــرُ أســـاه ... ثـــم يُغضـــي ممـــن قلـــوْه حيـــاء

يشـــتكي - للـــرحمن - ممـــا يُعـــاني ... ثـــم يُزجـــي - عبـــر الـــدعاء - البكـــاء

يســـأل المـــولى رحمـــة لا تُبـــارى ... تمـــلأ العـــيش فرحـــة واهتنـــاء

ويُسَـــلي نفســـاً تُقاســـي الرزايـــا ... ثـــم تلقـــى - مـــن الأنـــام - ازدراء

ويُمَنـــي قلبـــاً تحـــرَّق وجْـــداً ... عنـــدما عنـــه الثبـــاتُ تنـــاءى

ويُلاحـــي - عـــن حالـــه - فـــي إبـــاءٍ ... ولهـــذا يســـتقريء اســـتقراء

ويُســـرِّي - عـــن روحـــه - مـــا دهاهـــا ... ويَســـوق - فـــي قولـــه - الأصـــداء

هكـــذا الـــدنيا ، يـــا فقيـــرُ تفطـــنْ ... لا تعاتـــبْ - فـــي شـــأنها - الأغنيـــاء

شعري أقرب للتقوى

(طلب مني سائل أن أنشد من الغزل فعدلت عنه. وتلوت عليه قصيدة (رسالة إلى ولدي) من ديوان (نهاية الطريق). فقال: (ليست هذه غزلاً.) ثم تناول مفاتن النساء! فقلت: شعري أقرب للتقوى. إن الشعر الإباحي الفاحش البغيض الحقير ، وإن كان طريق الشهرة والمال في الأرض اليوم ، لكنه سيكون يوماً ما وبالاً على أصحابه الذين آثروا أن يدخلوا التاريخ من أوسخ أبوابه وأحقرها. وما أسهل أن يسطر شاعر صناع متمكن قصيدة إباحية يسيل لها لعاب الإباحيين. ولكنه في الحقيقة يكون قد خسر نفسه ودنياه وآخرته! والدنيا التي أعني هنا هي الدنيا كما أرادها الله لعباده المؤمنين ، وفق منهاجه وشريعته. لا دنيا السفول والسقوط والانحطاط! وعسير جداً على الشعراء الإباحيين المنحلين أن يكتبوا في شعر القيم والأخلاق. إذ ما كان من القلب وصل تلقائياً إلى القلب! وإذن فالقيم والأخلاق التي عاش ذلك الإباحي المفلس المنحط السافل يحاربها ويسخر منها في جُل قصائده ، لا يمكن أن تنفعل له عند دفاعه عنها وتغنيه بها ، فضلاً عن أن تصل إلى الناس وقلوبهم. فأنشدتُ أعبر عن هذا من البحر السريع:)

هـــذا الســـؤال المُـــر يُحرجنـــي ... فـــارحم قريضـــاً خطـــه شـــجَني

فـــيم التلاحـــي؟ إن تجربتـــي ... فـــي الشـــعر قـــد جلـــتْ عـــن الفـــتن

روّيتـــه مـــن كـــل مَكرمـــة ... حتـــى غـــدت ســـلوى لممـــتحن

لـــم أرتجـــل مـــا أنشـــدت عِظتـــي ... ونصـــائحي فـــي الســـر والعلـــن

وقصـــائد الـــديوان تشـــهد لـــي ... مـــن أن شـــعري العـــف لـــم يهُـــن

إذ صـــنته عـــن كـــل مخبثـــةٍ ... فالشـــعر – بـــالتقوى - يُشـــرفني

يكفـــي الـــذي يُشـــجي الضـــمير فقـــد ... شخصـــتُ مـــا عايشـــت مـــن محـــن

لـــم أدعُ - فـــي شـــعري - لمنقصـــةٍ ... إذ لســـتُ - فـــي فكـــري - بممـــتهن

لـــم أرتـــزق - بالشـــعر - خردلـــةً! ... للـــروح شـــعري ، لـــيس للبـــدن

لمّـــا أصـــف (ليلـــى) وفتنتهـــا ... إذ لـــيس هـــذا الـــدعرُ مـــن سَـــنني

لمّـــا أروّج - للخنـــا - أبـــداً ... إذ بالخنـــا مـــا الشـــعر بالحَســـن

مـــا قيمـــة الأشـــعار ننشـــدها ... تـــدعو إلـــى التضـــليل والـــدخن؟

كـــم قيـــلَ لـــي: أنشـــدْ بـــلا حـــرج ... واخـــرجْ مـــن الماضـــي إلـــى الـــزمن!

لكننـــي أهجـــو مَقـــالتهم ... إذ لســـت بالـــدنيا بمفتـــتن

شعري يعذب

(عانى هذا الشاعر من الناشرين جداً. فناشرٌ مُغال قد تاجر بالكلمة. وناشر يعطي الوعود الكاذبة بمستقبل عظيم للكتاب تداولاً وتغطية للتكاليف! وناشر مستغل جبان. وناشر سارق لا يهمه إلا الدرهم والدينار. وناشرٌ عوانٌ بين ذلك. وأحسّ الشاعر أن شعره يكاد يضيع بين ناشر طماع جشع ، وقارئ بخيل جاهل! فكان عذاباً للشعر لا يحسه إلا الذي كتبه وصاغه! وكان الشاعر يظن أن مشكلته الكبرى هي تحويل شعوره شعراً فقط ، فإذا به يكتشف أن هذه كانت من أسهل المشاكل بإطلاق. ولكن لم يصرفه ذلك عن الكتابة! بل ظل يكتب متحدياً الظروف والأحوال! فأضحى شعره يُعذب بين أهل الطباعة والنشر والتوزيع . واليوم هناك جهات معنية بالشعر والأدب طباعة ونشراً وتوزيعاً ، ولكن أي شعر وأي أدب؟ إنه الأدب الخليع المنحل الإباحي الساقط! وأي شعر؟ إنه الشعر الخليع المنحل الإباحي الساقط ، شعر المجون والرذيلة أو شعر تأليه الظالمين أو شعر سب الإسلام! فأنشدتُ باكياً أحكي عن مأساته ومعاناته!)

شِـــعري ابتُليـــت بأزمـــةٍ وسِـــقامِ ... حتـــى بَقيـــتَ فريســـةَ الآلامِ

وطعِنـــتَ يـــا شـــعري بحربـــة حاقـــدٍ ... وضُـــربتَ مَغـــدوراً برميـــة رام

والناشـــرون عليـــك جـــاروا غِيلـــة ... وعليـــك صَـــبّ القـــومُ مُـــر سِـــهام

والشـــامتون تنـــدّروا ، وتفكّهـــوا ... واســـتهزأوا بالشـــاعر المِقـــدام

وكرامـــة الشـــعر اســـتبيحتْ جهـــرة ... وعَـــلا عَزيـــفُ الجوقـــة اللـــوام

لـــولا تلاعـــبُ تـــاجر مســـتهتر ... حـــذقَ الخِـــداعَ علـــى مـــدى الأيـــام

وقـــد اســـتحلّ نقودنـــا وقريضـــنا ... ورأى التـــزام الحـــق غيـــرَ لـــزام

وسِـــواه خادَعَنـــا بلِـــين كلامـــه ... متســـنماً منظومـــةَ الأنغـــام

وســـواهُ - بـــالتوزيع - ضـــنّ مفضـــلاً ... عـــن شـــعرنا صُـــحُفاً زهـــتْ بغـــرام

وســـواه ســـاومَنا علـــى مـــا عنـــدنا ... ويريـــد شِـــعرَ الـــدعر والإجـــرام

فبكـــى القـــريضُ لمَـــا يُعـــاين مـــن أســـىً ... ورثـــا لحـــالٍ عنـــه كـــان يُحـــامي

شـــعرُ الفضـــيلة كيـــف تكســـدُ ســـوقه ... ويبيـــتُ يشـــكو مـــن عتـــيّ مَـــلام؟

شـــعرُ الكرامـــة كيـــف يُمســـي ثاويـــاً ... ويُبـــاع - بـــين النـــاس - بيـــع سُـــوام؟

يومـــاً ســـينتفضُ القـــريضُ مُزمْجـــراً ... ومُبـــدّداً هـــذا المصـــير الـــدامي

شمس الجزيرة العربية (محمد بن عبد الوهّاب)

(إن عندليب الجزيرة العربية الشادي بالتوحيد والمغرّد بالعقيدة وشمس جزيرة العرب وقمرها المنير وينبوع عزها وأكسير مجدها هو مجدد القرن الثاني عشر الهجري الشيخ محمد بن عبد الوهّاب – رحمه الله تعالى - ، وإن كانت هناك مجموعة شمسية فهم أولاده وأحفاده ممن سار منهم على منهاجه! لقد تصدى الشيخ للبدعة وللمبتدعين وجاهدهم بالقرآن والسيف جهاداً كبيراً! ولم يزل الشيخ - رحمه الله - يجاهد أهل البدع والضلال حتى لحق بالرفيق الأعلى تبارك وتعالى! ومن هذا المنطلق استحق هذه التحية الشعرية التي أكتُبها وعمري 32 سنة!)

يـــا يراعـــي ، حبّـــر حـــروفَ العِبـــارة ... ثـــم صـــرّحْ بمـــا احتوتـــه الإشـــارة

فـــابنُ عبـــد الوهّـــاب شـــمسٌ أطلـــتْ ... ثـــم حـــازتْ – بـــين النجـــوم - الصـــدارة

بـــددتْ أرجـــاسَ الـــدجى بســـناها ... وأزاحـــتْ – عـــن القلـــوب - المـــرارة

أمّـــة كـــان الشـــيخ فـــي عصـــر جهـــل ... وانحطـــاطٍ ، ففـــي العقـــول حجـــارة

لـــم يقـــلْ: وحـــدي والعـــدوّ كثيـــرٌ ... والـــدواهي – مـــن العِـــدا – فـــي الصـــدارة

تخـــذ العلـــمَ والجهـــاد ســـبيلاً ... وانبـــرى فـــي كـــلِّ يحـــوز الإمـــارة

واجـــه الشـــرك فـــي رباطـــة جـــأش ... ومِـــن العلـــم كـــان قـــدحُ الشـــرارة

فاســـتجاب لِمَـــا يقـــولُ أنـــاسٌ! ... وأنـــاسٌ بـــاؤوا بخِـــزي الخســـارة

تـــارة بـــالعلم الصـــحيح يُلاحـــي ... ويُلاقـــي الأعـــداءَ بالســـيف تـــارة

ثـــم باتـــت بـــه الجزيـــرة صـــرحاً ... وغـــدتْ – بالتوحيـــد – أبهـــى منـــارة

واســـتنارت – بـــه - الـــديارُ ، وعـــزتْ ... وتحـــدّتْ – بالـــدين – أهـــل الحضـــارة

ودعـــاة القبـــور منـــه استشـــاطوا ... غضـــباً لمّـــا خـــط شـــرط الزيـــارة

أشـــعلوا – فـــي الأصـــقاع – فتنـــة حمقـــى ... وأرادوهـــا غـــارة تلـــو غـــارة

ثـــم عـــمّ الـــدجى جميـــع البـــوادي ... فأعـــاد الشـــيخ الضـــيا والنضـــارة

ثـــم مـــات ، والإرث عِلـــمٌ وتقـــوى ... وكتابـــاتٌ تُقتنـــى عـــن جـــدارة

شموخ داعية

(ترفع ذلك الداعية عن أن يُطوّع دين الله كتاباً وسُنة لقاءَ الدنانير والدراهم والبيت والوظيفة. واختار الشقاء العاتي فكان شقاء في سبيل الشموخ. ذلك أن كل شموخ له ثمنٌ غال غلوَ الشموخ. إنّ الإيمان هو (إقرار باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان). يقول ابن تيمية في بيان أهمية أعمال القلوب: "إنها من أصول الإيمان وقواعد الدين مثل محبته لله ورسوله والتوكل على الله وإخلاص الدين لله والشكر له والصبر على حكمه والخوف منه والرجاء له وما يتبع ذلك".هـ. ويقول ابن القيم: "أعمال القلوب هي الأصل ، وأعمال الجوارح تبع ومكملة! وإنّ النيّة بمنزلة الروح ، والعمل بمنزلة الجسد للأعضاء ، الذي إذا فارق الروح ماتت ، فمعرفة أحكام القلوب أهم من معرفة أحكام الجوارح".هـ. فرُحتُ أنشدُ للداعية من الرمل هذه القصيدة!)

عَلّمِ الصرعى ثباتَ الصالحينْ ... واسمُ فذاً في سجل الخالدينْ

واتركِ الدنيا لأصحاب الهوى! ... طاعة المولى هي الكنز الثمين

واهجرِ التطويعَ ، لا تحفلْ به ... إنما التطويعُ سَمتُ المُغرضين

لا تبعْ دينك ، هذي فتنة ... غاصَ فيها كل أرباب الفُتون

قد عهدناك هُماماً صامداً ... تنشرُ الحق بنصح مُستبين

لم تجاملْ لحظة ترجو الغنى ... إنما رحّبتَ بالفقر الغبين

انت لم تقبلْ عطايا ظالمٍ ... يشتري صمتك ، يُرضي الظالمين

أنت لم تقبلْ هدايا مَن غوى ... وغدا - في الناس - مُسوَدّ الجبين

بل ترفعت - عن الدنيا - أتتْ ... ترفعُ النذل ، وتُزري بالرزين

وتساميت رضيّاً بالذي ... قسَمَ الرحمنُ ربُّ العالمين

واتقيت الله لم تركنْ إلى ... عُصبة التطويع أخزى المُجرمين

رافعاً رأسك تسعى واثقاً ... بفؤادٍ زادُه فرْطَ اليقين

عالماً أن الذي لم تأتهِ ... منذ عِقدين كمثل الهازلين

كيف تأتيهِ مُحِباً راغباً ... بعد أن جاوزت سن الأربعين؟!

شموخ شاعر

(عرض أحد المرتزقة الجاهلين على أحد الشعراء الغر الموحدين عرضاً سخيفاً: هو أن يكتب قصيدة يؤله فيها غير الله ليفوز بـ 1000 دينار ، فأعلن الشاعر رفضه ، وأبدى شموخه وأثبت للمرتزق الغِر أنه لا ينشد من أجل عرض من الدنيا قليل. وليبرهن له أنه من الشعراء ذوي العملات الصعبة ، وليس من الشعراء المرتزقة الذين من أجل المال يستشعرون! إن كنوز الأرض لا تساوي عند هذا النوع من الشعراء مجرد كلمة يمدح فيها الطاغوت ، أو يدعو له بالرحمة إن كان ميتاً. إن الشعر شعورٌ صادقٌ نابعٌ من القلب ليصل إلى القلب ، وليس مجرد كلمات مقطعة وموزونة ، خطها قلم بيد مستشعر حقير مرتزق رخيص! وماذا يكون الشعر؟ وماذا يكون الشاعر ، إن أنشد في تأليه غير الله وكال المدائح للمجرمين والظالمين؟)

أهكـــذا اســـتُعبد العِيـــرُ الأراجيـــزا ... فجـــوّزوا الهـــزلَ والتطويـــعَ تجـــويزا؟

وطوّعـــوا الـــدين - للأهـــواء - فـــي زمـــن ... وطـــرّزوا الإفـــكَ – للطـــاغوت - تطريـــزا؟

وجـــاهروا - بـــدجى البهتـــان - دون حيـــا ... وحـــرّزوا زمـــر البـــاغين تحريـــزا؟

وكيـــف تُزهَـــق روحُ الشـــعر هينـــة ... حتـــى تؤلـــه (هولاكـــو) ، و(جنكيـــزا)؟

إن التكســـب - بالأشـــعار - مهزلـــة ... أمســـى الضـــلال - بهـــا والله - مَركُـــوزا

وخـــابَ مرتـــزقٌ يبيـــعُ مـــا كتبـــتْ ... يراعـــة ، حقهـــا قـــد بـــات مهـــزوزا

ومَـــن يبـــعْ شـــعره ، يخســـرْ كرامتـــه ... ولا يُمَيّـــز - بـــين الصِّـــيد - تمييـــزا

يُمســـي ويُصـــبحُ فـــي ذل ، وفـــي حَـــزن ... وبـــين كـــل الـــورى يعـــيش مبـــزوزا

يُضْـــحي يُقسِّـــم بـــين القـــوم عزتـــه ... ويرتضـــي الفـــوز بالـــدينار تعزيـــزا

مـــاذا يؤمّـــلُ هـــذا مـــن دجاجلـــةٍ؟ ... ومـــا المـــرادُ بهـــذي القســـمة الضـــيزى؟

إنّ الشـــموخ لـــه نفـــسٌ تتيـــه بـــه ... ولا تـــرى بأســـها المغـــوار مجنـــوزا

لا لـــن أبيـــع قريضـــي رغـــم متربتـــي ... ولـــن يُعَجّزنـــي الإمـــلاقُ تعجيـــزا

لا لـــن أجَهـــز – للطـــاغوتِ - مِدحتـــهُ ... وكيـــف مِثلـــي يســـوق الشـــعرَ تجهيـــزا؟

إن الشـــموخ - بهـــذا الشـــعر - يجعلنـــي ... أرى القصـــائد ياقوتـــاً وإبريـــزا

شهادة هذه أم فضيحة؟!

(استشهده قوم في الإدلاء بما لديه من شهادة على زيد من الناس. فخلط بين الشهادة المحددة في جزئية بعينها ، وبين التشهير والتشفي والانتقام ، وراح يكيل الفضائح عن الرجل لأنه يكرهه. فلم تكن شهادة في قضية محددة بل كانت فضيحة. فعجباً لمن يتجاوز ويتعدى. والأصل أن الذي يُنتدب للشهادة عليه أن يتحفظ عن كل معلومة لا تُمِتُ للشهادة بصِلة! والله تعالى يقول: (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه)! ومن هنا كان لزاماً - على من يشهد شهادة ما – أن يوضح الحقيقة ولا يخفيها كي لا يضلل من استشهدوه! وأيضاً يتحقق بشهادته الحقة العدل ويأخذ كل ذي حق حقه من الطرفين أو الفريقين! أما أن تكون الشهادة مجالاً لذكر المثالب والمزالق والهنات والعثرات فهي بهذا العمل أقرب إلى الفضيحة منها إلى الشهادة!)

تجـــاوزتَ - يـــا صـــاح - كـــل القـــيمْ ... ودَمـــرتَ – بالكيـــد - كـــل الشـــيمْ

وهـــدّمتَ صـــرح الإخـــاء الـــذي ... يُقِـــيم الأواصـــر بـــين النســـم

وخنـــت العهـــود ، ولـــم تحتـــرم ... شـــروط الشـــهادة بـــين الخُصُـــم

وبعـــتَ المـــودة مســـتهتراً ... وكِلـــت العَـــداء ، وخنـــت الـــذمم

وإنـــي لأســـأل مســـتنكراً ... أتيـــت لتشـــهد ، أم تنـــتقم؟

وكيـــف تُشَـــهّر مســـتجمعاً ... قـــواكَ لكـــي تطعـــن المـــتّهم؟

أتفضـــحه مســـتهيناً بـــه ... أهـــذا ســـلوك الفتـــى المحتـــرم؟

أتجعلـــه طعمـــة تُشـــتهى ... ليأكلهـــا - ســـهلة - كـــل فـــم؟

أتُشـــفي غليلـــك فـــي عِرضـــه ... وتجعلهـــا فتنـــة تضـــطرم؟

أتشـــهر ســـيفك فـــي وجهـــه ... كأنـــك - فـــي الغـــزوة – (المعتصـــم)؟!

أتجعـــل بُغضـــك ســـيف الأذى ... لتنكـــأ جُرحـــاً شـــديد الألـــم؟

أترســـلُ حقـــدك فـــي أعـــزل ... ليُصـــبح - فـــي المحنـــة – المنهـــزم؟

يمينـــاً تمرّســـتَ فـــي فضـــحه ... وفـــي الظلـــم فقـــت جميـــع الأمـــم

وسُـــقتَ الفضـــائح تُـــزري بـــه ... ودمـــرتَ بالكيـــد أحلـــى القـــيم

شهيد حب

(إن لكلمة (شهيد) في قرآننا من الآيات وفي سنة نبينا من الأحاديث ما يجعلها ذات شأن عظيم للغاية. الشهيد ذلك اللفظ العظيم الذي نيل منه في زماننا للحد الذي لا وصف له! فمن شهيد الغناء إلى شهيد العشق الإلهي والعياذ بالله إلى شهيد الملاعب إلى شهيد الموسيقى إلى شهيد المسرح. (يقولون مثلاً: لفظ أنفاسه الأخيرة فوق خشبة المسرح ، أو وافته المنية في الأوبرا!) وكذلك في عالم الشهيدات يقولون: شهيدة العشق الإلهي أو شهيدة الغرام الرباني أو شهيدة الباليه المائي ، ويقولون: اغتالتها المنية تحت عُباب الماء! إن التعريف الحق للشهيد أنه من أشهد الله تعالى ثم الناس أجمعين أن شريعة الله أغلى عنده من حياته ، لذلك جاد بروحه تلك رخيصة في سبيل شريعة الله الغالية لينال بذلك سلعة الله الغالية (الجنة). وهذا التعريف للشهيد تعريف حي نابض حققه صاحبه. فكان كما وصف بكل إخلاص ، إن صاحب المعالم يوم سيق إلى مِقصلة الشهادة في سبيل العقيدة يسأله أحد العتاة في استهزاءٍ وتهكم وسخرية: ما معنى شهيد؟ فأجاب بذات التعريف الذي صدّرنا به التعريف الحق للشهيد! إن الشهادة من أعظم الرتب وأعلاها وأنفس المقامات وأحسنها وأبهاها ، ذلك لما لأهلها عند الله تعالى من الأجر العظيم والثواب الجزيل ، والدرجة العالية. وشهيد الميدان على ثلاثة أقسام: الأول: شهيد الدنيا والآخرة ، والثاني: شهيد الدنيا ، والثالث: شهيد الآخرة. فشهيد الدنيا والآخرة: هو الذي يقتل في قتال مع الكفار مقبلاً غير مدبر ؛ لتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، دون غرض من أغراض الدنيا. جاء عن أبي موسى رضي الله عنه قال: (إن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال مستفهماً: الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن في سبيل الله؟ قال عليه الصلاة والسلام: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله). أما شهيد الدنيا فهو من قتل في قتال مع الكفار وقد غل في الغنيمة أو قاتل رياءً أو عصبية عن قومه ، أو لأي غرض من أغراض الدنيا ولم يكن قصده إعلاء كلمة الله فهذا وإن طبقت عليه أحكام الشهيد في الظاهر من دفنه في ثيابه ونحو ذلك لكنه ليس له في الآخرة من خلاق ، ونحن نعامل الناس على حسب الظاهر في الدنيا ، والله الذي يعلم الحقائق وهو الذي يتولى حسابهم يوم القيامة. وإنني كلما تذكرت لفظ (الشهيد) في حقيقته التوحيدية وفي كنهه العقدي أدركت كيف جنت على رونقه الجاهلية القائمة الحاضرة: إلى أن أصبح اللفظ ممسوخاً اليوم يدخل تحته ظلماً وعدواناً وإفكاً وافتراءً من ليسوا من أهله بالمرة. وما ذاك إلا عن سوء نية من العلمنة الجاهلية المعاصرة لإزهاق روح الشهادة الحقيقية ، وكان هنالك شهداء مزعومون زجّت بهمُ الجاهلية في عِداد قائمة الشهادة في غير حقيقة الشهادة: كالذي مات فداء للمحبوب ، والذي تنفس من تحت الماء والشهيد في محراب الفن ومحراب الفلسفة ، والشهيد في محراب الطين والأرض والوحل ، وما إلى ذلك من هذه المحاريب التي محراب الشهادة في سبيل الله يبرأ منها براءة الذئب من دم يوسف بن يعقوب عليه وعلى أبيه صلوات الله وتسليماته. وإنما الشهيد من مات لتكون كلمة الله هي العليا مقبلاً على الله غير مدبر. وهو عندي شهيد حب! ومحبوبه الذي مات في سبيله هو الله سبحانه وتعالى! نسأل الله عيش السعداء وميتة الشهداء!)

رُب حـــــب أودى بـــــروح حبيـــــبِ وعشـــــيق يحيـــــا بجـــــرح اللهيـــــبِ

وفـــــؤادٍ فـــــي حبـــــه يتلظـــــى وشـــــعور أدمـــــاه لفـــــحُ الخطـــــوب

وأليـــــفٍ يشـــــتاق – للإلـــــف - دومـــــاً ... ويُعـــــاني مـــــن صـــــد خـــــل رتيـــــب

كلهـــم يحيـــا - فـــي الســـراب - ويشـــقى ... يقتفـــي شـــيطان الهـــوى المســـتريب

وإذا مـــــات الغِـــــر عُـــــد شـــــهيداً ... إيـــــه يـــــا ألفـــــاظ الشـــــهادة ذوبـــــي

أشـــهيدٌ مـــن كـــان – للزيـــف - يحيـــا؟ ... أشـــهيدٌ مـــن كـــان بئـــر ذنـــوب؟!

أشـــهيدٌ مـــن عـــاش للفـــن عمـــراً؟ ... أشـــهيدٌ مـــن كـــان أصـــل العيـــوب؟

إنمـــــا الاستشـــــهاد أمســـــى رخيصـــــاً ... لـــيس هـــذا - مـــن قومنـــا - بالغريـــب

والشـــهيد الحـــق الـــذي كـــان يحيـــا ... فـــي ســـنا الشـــرع المســـتنير الرطيـــب

إنـــــه بـــــالروح الكريمـــــة ضـــــحّى ... لـــم يكـــن فـــي استشـــهاده بالكـــذوب

فـــي ســـبيل الله ارتضـــى بقضـــاه ... لـــم يكـــن فـــي اســـترجاع مجـــد ســـليب

إنـــــه الصـــــدق المســـــتطابُ لقلـــــب ... مـــا بـــه مـــن حـــب الـــدنا مـــن نصـــيب

إنمـــــا حـــــب الله والشـــــرع صـــــدقاً ... مخلـــص فـــي حـــب القريـــب المجيـــب

صـــدقوني ، يـــا قـــوم لـــيس شـــهيداً ... مـــن تمـــادى فـــي الغـــي غيـــر لبيـــب

هـــل شـــهيد مـــن عـــاش يعبـــد دنيـــا ... ونـــــراه لـــــم يعتبـــــرْ بمشـــــيب؟

قـــابعٌ فـــي الزيـــف المريـــر عجـــوزاً ... لـــم يتـــب هـــذا المعتـــدي مـــن قريـــب

ســـادرٌ فـــي تيـــه الحيـــاة وحيـــداً ... وعليـــه ســـالت دمـــوع الشـــعوب

حطمـــوا زوراً مـــا لـــه مـــن مثيـــل ... إنمـــــا الاستشـــــهاد غيـــــر مَعيـــــب

عيـــبُكم أنـــتم ، بـــل ولـــيس ســـواكم ... لـــيس فـــيكم يـــا قومنـــا مـــن أديـــب!

تحية للشاعرة صابرة محمود العزي

(طالعتُ قصائد من ديوان الشاعرة صابرة محمود العزي ، واسم الديوان: (نفحات الإيمان) ، فألفيته ديواناً عظيماً يحوي قصائد عظيمة صاغتها شاعرة عظيمة ، ولا أزكّي على الله تعالى أحداً ، بل أحسبها كذلك والله حسيبها ووكيلها. ونأت صاحبة الديوان بشعرها عن الغواية والمجون والفحش شأن كثيرات من شاعرات الهوى! وعظيم منها أن تكون إحدى شواعر عصرنا حيث تسطر اليوم شعراً يكون شاهداً على عصرها غداً! فأسأل الله أن يأجرها على شعرها القيم!)

حمـــائمُ الـــدوح تلهـــو فـــي بوادينـــا ... وأنجـــمُ الليـــل تشـــدو فـــي ليالينـــا

تُســـدي العنـــادلُ مـــا صـــاغته (صـــابرة) ... مـــن القـــريض غنـــاءً عـــن مآســـينا

وقـــد بـــدتْ (نفحـــاتُ) الطهـــر ناشـــرة ... شـــذى القـــريض صـــدىً يتلـــوه حادينـــا

قصـــائدٌ فـــي لظـــى الآلام قـــد وُلـــدتْ ... تناولـــتْ مـــا اعتـــرى ظلمـــاً (فلســـطينا)

وشـــيدتْ مجـــد مـــن قـــادوا جحافلنـــا ... فـــي كـــل هيجـــا مغـــاويراً ميامينـــا

وبيّنـــتْ مـــا ســـنا الإيمـــان يصـــنعه ... إنْ واجـــه الصِـــيدُ فـــي الحـــرب الشـــياطينا

ديـــوانُ شـــعر لـــه – فـــي الـــنفس - مـــأثرة ... وكـــم أبـــان لنـــا عنهـــا مضـــامينا!

أبياتـــه كلمـــا طالعتهـــا ســـطعتْ ... وأهـــدتِ القلـــب مـــن شِـــعر رياحينـــا

وكـــم كتبـــتُ! وكـــم طالعـــتُ مـــن أدب! ... وقـــد أقـــيمُ – علـــى قـــولي - البراهينـــا

لكـــنّ مـــا نقشـــت بالشـــعر (صـــابرة) ... يفـــوق فـــي قـــوة الســـبك الـــدواوينا

أكبرتهـــا ، واحترمـــتُ الشـــعر تكتبـــه ... مـــا خالفـــتْ حبكـــه ولا الموازينـــا

وســـخرتْ شـــعرها لكـــرب أمتهـــا ... وأكرمـــتْ بقِـــرى الشـــعر المســـاكينا

كأنـــه صـــدقاتٌ لا يُضـــارعُها ... شـــئٌ ، فجـــاوز والله الأظانينـــا

عنوانهـــا الصـــدقُ فيمـــا ســـطرتْ يـــدُها ... فـــي عـــالم يفتـــري – اليـــوم - العناوينـــا

حييـــتُ فيهـــا بمـــا صـــاغته شـــاعرة ... فاحـــت قصـــائدُها مِســـكاً ونِســـرينا!

الخاتمة

الحمد لله ألهم عباده المؤمنين الزهد في الدنيا والعمل للآخرة! ألا إن الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة. دافع الخطرة ، فإن لم تفعل صارت شهوة وهمة ، فإن لم تدافعها صارت فعلاً ، فإن لم تتداركه بضده صار عادة ، فيصعب عليك الانتقال عنها. بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين. الذنوب جراحات ، وربّ جرحٍ وقع في مقتل. ومَنْ عَظم وقارُ الله في قلبه خاف أن يعصيه – ومن تجنب الله امتنع في قلوب الخلق أن يُذلوه. القلوب آنية الله في أرضه ، فأحبها إليه أرقها وأصلبها وأصفاها. ألفتَ عجز العادة ؛ فلو عَلت بك همتك رُبا المعالي لاحت لك أنوارُ العزائم. إذا عرضت نظرة لا تحل فاعلم أنها مُسعّر حربٍ ، فاستترْ منها بحجاب (قل للمؤمنين) فقد سلمت من الأثر وكفى الله المؤمنين القتال. الصبر عن الشهوة أسهل من الصبر على ما توجبه الشهوة ؛ فإنها إما أن توجب ألماً وعقوبةً ، وإما أن تقطع لذة أكمل منها ، وإما تضيع وقتاً إضاعته حسرة وندامة ، وإما أن تثلم عِرضاً توفيره أنفع للعبد من ثلمه ، وإما أن تذهب مالاً بقاؤه خير له من ذهابه ، وإما أن تضع قدراً وجاهاً قيامُه خيرٌ من وضعه ، وإما أن تسلب نعمة بقاؤها ألذ و أطيب من قضاء الشهوة ، وإما أن تطرق لوضيع إليك طريقاً لم يكن يجدها قبل ذلك ، وإما أن تجلب هماً ، وغماً ، وحزناً ، وخوفاً لا يقارب لذة الشهوة ، وإما أن تنسي علماً ذكره ألذ من نيل الشهوة ، وإما أن تشمت عدواً ، أو تحزن ولياً ، وإما أن تقطع الطريق على نعمة مقبلة ، وإما أن تحدث عيباً يبقى صفة لا تزول ، فإن الأعمال تورث الصفات ، والأخلاق. أبعد القلوب عن الله القلب القاسي. أعظم الكرامة لزوم الاستقامة. إن البدن إذا مرض لم ينفع فيه الطعام والشراب. فكذلك القلب إذا مرض بالشهوات لم تنجع فيه المواعظ. خلقت النار ، لإذابة القلوب القاسية. إذا قسا القلب قحطت العين. المتابعة: أن يفعل مثل ما فعل ، على الوجه الذي فعل ، لأجل أنه فعل. ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب ، والبعد عن الله. لا ريب أن الخوارج كان فيهم من الاجتهاد في العبادة والورع ما لم يكن في الصحابة كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم ، لكن لما كان على غير الوجه المشروع أفضى بهم إلى المروق من الدين ، ولهذا قال عبد الله بن مسعود وأبي بن مالك: اقتصادٌ في سنة خير من اجتهاد في بدعة. الدُنيا كلها ملعونة ، ملعونٌ ما فيها ، إلا ما أشرقت عليه شمس الرسالة وأس بنيانه عليها ، ولا بقاء لأهل الأرض إلا ما دامت آثار الرسل موجودة فيهم ، فإذا درست آثارُ الرسل من الأرض وانمحت بالكلية خرّب الله العالم العلوي والسفلي وأقام القيامة. فمن أراد السعادة الأبدية فليلزم عتبة العبودية. وأما الدنيا فأمرُها حقير ، وكبيرها صغير ، وغاية أمرها يعود إلي الرياسة والمال ، وغاية هذه الرياسة أن يكون كفرعون الذي أغرقه الله في اليم انتقاماً منه! وغاية ذي المال أن يكون كقارون الذي خسف الله به الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة لمّا أذى نبي الله موسي. والمرأة الصالحة تكون في صحبة زوجها الرجل الصالح سنين كثيرة ، وهي متاعهُ الذي قال فيها رسول الله: (الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة المؤمنة ، إن نظرت إليها أعجبتك ، وإن أمرتها أطاعتك ، وإن غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك)! وهي التي أمر بها النبي في قوله لما سأله المهاجرون أي المال نتخذ فقال: (لساناً ذاكراً ، وقلباً شاكراً ، أو امرأة صالحةً تعين أحدكم على إيمانه) رواه الترمذي ، من حديث سالم بن أبي الجعد ، عن ثوبان. ويكون منها من المودة والرحمة ما امتنَّ الله تعالى بها في كتابه ، فيكون ألم الفراق أشد عليها من الموت أحياناً وأشد من ذهاب المال وأشد من فراق الأوطان ، خصوصاً إن كان بأحدهما علاقة من صاحبه ، أو كان بينهما أطفال يضيعون بالفراق ويفسد حالهم. في الصحيحين عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً من الأزد يُقال له ابن اللتبية ، على الصدقة ، فلما قدم ، قال: هذا لكم ، وهذا أهدي إلي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما بال الرجل نستعمله على العمل مما ولاّنا الله ، فيقول: هذا لكم ، وهذا أهدي إلي ، فهلا جلس في بيت أبيه ، أو بيت أمه فينظر أيهدى إليه أم لا؟ والذي نفسي بيده لا يأخذ منه شيئاً ، إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته ، إن كان بعيراً له رُغاء أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه ، اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟ ثلاثاً. من العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والزنا والسرقة وشرب

الخمر ومن النظر المحرّم وغيرها ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه! وكم نرى من رجل متورع عن الفحش والظلم ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات ولا يبالي ما يقول! اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ولا تعذبنا فأنت علينا قادر!

يـــا مـــن رَضـــيتَ لنـــا شـــرع الهُـــدىَ دينـــا حمـــداً إليـــك ، فـــذاكَ الفضـــلُ يكفينـــا

يـــا رازقَ الطيـــر فضـــلاً أنـــت ســـابغُهُ أوليتنـــا نِعَمـــاً فاقـــت أمانينـــا

يـــا فـــالِقَ الصُـــبحِ فـــي الأرجـــاءِ مـــن ظُلَـــمٍ يـــا صـــاحب الأمـــرِ أنـــت المُرتجَـــىَ فينـــا

يـــا كاشـــفَ الضُـــرّ يـــا رحمَـــنُ يـــا صَـــمَدٌ يـــا مـــن يُجيـــرُ ، وإن نـــدعو يُلبّينـــا

تُبنـــا إليـــك فطهّرنـــا بمغفـــرةٍ واهـــدِ الخلائـــقَ ، واقبـــل مـــن تناجِينـــا

اللهم صل على محمد وآله وصحبه في الأولين! وصل على محمد وصحبه وآله في الآخرين! وصل على محمد وآله وصحبه في السماوات والأرضين! وصل على محمد وصحبه وآله إلى يوم الدين! نشهد اللهم أننا نحب نبيك ورسولك محمداً وأصحابه أجمعين وأزواجه أمهات المؤمنين ومن اتبعه واقتفى أثره ودان لله بدينه إلى يوم يُبعثون!

كـــل القلـــوب إلـــى الحبيـــب تميـــلُ ومعـــي بهـــذا شـــاهدٌ ودليـــلُ

أمـــا الـــدليل فـــإن ذكـــرتُ محمـــدا صـــارتْ دمـــوعُ المـــؤمنين تســـيل

هـــذا رســـول الله نبـــراسُ الهُـــدى هـــذا ـ لكـــل العـــالمين ـ رســـول

يـــا ســـيد الكـــونين يـــا عـــلم الهـــدى هـــذا المتـــيم فـــي حِمـــاك نزيـــل

لـــو صـــادفتني مِـــن لـــدنك عنايـــة لازوَرّ طيبـــة والـنخـــيلُ جميـــل

اللهم لا تجعلني من الشعراء الذين قلت فيهم: (والشعراء يتبعهمُ الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون) واجعلني من الشعراء المستثنين بقولك: (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلِموا)! وبهذا أختم مجموعتي الشعرية: (قصائدي الصغيرة المَشوقة 1) آملاً أن أكون قد وفقتُ فيه لما انتويت من تحبير شهادة على هذا العصر الذي أعيش في جملة من القصائد هي بعض عمري أضعها (رسائل شعرية) بين أيدي القراء!

فهرست القصائد & مسرد موسيقي – (قصائدي الصغيرة المَشوقة 1)

مسلسل	عنوان القصيدة	البحر	القافية	الصفحة
1	الإهـــــــــــــــــــــــــــ	ـــــــــــــــــ	ـــــــــــــداء	5
2	الافـــــــتـــــــــتـــــــــ	ـــــــاحـــــ	ـــــيــــــة	7
3	الـــــــمـــــــقـــــــ	ـــــدمـــــ	ـــــــــــة	9
4	أبتاه	الكامل	معاني	13
5	يا ناس ، احترموا التخصص	الوافر	شهادة	14
6	أخونا أغلى من الإرث!	الكامل	ووئاما	18
7	استرْ على نفسك يا هذا!	الخفيف	حدودي	21
8	يا أسفى على الحياء!	الكامل	بالحُرُمْ	23
9	أسماء	البسيط	والخيرِ	25
10	إشارات غالية الثمن	الخفيف	بكل سرورِ	26
11	أعاجيب قلب قاس!	المتقارب	اضطربْ	28
12	اعتراف قلب قاس!	الخفيف	الرمادا	29
13	اعترافات العذراء	الكامل	لظى الإجحافِ	31
14	اكتشاف الخليل	البسيط	قرآنا	32
15	أكرموا ضيفكم (العيد)	الوافر	فلتحملوني	37
16	الأب الحقيقي	الكامل	الآثارُ	38
17	الأب الغريب	المتقارب	الضَياعا	40
18	الأمل يرتصد التصابي	البسيط	البراهينُ	41
19	الجمال الرخيص	مجزوء الكامل	مجرمة	43
20	الجمال اليماني	الكامل	وسباني	46
21	الجواب المفحم المبكي	المتقارب	الصائلة	48
22	الجود يرفع صاحبه (كاد وأخواتها)	الكامل	صراعا	51
23	الحجاج تُذله امرأة!	المنسرح	المِحَنْ	52
24	الحق بين ظلم الأب وعدل الأخ!	الخفيف	سَوْرة الإجحافِ	54
25	الخمرُ داءٌ وليست بدواء!	المتقارب	مُبْطِلة	56

26	الخنساءُ الشاعرة	الكامل	المدى	58
27	العيد عيدكُمُ (انتصارية على لسان يتيم)	البسيط	وانبلجا	59
28	القلمُ النزيهُ كالسيف	المجتث	ساعة	60
29	اللهم صل على محمد	الرمَل	في الذرى	61
30	اللهيميد وأنواره!	الخفيف	ومجْدا	64
31	المال أغلى من ابنته	الطويل	الجرائحُ	65
32	نصيحة للمتوسل بالقبور	البسيط	للبَشَرِ	67
33	المروءة مني ، وأنا منها	الوافر	بالخِداع	68
34	المُعلم الضحية!	المتقارب	رَيْعُ الشباب	69
35	النادلة والشهم	المتقارب	هنا نازلة	70
36	النادلة والغجري	البسيط	فرُطا	72
37	الناقة والسايس	الرمَل	له منقلبُ	74
38	الوصية الخالدة	الرمَل	المنهزما	76
39	الوقتُ كالسيف	الخفيف	غدوة ورواح	78
40	الوهم	المتقارب	هبة	82
41	رسالة أبوين إلى ولدٍ عاق	المتقارب	ما نوى	83
42	بين اليقظان والنائم	الكامل	وأجرما	85
43	أمانة التكليف	البسيط	شأن راغبها	86
44	أمانة (امرأة تخون الأمانة وتفشي سر زوجها)	المتقارب	حدود البشر	89
45	إن غاب سيده ، فأنا سيدتُه!	الخفيف	بالاستضعافِ	90
46	أنتهادى لنتعادى؟!	الوافر	والحَكايا	92
47	انحدار (بعد طلاقها أهملت دينها وصلاتها وحجابها)	الطويل	والعِدا	95
48	انحدار عواقبُه وَخيمة (كان جاداً في عبادته ثم هزل)	المنسرح	النفوسُ	96
49	انسي الذي بيننا	الخفيف	يتصابى	97
50	أنى ليَ الفرحة (عتابية) (تعتب على زوجها أن يردها)	المتقارب	النوى	99
51	أنين الذكريات (كان يتذكر ماضيه مع همته العالية)	البسيط	والشرفُ	100
52	أو ردوها!	الكامل	الإطراءِ	101
53	أي وفاءٍ بعد هذا؟!	الطويل	تأمُّلي	102

54	أيتامٌ في دياجير التيه!	البسيط	معسولُ	103
55	بدوية تأبى السقوط	الرمل	بين الفيافي	104
56	بسبب حجابها! (أحبها الناس متبرجة وكرهوها محتشمة)	الوافر	بالصعابِ	105
57	بصقة تائب فاحتسبها	الكامل	وشقاءُ	106
58	بقية من القيم	الكامل	يتفطرُ	107
59	بلقيس (ملكة سبأ)	الكامل	الملموسا	108
60	بناء البيوت وبناء النفوس	الوافر	قِياما	111
61	فرحُ بناتِ الثرى ببنات الثريا!	الخفيف	والهداية	112
62	مولد النور في عُرس بنت الأربعين!	البسيط	والجَزَع	113
63	بهلول	المنسرح	مستقيمُ	114
64	بورك فيكِ يا أم زكي!	الكامل	تكميلا	115
65	بورك فيك يا شوقي!	البسيط	القرَبا	117
66	تبديد متعنت (بدد ماله وكان يثق فيه ثقة عمياء)	الوافر	معراجُ	119
67	تجديد (كان شاعراً خليلياً ثم هزل فكتب الشعر المنثور!)	المتقارب	البغيض	120
68	من أتون ترجمة الوهم (عندما لا يكون الزواج على دين)	البسيط	وأوجاعا	121
69	ترنيمة تتلو ترنيمة!	الكامل (سطر شعري)	على فمي	122
70	تصابى الكهول ، ومات الصبا!	المتقارب	أن يهربا	124
71	تصويب (لقصيدة الشابي: إذا الشعب يوما أراد الحياة!)	المتقارب	بالخالق المقتدر	125
72	تغريدة في هجير الضياع (حاولت انتشال زوجها من الوحل)	الكامل	للحضيض الأسفل	126
73	تقوى الله نعمة	الوافر	الحراما	127
74	تقوى الله هي السعادة	الخفيف	المطايا	128
75	تكفي دمعة	الوافر	البلاغ	130
76	تيسٌ غيورٌ شريف!	الخفيف	النقيضُ	131
77	تيسٌ يرثُ نعجة!	المتقارب	واللوّمِ	132
78	جف الحب	الطويل	أرقى المطالبِ	135
79	حجة مكتوبة	الخفيف	بتوبِ	136
80	ويمضي حديث الزمن	الوافر	لعلّي	139
81	حفظتْ القرآن بعد الثمانين	الرمل	القربْ	140

82	حقوق البخل محفوظة	البسيط	النقما	142
83	حقيقة الشاعر	البسيط	جوقة الريب	143
84	حكاية بلا نهاية (فتاة كانت ضحية الإنترنيت)	الرجز (سطر)	بصيرة	144
85	أنتِ خيرٌ من أمي (مَرثية على لسان لقيطة)	البسيط	وذي جمْرُ	146
86	وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين (رسول الله يا نوراً تلالا)	الوافر	الضلالا	148
87	رسالة إلى أمل (سرقها الهندي فأعطته وعاهدها)!	الخفيف	أذلّ عِيالهْ	150
88	رسالة إلى عاق (بر الوالدين)	الكامل	حقيهما	152
89	رسالة إلى مدمن	الكامل	مُسْكِرُ	154
90	رسالة يسطرها الحب	الكامل	يا شيماءُ	156
91	رضيعة الحاوية	المتقارب	فلتقبلي	157
92	رفقاً بنفسك يا أبتاه!	الوافر	أعتى النكاية	160
93	رموزٌ وإشارات	الرمل	والأسفْ	161
94	رؤياك	البسيط	اضطربا	163
95	زفرات العذراء الخجلى بين الغموض والبيان	الوافر	الحِرابُ	164
96	زمان الحب	الرمَل	عبد ظلومْ	165
97	سارق الغنم	المتقارب	والألمْ	167
98	سبق تقوى النفس الفجور!	الوافر	في الصدورِ	169
99	سجدة لله	الرمَل (مجزوء)	من خطايا	171
100	سراديب الأشجان	المتدارك (مخلع)	ذي الغربة	172
101	سراديب العاشقين	الخفيف	المفراح	174
102	سلام الحبيب	مجزوء الوافر	أم أولادي	175
103	سلمَ اليراعُ ومن كتب	المنسرح	الناسُ	178
104	سلوكٌ عواقبُه وَخيمة	المقتضب	منحرفُ	179
105	نسمة في سماء الهداية	الكامل	الدرب السوي	180
106	ســـــــــــــــــــهـــــــــــــــــام	الكامل	الطوَى والدارُ	181
107	شاعرٌ ، ولكنه إباحيٌ مهترئ!	الوافر (كاملاً)	والطعنا	186
108	شاعر عصره	الطويل	والأسما	187
109	شاعرٌ مُفترَى عليه!	الوافر (مجزوءاً)	الذي واسى	188

110	بين شاعر ومستشعر	الخفيف	والأريحية	189
111	شاعرٌ يدافع عن نفسه	الخفيف	تجري وترسي	190
112	لم يبلغ شاعركم شأواً	المضارع	الإباحي	191
113	شايٌ بالنعناع	الكامل	بلا نعناع	192
114	شب عن الطوق	الوافر	اللبيبُ	194
115	شرف (ذكر المضي والاستشهاد به شرفٌ كبير)	الرمَل	يعترفْ	195
116	شريد في زوايا العمر	الكامل (سطر)	ومأواهُ	197
117	تلك شريعة الغاب	الخفيف	البؤساءَ	199
118	شعري أقربُ للتقوى	السريع	شجني	200
119	شعري يعذب!	الكامل	فريسة الآلامِ	201
120	شمس الجزيرة العربية (محمد بن عبد الوهاب)	الخفيف	احتوته الإشارة	202
121	شموخ داعية	الرمل	سجل الخالدين	203
122	شموخ شاعر	البسيط	تجويزا	204
123	شهادة هذه أم فضيحة؟!	المتقارب	كل الشيمْ	205
124	شهيد حب	الخفيف	بجرح اللهيب	206
125	تحية للشاعرة صابرة محمود العزي	البسيط	في لياليا	208
126	الخـــــــــــــــــــــــــاتـــــــــــــ	ـــــــمـــــــ	ـــــــــــــة	209
127	الـــــــــــــــــــفـــــــــــــــهـــــــــــــ	ـــــــــــــ	ـــــــــــــرس	211

تم بحمد الله وتوفيقه وعنايته ورعايته إتمام (قصائدي الصغيرة المَشوقة 1)

نبذة عن أحمد على سليمان عبد الرحيم

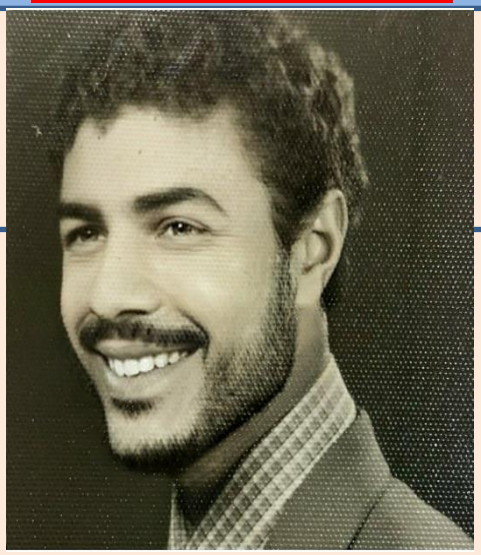

(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية - محافظة بورسعيد - تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب – قسم اللغة الإنجليزية - جامعة المنصورة - مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صَعيديٌ قح أباً وجداً وأعماماً من بيت خليفة - الكولة - مركز أخميم - محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية - لم يُقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونثره ونقده بالحسنى - بتوفيق الله – سبحانه وتعالى -!

ويمكننا إجمال الدواوين والقصائد والمجموعات الشعرية والكتب في هذه القائمة:

أولاً: الدواوين الشعرية

1 – نهاية الطريق: (ديوان شعر).
2 – عزيز النفس: (ديوان شعر).
3 - سويعات الغروب: (ديوان شعر).
4 – القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
5 - ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
6 – الأمل الفواح: (ديوان شعر).
7 – من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
8 – الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
9 – ذل الجمال: (ديوان شعر).
10 – ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
11 – دموع التصبر: (ديوان شعر).
12 – عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
13 – فأعِضُّوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
14 – الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
15 – غادة اليمن: (ديوان شعر).
16 – عزة الخير: (ديوان شعر).
17 – منار الخير: (ديوان شعر).
18 – غربة وحَربة وكُربة: (ديوان شعر).
19 – الطبيبتان: (ديوان شعر).
20 – عجبتُ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
21 – أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
22 – كالقابض على الجمر: (ديوان شعر).
23 – من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
24 – خانك الغيث: (ديوان شعر).
25 – الشعر رحمٌ بين أهله: (ديوان شعر).
26 – وداعاً أيها القريض! (ديوان شعر).

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

1 - قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
2 – قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية: عنترة بن شداد العبسي.
3 - السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
4 - ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.
5 – ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم -!
6 – إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرتُ بها في حياتي العملية والعلمية)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

1 – الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحياً!
2 – القاتل البطيء (التدخين)
3 – بين شوقي وحافظ!
4 – ثاني اثنين إذ هما في الغار
5 – عُمَير بن وهب الجمحي – رضي الله عنه -.
6 – لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
7 – من أجل زوجي!
8 – هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
9 – فرانك كابريو (القاضي الأمريكي الرحيم)
10 – يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
11 - يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
12 – رباعيات الخيام اليمنية (معارضة لعمر الخيام)
13 – ابتسم! (معارضة لإيلياء أبو ماضي)
14 – إبراهيم مصطفى صديقاً وصهراً
15 – أبو غياث المكي – رحمه الله –
16 – أتيناكم! أتيناكم!
17 – أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحوياً وناقداً
18 – أستاذي قال لي! (عريف الكُتاب – رحمه الله -)
19 – قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
20 – أسماء الله الحسنى
21 – الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
22 – التلون أخو النفاق من الرضاعة
23 – موقع (الديوان) منتجع الشعراء
24 – (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
25 – أبجديات شعرية
26 – الشعر رحِمٌ بين أهله
27 – الله يرحمُ مُزنة
28 – رسالة شعرية إلى أم يوسف
29 – امتَهنوا فما امتُهنوا! (علماء السلف رحمهمُ الله)
30 – تراني عندما أرى لحيتك!
31 – لا فضّ فوك يا دكتور بدر العتيبي!
32 – بُردة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –
33 – بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما –
34 – بردة عثمان بن عفان – رضي الله عنه –
35 – بردة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –
36 – بردة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –
37 – بردة فاطمة بنت محمد – رضي الله عنها –
38 - بكائية إسماعيل علي سليم (فقيد التربية والتعليم)
39 – نعم الميّت ، ونعمت المِيتة! (رثاء فقيد الأزهر الشريف)

40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
42 – تغير الحال أم الخال؟!
43 – تلميذي البار شكراً!
44 – تيس يرث نعجة! (جيء به محللاً فورثها)
45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
46 – جاز المعلم وفه التبجيلا! (معارضة لشوقي)
47 – حادي القلوب (ظفر النتيفات)
48 – حبيبتي أقبلتْ! (معارضة لجاءت معذبتي لابن الخطيب)
49 – حرامية الشعر!
50 – حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
51 – حنين بقلبي (معارضة للعشماوي)
52 – خانك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
53 – رثاء الدكتور الشربيني أبو طالب (معارضة لشوقي)
54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد)
55 – رسالة إلى دائنة!
56 – رضيعة الحاوية (رماها أبوها رضيعة فنفعته في كبره)
57 – رفقاً بنفسكِ يا صاحبة الدموع (عائشة – رضي الله عنها -)
58 – رفيدة بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –
59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
60 – سمية بنت خياط – رضي الله عنها –
61 – سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
62 – ضحية تعتب على قاتلها (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
63 – طبت حياً وميتاً يا أبتاه!
64 – طبت حياً وميتاً يا رسول الله!
65 – طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
66 – ظلم الشقيقتين (كفلهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
67 – عاشقٌ عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
69 – عجبتُ للنذل
70 – عجبت من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبتُ لا تنتهي)
71 – غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
72 – وربما حار الدليل!
73 – يا جارة الوادي اليمنية (1 & 2) (معارضة لشوقي)
74 – لصوص القريض
75 – لقاؤنا في المحكمة
76 - لوعة الرحيل
77 - مسألة كرامة (تحويل (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى)
78 – كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
79 – مصابيح الدجى (علماء السلف – رحمهمُ الله -)

80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء
81 – منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
84 – الأطلال اليمنية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
85 – الكائنات الفضائية!

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

1 – الغربة سلبيات وإيجابيات
2 – إلى هؤلاء أتكلم!
3 - آمال وأحوال
4 – أمتي الغائبة الحاضرة
5 – أنات محموم وآهات مكلوم
6 – أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)
7 – تحية شعرية والرد عليها
8 – رمضان شهر الخير والبركة
9 – عندما لا نجد إلا الصمت
10 – يا أماه ويا أختاه كفا الدمع!
11 – بيني وبينك!
12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء
13 – دموع الرثاء وبكاء الحُداء (1 & 2)
14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان
15 – رسائل سليمانية شعرية
16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
17 – شرخ في جدار الحضارة
18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
19 – ضدان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة (1 & 2&3)
20 – عندما يُثمر العِتاب
21 – فمثله كمثل الكلب!
22 – قصائد لها قصص مؤثرة (1 : 10)
23 – كل شعر صديق شاعره
24 – مساجلات سليمانية عشماوية
25 – مراودة ومعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –
27 – الزاهية تحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
29 – الصبر تِرياق العلل والداءات
30 – الصعيد مهد المجد والسعد
31 – الضاد بين عدو وصديق
32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى
33 – الغربة دُربة على الطريق

34 – الغيرة غير القاتلة
35 - القصيدة ابنتي
36 – اللغة العربية وصراع اللغات
37 – اللقيط بريءٌ لا ذنب له!
38 – المال والجمال والمآل
39 – المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)
40 – المعلم صانع الأجيال
41 – الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)
42 – اليُتْم غنمٌ لا غرم
43 – أمومة وأمومة
44 – أهازيج بين الشعر والشاعر
45 – أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 – أهكذا يُعامَل الشقيقُ يا هؤلاء؟!
47 – بين الفتنة والفطنة!
48 – بين هندٍ وزيد!
49 – جيران وجيران!
50 – رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 – عزة الخير (أم عبد الله)
52 – فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة (1 & 2)
54 – مدائح إلهية شعرية
55 – اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
56 – البُردات الشعرية السليمانية
57 – عيون الدواوين السليمانية
58 – معارضات سليمانية شوقية (معارضاتي لشوقي)
59 – المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء) (1&2&3)
60 - مقدمات وإهداءات شعرية
61 – من أزاهير الكتب
62 – من الأجوبة المُسكتة المُفحمة
63 – من أناشيد الأفراح
64 – نحويات شعرية
65 – نساء صَقلتهن العقيدة
66 – نساءٌ لعب بهن الشيطان
67 – وتبقى الحقيقة كما هي!
68 - وصايا شعرية!
69 – أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
70 – النفس في شعر أحمد علي سليمان
71 – الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
72 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
73 – الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
74 – الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
75 – العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان

76 – المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 – علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 – رسائل شعرية لمن يهمه الأمر
80 – ماذا قال لي شعري؟ وبم أجبته؟
81 – مواقع متفردة لهمم مغردة!
82 – المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
83 – التوبة في شعر أحمد علي سليمان
84 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
85 – أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
86 – نصيب طلابي من شعري
87 – حضارة البِطنة لا الفِطنة
88 – إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
89 – لا ينبغي أن ننخدع بلحن القول!
90 – الإدمان ذلك الشبح القاتل!
91 – دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
92 – المرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
93 – القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
94 – وترجون من الله ما لا يرجون
95 – قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
96 – الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
97 – الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
98 – صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (1&2&3)
99 – الموت في شعر أحمد علي سليمان
100 – لماذا؟
101 – (لا) كلمة لها وقتها!
102 – هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان
103 - أخرْتُ عمّنْ هان رد سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
106 – أين؟!
107 – الحب في شعر أحمد علي سليمان
108 – القلوب في شعر أحمد علي سليمان
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
111 – أيومة إلى الأبد!
112 – شتان بين البر والعقوق
113 – الملك والأميرة!
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد
115 – الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان

118 – الأميرات الثلاث!
119 – عندما!
120 - تحايا شعرية سليمانية (1&2&3)
121 – القصيدة الزينبية 2

خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانية في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة!

سادساً: الكتب الإنجليزية

1. Proofreading Drills (1-12)

2. Reading Drills (1-50)

3. Reading Quizzes (1-111)

4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

6 - Conversation Skills

7 - Correction Exercise (1-100)

8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

9 - Grammar Tasks (1-77)

10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

12. Punctuation Tasks (1-56)

13. Reorder Quizzes (1-34)

14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

15. Writing Practices (1-76)

16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

18. Raymond's Run – Toni Bambara

19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages!